خطابُ المرحلة

توثيق لخطابات وبيانات سماحة
آية اللّه العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي
ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق
بعد استشهاد استاذه

السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٩٩٩

الجزء العاشر

بداية ٢٠١٦ - آب/ ٢٠١٧

هوية الكتاب

اسم الكتاب: ..... خطابُ المرحلة / الجزء العاشر

تأليف: ..... توثيق لخطابات وبيانات سماحة

..... آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

الطبعة : ..... الأولى

السنة : ..... ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

الناشر: ..... دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع

..... النجف الاشرف / شارع الرسول صلى الله عليه وآله ٠٧٨٠٨٢٨٩٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب المرحلة

(٤٧٧)

الشهداءُ أجلُ من التأبين[١]
بمناسبة استشهاد الشيخ نمر النمر

إنقدح في ذهني وأنا أتابع بألم خبر استشهاد سماحة آية الله الشيخ نمر النمر وتداعيات الحدث بيت من قصيدة للمرحوم الشيخ صالح الكواز في شهداء كربلاء يوم عاشوراء قال فيه:

خُذ في ثنائهم الجميل مقرّظاً ... فالقوم قد جلّوا عن التأبين[٢]

فالشهداء لا تقام لهم مآتم التعزية والرثاء والتأبين بل محافل الثناء والتكريم والإشادة بمآثرهم والثناء على جميل مواقفهم.

لقد علمتُ عن قرب ان الشهيد كان يطلب الشهادة مصمماً عليها، وكان بوسعه دفع القتل عن نفسه بثمن لكنّه كان عازماً على نيلها حتى اتخذه الله تعالى شهيداً (وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء)(١٤٠ آل عمران)، وفاجأنا الخبر لأن مساعي كثيرة بعدة مستويات وبعدة اتجاهات بُذلت لتغليب صوت الحكمة والحق والإنصاف

---

(١) تحدثّ سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي(دام ظله) بهذه الكلمة أمام حشد كبير من فضلاء وأساتذة الحوزة العلمية الذين يحضرون بحثه الشريف. وكانت السلطات السعودية قد أعلنت يوم السبت ٢١/ ربيع الأول/١٤٣٧ الموافق ٢١٠٦/١/٢ عن تنفيذ حكم الاعدام بـ ٤٧ شخصاً بتهمة الارهاب والاخلال بالأمن العام والتحريض، منهم الشيخ نمر النمر الذي زُجّ مع عدد من الارهابين ظلماً وعدواناً وللتمويه.

(٢) الدر النضيد للسيد محسن الامين : ٣١٠

والتوقف عن تنفيذ حكم الإعدام وحصلت وعود بذلك أيام الملك السابق لكن الأمور تغيّرت في عهد السلطة الحالية وارتُكِبت هذه الحماقة الجاهلية المملوءة بالظلم والجور.

ولم تكتَفِ السلطات السعودية بقتله مادياً بإعدامه بل قتلته معنوياً بزجّه في قائمة من عتاة الإرهابيين المجرمين ليوحوا بوحدة التهمة، وبين الشهيد وبينهم كما بين الثريا والثرى، فقد كان يؤمن بالعمل السلمي في السعي لتحقيق مطالب الطبقات المحرومة وينهى عن العنف ويلتزم بحفظ النظام العام ، وليست هذه جريمة يعاقب عليها، وكان على السلطات أن تفتح باب الحوار وان تستمع بإنصاف إلى هذه المطالب وتستجيب لكل ماهو حق وعدل، فهذا هو الذي يحبب الحكومات إلى الشعوب ويديم وجودها، أمّا إسكات صوت الشعوب المطالبة بحقوقها بالقتل والسجن والتعذيب والحرمان من حقوق الإنسان فإنه يولد العنف ويزيد من الهوّة السحيقة ويفتح الثغرات لاختراق الأعداء.

لقد آلمنا أيضا التوظيف السياسي للحادث من قبل بعض المحتجين على الفعل والمطالبين بالثأر واستغلالهم الفرصة لتصفية الحسابات مع الخصوم الداخليين والخارجيين، مما أنسى أصل القضية والتعاطي الحكيم معها، فكانت هذه الأفعال إساءة للشهيد.

إن الوفاء للشهداء لا يكون بالحركات الاستعراضية والبيانات الهزيلة والكلمات التي لا واقع لها على الأرض، وإنما بنصرة مبادئهم التي ضحوا من اجل تحقيقها واقتفاء أثرهم والمضي على ما مضوا عليه، كما نردد في زيارة

أعاظم الشهداء كأبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) (أَشْهَدُ وأُشْهِدُ اللهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى بِه الْبَدْرِيُّونَ، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْمُنَاصِحُونَ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ، الْمُبَالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ، الذَّابُّونَ عَنْ أَحِبَّائِهِ)[1].

نسأل الله تعالى أن يتقبل من ذوي الشهيد ومن عموم المؤمنين الموالين هذا القربان الكريم ويسدّ هذه الثلمة.

محمد اليعقوبي – النجف الأشرف

٢٣ /ربيع الأول/ ١٤٣٧

٢٠١٦/١/٤

(١) مفاتيح الجنان : ٤٣٥

خطاب المرحلة

(٤٧٨)

الاصلاح الجاد يتطلب اراده وشجاعة وكفاءة[١]

الكثير يتحدث اليوم عن الاصلاح لكننا لا نجد اثراً لذلك على ارض الواقع بل بالعكس كلما ازداد الحال سوءاً نراهم يغرقون في الفساد اكثر وتظهر فظائع ادهى وأمّر من سابقاتها مما يكشف عن كون هذه الدعوات ليست صادقة ولا حقيقية وانما يتظاهر بها المدعّون بهدف ركوب الموجة او لتنفيس الضغط الذي مارسه الناس في التظاهرات او لذّر الرماد في العيون مكراً وخداعاً ونحو ذلك .

والسبب الرئيسي هو فقدان الاخلاص والإرادة الجدّية لمكافحة الفساد، قال السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) مرةً في احدى خطبه(كم من الصعب ان يكون الانسان انساناً صالحا) ثم اردف (وبنفس الوقت كم من السهل ان يكون كذلك لأنه لا يحتاج الى اكثر من الإرادة والباقي من الله تعالى) فاذا امتلك الارادة الصادقة والعزم الجدّي وعلم الله تعالى منه ذلك فان الله تعالى سيوفقه الى الخير والصلاح وسيعينه وضرب الله لنا مثلاً من اصغر وحدة ادارية وهي الاسرة، قال تعالى ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع حشد كبير من مكتب النخب والكفاءات في بغداد والذي يضم اساتذة جامعيين ومهنيين في مختلف الاختصاصات يوم ٢/ربيع٢/١٤٣٧ المصادف ٢٠١٦/١/١٣.

[النساء : ٣٥] فالخلافات بين الزوجين يمكن ان تحل بسهولة من دون أي طرف اخر اذا توفرت الارادة الحقيقة للإصلاح وسيشملهما الله تعالى بتوفيقه والطافه، ومن هذا المثال ننطلق الى الحالة الاوسع في السلطة والحكم او المشاكل الاجتماعية .

ان طريق الاصلاح محفوف بالمخاطر والصعوبات، منها باتجاه مقاومته للإغراءات التي سيبذلها الفاسدون ثمناً للسكوت على مفاسدهم، ومنها بلحاظ التهديدات التي يتلقاها ان لم يتوقف عن ملاحقة الفساد وفضح الفاسدين وقد تصل الى القتل، لذا ترى من المستهدفين بالقتل : القاضي والضابط الذين ينظرون في قضايا الفساد، والمهندس الذي لا يرضى ان يمضي صفقات الفساد ولا يوّقع على مشاريع غير مطابقة للمواصفات الفنية المطلوبة.

ولكي تنفذ مافيات الفساد المرتبطة بجهات سياسية اجنداتها في الاستمرار بفسادها والمحافظة على مصالحها اللامشروعة فإنها تسعى الى احكام قبضتها بالعصابات والمجاميع المسلحة وتعمل على ارباك الوضع الامني لانها تعتاش على بيئة الفوضى والاضطراب، واصبح من المألوف رؤية هذه المجاميع داخل المدن تتجول بالسيارات المظللة وبلا ارقام وربما بأرقام حكومية وفيها رجال مدججون بالسلاح جهاراً نهاراً لينفذوا عملياتهم من القتل والخطف والابتزاز مدعيّن عناوين شريفة كالحشد الشعبي ونحوه.

ان من المؤلم حقاً غياب او تغييب العناصر الكفوءة المخلصة المهنية وهي كثيرة في مجتمعنا وفي مختلف القطاعات المدنية والعسكرية لكن الصوت العالي المسموع والمؤثر هو للفساد والفاسدين لانهم لا يتورعون عن

سلوك أي طريق للوصول الى مآربهم ويتنازلون عن كل مقدس من دين واخلاق واعراف، ولكن علينا ان لا نشعر بالإحباط واليأس وان لا نتوقف عن العمل الدؤوب لإحلال الصالحين بدل الفاسدين وان نكون شجعاناً لنتحمل المسؤولية فان عملية الاصلاح تحتاج مضافاً لما تقدم الى شجاعة لاتخاذ القرارات الصعبة وان تشدَّ أزرك بشجعان ايضاً ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : ٦٢]، وقال تعالى ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود : ٨٠] أي الاستناد الى جهة شرعية قوية تعطي الزخم والقوة.

وبهذا ننصر الامام المهدي (عليه السلام) ونمهّد لدولته الكريمة لانها ليست دولة تعتمد على الغيبيات ولا الاحلام وانما هي دولة عدالة ونظام وانسانية ويقيمها رجال مؤهلون .

خطاب المرحلة

(٤٧٩)

(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)[١]

(الأنعام/٩٤)

قال تعالى في سورة الأنعام (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) (الأنعام/٩٤).

سورة الأنعام: من السور المكية وهي سورة جليلة غنية بالمعارف الالهية الموصلة الى الحقيقة التي خلقنا من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] وفسرها الامام (عليه السلام) بقوله (ليعرفون).

فتتحدث السورة عن محورية التوحيد وتذكر الادلة عليه وتحتج على المشركين وتبطل عقائدهم وتشرح حقائق المبدأ والمعاد. وقد وردت في فضلها أحاديث كثيرة[٢]، منها ما رواه الشيخ الكليني (قده) في الكافي بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (إن سورة الأنعام نزلت جملة، شيّعها سبعون الف ملَك حتى انزلت على محمد (صلى الله عليه وآله) فعظِّموها وبجِّلوها، فان اسم الله عز وجل فيها في سبعين موضعاً، ولو يعلم الناس ما في قراءتها ما تركوها).

وفي كتاب المصباح للكفعمي عن النبي (صلى الله عليه وآله)(من قرأها من أولِّها الى قوله

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع حشد كبير من الطلبة والشباب المنتظمين في الدورة الدينية والاخلاقية للعطلة الربيعية من مختلف محافظات العراق يوم الاحد ٢٧/ربيع٢/١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٢/٧

(٢) راجع البرهان في تفسير القرآن :٣/٣١٠.

(تكسبون) – نهاية الآية الثالثة – وكّلَ الله به اربعين الف ملَك، يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيامة) وغيرها من الأحاديث الكثيرة في آثار السورة المعنوية والمادية في سعة الرزق وشفاء الامراض والنجاة من النار.

(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا) تأكيد بعد تأكيد باللام (وقد) واستعمال الفعل الماضي لبيان حقيقة يفترض أنها مستقبلية إلا ان الحديث عنها بالماضي لتأكيد حصولها وكأنها أمر واقع مفروغ منه (جِئْتُمُونَا) أي عدتم الينا بعد أن أخذتم فرصتكم في العمل والحياة بحرية في الدنيا وكلنا عائدون الى الله تعالى (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (العلق/٨) (إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) (البقرة/١٥٦)، والخطاب من الله تبارك وتعالى الى عباده مباشرة عند الموت حيث ينتقل الانسان من عالم التكليف الى عالم الجزاء او عند البعث يوم القيامة وقد يكون الخطاب من الملائكة الى الناس عند قبض أرواحهم مؤدين عن الله تعالى.

(فُرَادَى) أي وحداناً مجردين عن كل شيء مما كان لكم في الدنيا فلم تصحبوا معكم القوة البدنية ولا المال ولا الاولاد ولا الشهادات ولا العناوين ولا المناصب ولا الجند والاعوان والسلاح وكل أسباب القوة مما كنتم تتباهون وتتبجحون به في الدنيا فلم يبق منها شيء يصحبكم الى ما بعد الموت.

(كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) كما كنتم فرادى مجردين من كل شيء حينما خلقناكم في بطون امهاتكم مع فرق انكم حينما خُلقتم كان لكم أبوان يتوليان رعايتكم أما في الاخرة فتواجهون مصيركم وحياتكم بمفردكم.

(وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ) خلفتم وراء ظهوركم ما خولناكم التصرف به في الدنيا مما ذكرنا آنفاً حيث كنتم تتوهمون أنكم تملكون شيئاً

وفي الحقيقة فأنكم لا تملكون شيئاً وإنما الملك الحقيقي لله تبارك وتعالى وقد خولّكم وأوكل اليكم التصرف في بعض ما أعطاكم في الدنيا من اموال وغيرها وقد رسم منهجاً وصلاحيات للعمل وفق هذا التخويل فمنكم من التزم بحدود التخويل ومنكم من خالف وبدرجات متفاوتة للفريقين وبالموت انتهى هذا التخويل فعادت الأمانة الى اهلها ولم تأخذوا معكم إلا اعمالكم الصالحة او السيئة ولم يبق لكم إلا كيفية تصرفكم في ما خولكم الله تعالى. فإن كان صالحاً أنتفعتم به نفعاً حقيقياً، وإن كان التصرف سيئاً بقيت تبعاته وآثامه وانتقلت الأموال والعقارات وغيرها الى الورثة فينطبق عليهم ما ورد في الدعاء (إلهِي ذَهَبَتْ أَيامُ لَذّاتِي وَبَقِيَتْ مَآثِمِي وَتَبِعاتِي)[1]. اما المؤمنون المطيعون فينطبق عليهم (ذهب العناء وثبت الاجر بفضل الله تعالى)

ولاحظ هنا المقابلة بين هذه الآية وقوله تعالى (وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ) (البقرة/١١٠) فعبّر عن الاعمال الصالحة وحسن التصرف بما خولّه الله تعالى بالتقديم لأنه يقدّمه امامه ويتزود به ليوم الحساب (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) (البقرة/١٩٧) فهو يعّمر به آخرته التي يتحول اليها، فهؤلاء لا يأتون فرادى، قال تعالى (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء/٨٨-٨٩) أما من أساء التصرف فيما خوّله الله فقد وصفه بأنه تركه وخلفّه وراء ظهره لأنه بعثره في دار الدنيا ولم يستفد منه في الآخرة وإنما سبب له العقاب والعذاب فهذه الآية خطاب للفاسقين والكفار

(١) ملحق الباقيات الصالحات في كتاب مفاتيح الجنان وهو دعاء شريف يدعى به في صلاة الوتر.

والمنافقين.

(وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ) كانت لكم في الدنيا زعامات وقيادات وآلهة صنعتها أوهامكم واهواءكم وتعصباتكم وخدعوكم بها تطيعونها وتضحّون من أجلها من دون أن تفكروا في كونها مع الحق أو غير ذلك وهل في اتباعكم لها رضا الله سبحانه أم لا، لكنها اليوم ليست معكم (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء) وهي لا تستحق أن تطاع او تتّبع لأنها مزيفة صنعها الاعلام او المال او المكر والخداع أو سدنة المعابد المستفيدون منها فقد كنتم تظنون انها ستشفع لكم وتنصركم وتنجيكم ولكن خابت ظنونكم.

(لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) فانقطعت تلك العلائق والمودة والالفة والاواصر القوية بينكم وظهر عجزكم عن نصرة بعضكم البعض وانفرط العقد الاجتماعي الذي بينكم لأنه ليس مبنياً على أساس صحيح ورجعتم الينا وحداناً.

(وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) ضاعت أحلامكم وأمانيكم وعقائدكم الفاسدة وتبّين أن الاسباب التي كنتم تتوسلون بها وتعتمدون عليها وتظنون أنها تدبر أموركم وتقضي حوائجكم سراب وخيال سواء كانت آلهة وأصنام من الحجارة والخشب أو رموز بشرية من زعامات دينية أو سياسية أو اجتماعية أو فكرية أو أهواء اتخذتموها الهة تطيعونها وتعبدوها من دون الرجوع الى حكم الله تعالى وشريعته، وضيّعتم أنفسكم وصارت عاقبتكم الخسران وظهر أمامكم ان الحق هو ما أخبركم الله تعالى به .

هذه الصورة التي تعرضها الآية لمشهد من مشاهد الآخرة اريد منها إيقاظ الانسان من غفلته حتى يحسب الامور بدقة (وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)

(الحشر/١٨) قبل ان تصحو على هذه الحقيقة ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ٢٢] وكان عليك قبل الان في الحياة الدنيا ان يكون بصرك حديداً وتدرك هذه الحقائق لتتدارك نفسك وتصلح حالك، اما انكشاف الحقيقة بعد الموت فانه بعد فوات الاوان على النفس ولا ينفعها الندم والحسرة.

ففي الآية موعظة وإرشاد الى اختيار القيادة الحقة التي توصلك الى الله تعالى وتدعوك الى التمسك بمنهج النبي محمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) والى صرف الجهود في إكتساب ما ينفع يوم القيامة ويحقّق الفوز والفلاح وعدم تضييع العمر في تحصيل الأمور التي لا قيمة لها في الآخرة (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً) (الفرقان/٢٣) .

ايها الشباب أنكم في بداية طريق المسؤولية وتحّمل التكاليف الإلهية فالتفتوا الى هذه الحقيقة وابنوا مستقبلكم على أسس صحيحة .

خطاب المرحلة

(٤٨٠)

ولقد كرمنا بني آدم (الإسراء:٧٠)
الكرامة المطلقة للإنسان (١)

تأكيد بعد تأكيد: باللام و (قد) وصيغة التفعيل[٢] لهذه الحقيقة الإلهية وهي الكرامة المطلقة للإنسان التي تعتبر من أهم الأصول التي تستند إليها القوانين والتشريعات، هذا التكريم الذي أعلنه الله تعالى لكل الخلائق في الحفل الذي أقيم عند بدء الخلقة الإنسانية للتعريف بخليفة الله تعالى في الأرض حيث أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم.

قد حسد إبليسُ الإنسان على هذا التكريم الإلهي، قال تعالى حكاية عن إبليس: [قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً] (الإسراء: ٦٢) أراد اللعين سلب تلك الكرامة منهم

---

(١) الخطاب الفاطمي السنوي الحادي عشر الذي القاه سماحة المرجع اليعقوبي(دام ظله) على جموع المعزّين بذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) في ساحة ثورة العشرين في النجف الاشرف يوم ٣/ج١٤٣٧/٢ المصادف ٢٠١٦/٣/١٣

((٢) ثم أردفها بقوله تعالى: [**وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**]، قال السيد الطباطبائي: (وهذا أيضاً أحد مظاهر التكريم فمثل الإنسان في هذا التكريم الإلهي مثل من يدعى إلى الضيافة وهي تكريم ثم يرسل إليه مركوباً يركبه للحضور لها، وهو تكريم ثم يقدم له أنواع الأغذية والأطعمة الطيبة اللذيذة وهو تكريم) (الميزان في تفسير القرآن: ١٥٤/١٥).

بصدهم عن سبيل الحق، فالكرامة الحقيقية هي الوعي بالحق وهو الطريق الذي يسلك به الإنسان إلى الله تعالى.

وتتفاوت درجات الكرامة عند الله تعالى بحسب درجة التقوى التي يتحلى بها الانسان قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] وإن الإنسان يزداد كرامة عند الله تعالى حتى يفوق مقامه الملائكة، ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (ما شيء أكرم على الله من ابن آدم)[١]، وفي الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمن، لأن الملائكة خدام المؤمنين)[٢].

وتشرح رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) تعليل ذلك في ما نقله عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم).

لقد تجلى هذا التكريم في كل أبعاد الإنسان، فجعل جسده [فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] (التين:٤) وفي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (صورة الآدميين وهي أكرم الصور على الله)[٣].

وزوده بالعقل وأدوات العلم والمعرفة ليبني الحياة ويعمّرها ويطوّرها وينمّيها بينما المخلوقات الأخرى في دورة حياة ثابتة وسلوك واحد من لدن

(١) ميزان الحكمة: ٣٣٣/١.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٣٣/١.

(٣) نور الثقلين: ٣٨٧/٣، ح ٣٠٨ عن تفسير القمي.

خلقها إلى قيام يوم الساعة.

وجعل ما في الأرض في خدمة الإنسان [وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ] (الجاثية:١٣) وعلّمه كيف يتمتع بالطيبات ويتفنن في صنعها والاستفادة منها.

ومن مظاهر تكريم الإنسان إعطاؤه حرية الاختيار والإرادة والقابلية على التكامل والسمو والارتقاء ثم بعث إليه الأنبياء والرسل وأنزل معهم الشرائع الإلهية ليدلّوه على طريق السعادة والفلاح وليستطيع التمييز بين الخير والشر والهدى والضلال، ولتحفظ كرامة الإنسان وحقوقه.

ان أوضح دليل على صحة وسلامة المنهج المتبع –أيً منهج حتى الاديان –هو سعيه لتحقيق كرامة الانسان وحفظ حقوقه بحيث يجد الانسان انسانيته فيه، اما مناهج التكفير والعنف والاستغلال والاستعباد والاستئثار بثروات الشعوب وقهرها فهي خارجة عن الدين وان تسمّت باسمه وادّعت الدفاع عنه، لان الاديان السماوية شُرّعت لحفظ انسانية الانسان وكرامته وسعادته .

روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (يقول الله تعالى: لم أخلقك لأربح عليك، إنما خلقتك لتربح علي، فاتخذني بدلاً من كل شيء، فإني ناصر لك من كل شيء)[1].

إن بيان القرآن لهذه الحقيقة يستهدف:-

١- تأسيس هذه القاعدة الأساسية التي تبنى عليها كل القوانين والأنظمة والتشريعات حتى الدين نفسه وهي كرامة الإنسان التي هي فوق كل شيء

(١) ميزان الحكمة: ٣٣٤/١.

وأي قانون أو تشريع يتعارض مع هذا الأصل أو يتنافى مع حقوق الإنسان التي وهبها الله تعالى لبني آدم يجب أن يُلغى أو يُعدَّل.

٢- إلفات نظر الإنسان إلى عظمة مكانته عند الله تعالى وما حباه الله من نعم ليحترم نفسه ويحافظ على طهارتها ونقائها ولا يبيعها بثمن بخس، في الحديث الشريف: (من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته)[1].

فالتفات الإنسان إلى هذه الحقيقة يعطيه الثقة بنفسه ويعينه على الثبات والاستقامة، وهذه من الوسائل المهمة في التربية الصالحة.

٣- لا تخلو الآية من عتاب للإنسان على تمرده وعصيانه على ربه الذي أكرمه بأفضل ما يكون الإكرام وأغدق عليه من النعم حتى صار الإنسان يقيِّم ربَّه على أساس ما يعطيه من نعم مادية [فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن] (الفجر:١٥-١٦).

وهذه الكرامة للإنسان هبة من الله تعالى وإن الإنسان قد يحافظ عليها ويعطيها حقها، وقد يستخف بها ويتنازل عنها قال تعالى: [وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ] (الحج:١٨) لذا على الإنسان أن يحفظ كرامة نفسه وأن يحفظ كرامة الآخرين بنفس الدرجة، فليس له أن يتنازل عن كرامته أو أن يذل نفسه أو أن يتخلى عن حقوق الإنسانية، في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله تبارك وتعالى فوَّض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه) وعنه (عليه السلام) قال: (لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه) فقيل له: وكيف يذل نفسه؟ قال

(١) نهج البلاغة: ج٤، ح٤٤٩.

(عليه السلام): (يتعرض لما لا يطيق) وفي رواية أخرى (يدخل فيما يُعتذر منه)[١].

ويوصينا الأئمة (عليهم السلام) دائماً بحفظ كرامتنا وعزتنا والترفع عن فعل ما ينافيهما وإن بدا محبباً إلى النفس وموافقاً للشهوات، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى رغبة، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)[٢].

إن كرامة الإنسان تتوفر بتمتعه بحقوقه في الحياة من الحرية والأمن والاستقرار والرفاء وسائر مستلزمات الحياة الكريمة، لكنها تكتمل بأمرين:

١- الالتزام بالدين، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن الله قد أكرمكم بدينه وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه)[٣]، وروي عنه (عليه السلام) قوله: (كل عز لا يؤيده دين مذلّة).

٢- طاعة الإمامة الحقة والقيادة المنصوبة من الله تعالى بالحجة الشرعية، فقد جاء في الآية التالية لآية التكريم هذه قوله تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً](الإسراء:٧١) وهذا شاهد على ارتباط كرامة الإنسان وانسانيته باتباع الإمامة الحقة[٤].

---

(١) ميزان الحكمة: ٣٦٤/٣.

(٢) تحف العقول: ٧٧.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٣٤/١.

(٤) روى الكليني بسنده عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن ابيه الحسين (عليه السلام) انه اجاب رجلا سأله فقال : (أما قولك: أخبرني عن الناس، فنحن الناس ولذلك قال الله تعالى ذكره في كتابه: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فرسول الله صلى الله عليه وآله الذي أفاض بالناس.

وقد وصف الله تعالى عباده المكرمين بقوله: [بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ] (الأنبياء:٢٦-٢٧) فهذه هي صفاتهم: متنزهون عن اتباع الشهوات التي تذل الإنسان وتهينه، دائبون في طاعة الله تعالى فاستحقوا منه المقام الرفيع [يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ] (يس:٢٦-٢٧).

إن اعتداء الإنسان على كرامة أخيه الإنسان وسلبه حقوقه تبدأ من حين تخلي الإنسان عن كرامته الشخصية واتباعه لشهواته ورضاه بعبودية نفسه الأمّارة بالسوء أو طاعة غيره من العبيد، عن الإمام الهادي (عليه السلام) قال: (من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه) وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (أذلّ الناس من أهان الناس).

إن كرامة الناس كل الناس لا تتحقق إلا في دولة الإنسان وذلك عندما يسود القانون الكريم على يد القائد الكريم وحينما تقام الدولة الكريمة التي تحفظ للجميع حقوقهم وتقوم على أساس المبادئ الإنسانية العليا، فدولة الإنسان أسمى وأرقى من دولة القانون؛ عندما لا يكون القانون صالحا وانما يشرّعه الناس لرعاية مصالحهم الضيقة ووفق رؤيتهم المحدودة والقاصرة ، ولا يكون صالحا الا اذا حفظ كرامة الانسان، لذا كان من الدعاء الذي علّمه الإمام (عليه السلام) لشيعته: (اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة)، أما الدولة التي لا تقوم

وأما قولك: أشباه الناس، فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منا (وهم اشباهنا ل خ) ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: (فمن تبعني فإنه مني) ، وأما قولك: النسناس، فهم السواد الاعظم واشار بيده إلى جماعة الناس ثم قال:(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) الكافي : ج٨، ص٢٤٤، ح٣٣٩.

على أسس الكرامة الإنسانية فإنها تؤول إلى تسلط الأشرار والفاسدين واستعباد الناس ومصادرة حرياتهم والاستئثار بأموالهم وحرمانهم من مظاهر الحياة الكريمة.

أيها المؤمنون الموالون:

لقد كان موقف السيدة الزهراء (عليها السلام) نوعياً بكل معنى الكلمة وفي مرحلة استثنائية من حياة الأمة التي قُدّر لها أن تقود البشرية جميعاً، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾ [آل عمران : ١١٠]، تلك المرحلة التي شكّلت فيصلاً بين خط الكرامة الإنسانية التي وهبها الله تعالى للبشر، وخط الذلة والهوان والفساد والانحراف الذي يزداد انحطاطاً كلما مرّ الزمن.

فوقفت السيدة الزهراء (عليها السلام) موقفها العظيم في ذلك الجو الرهيب لتحفظ كرامة الإنسان والأمة التي جاء بها النبي (صلى الله عليه وآله) من الله تعالى، لكن الفترة التي قضاها النبي (صلى الله عليه وآله) في أمته لم تكن كافية لتطهير مجموع الأمة من رواسب الجاهلية وأغلالها وعصبياتها، وإن الأصنام المنصوبة في الكعبة وإن حُطّمت يوم الفتح، إلا أن الأصنام المصنوعة في النفس الأمارة بالسوء من التعصب والجهل والانانية كانت موجودة ومحرّكة لسلوكيات الكثيرين، فكان القيام الفاطمي معزّزاً بعناصر التأثير والصدمة[1] التي أحدثتها السيدة الزهراء (عليها السلام) مكمِلاً لرسالة الإصلاح والتطهير التي أداها النبي (صلى الله عليه وآله) من أجل تحرير الإنسان وتكريمه.

ومن أهم معالم الحياة الإنسانية الكريمة التي دافعت عنها الزهراء (عليها السلام)

(١) كهيئة خروجها من المسجد وانينها وبكائها وفصاحتها في الخطاب وحججها البالغة (عليها السلام).

استمرار دولة الإنسان الكريمة التي أسسها النبي (صلى الله عليه وآله) وضَمِن ديمومتها بالقيادة الربانية التي اختارها الله تعالى المتمثلة بأمير المؤمنين (عليه السلام) ومما قالت (سلام الله عليها) في وصف الحياة الإنسانية الكريمة في ظل هذه القيادة الإلهية وما تنعم به الأمة من بركات فيما لو انصاعوا للحق ووّلوا امير المؤمنين (عليه السلام) : (ولسار بهم سيراً سُجحاً –أي سهلاً- لا يكلم حشاشه ولا يكل سائره، ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً، روياً، تطفح ضفّتاه، ولا يترنق –أي يتكدر- جانباه ولأصدرهم بطاناً –أي شبعانين- ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ولا يحظى منها بنائل غير ري الناهل وشبعة الكافل) [1] أي لا يبقي لنفسه شيئاً دون الأمة كالأب الرحيم الكافل للعائلة فانه يكتفي بالقوت ويعطي ما عنده لعائلته .

وبالمقابل حذرتهم من تداعيات الابتعاد عن منهج الكرامة الإلهية ومما قالت (عليها السلام): (وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم! [أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ] (هود : ٢٨)) فهذه هي نتائج عدم إقامة الدولة الكريمة : فتن وصراعات وهدر للأموال وفوضى عارمة واستبداد الحكام وفقدان للأمن والاستقرار والنظام.

أيها الأحبة:

لاحظوا المصداقية الكاملة لكلام السيدة الزهراء (عليها السلام) فيما نعيشه اليوم وفي كل يوم، وهكذا يجب أن نتدبر في كلماتها (عليها السلام)ونستفيد منها في معالجة

(١) الاحتجاج: ١٣٩/١.

مشاكلنا ووضع البرامج الصحيحة لحياتنا، أما الاقتصار على ذكر مظلومية الزهراء (عليها السلام) دون التعرض لبيان أهداف حركتها فإنه تقصير في حقها وفي فهم رسالتها المقدسة، فقد كانت (سلام الله عليها) مكمّلة لدور أبيها وبعلها (صلوات الله عليهما) في مشروع بناء دولة الإنسان التي تكون فيها القيمة العليا للإنسان وتُراعى حقوقه في كل القوانين والأنظمة والدساتير، ولا مجال فيها للاستبداد والاستئثار والتخلف والجهل، وتتحقق نصرتنا للسيدة الزهراء (عليها السلام) بمقدار مساهمتنا في إنجاح مشروعها العظيم.

وإننا إذ نعيش هذه المرحلة الاستثنائية في حياة البشرية وهذه الانطلاقة المباركة للعقيدة التي آمنا بها بعد قرون طويلة من القهر والاضطهاد والحصار يكون المطلوب من السائرين على نهج الزهراء (عليها السلام) القيام بالعمل النوعي الذي أرست دعائمه، وعلينا أن نصنع لأنفسنا هذا الدور كالأفذاذ في كل جيل، وليس ننتظر أن يصنعه غيرنا ثم يكلّفنا به، ولا يُنال ذلك الا بتوفيق الله الكريم .

خطاب المرحلة

(٤٨١)

(ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) (١)

(الروم-٥٤)

سورة الروم غنية بالآيات التي تدعوا الناس الى التفكر بآيات الله والتدبر فيها للارتقاء بمعرفة الله تعالى ومنها قوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) (الروم-٥٤).

والآية تشير الى المراحل التكوينية التي يمر بها الانسان، (خلقكم من ضعف) يبدا من ضعف النطفة وهو الماء المهين الذي يتكون منه ويلقح البويضة فتكون علقة تتغذى من جدار رحم الام ثم تتكاثر وتزداد وتتحول العلقة الى مضغة وهي قطعة لحمية صغيرة ثم يخلق الله تعالى العظام ويتكامل نموه، وهو في كل مرحلة من المراحل كائن ضعيف لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ويأتيه رزقه من امه وينمو جسمه بلا ارادة منه .

ثم يولد ويخرج الى الدنيا وهو لا يزال ضعيفاً لا يقدر على شيء فقيّض الله تعالى له والدين شفيقين رحيمين محبين له يتوليان رعايته وتربيته ويجلبان له الخير ويدفعان عنه الضرر وخلال ذلك يتقلب في هذه الحالات من الضعف.

(ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) حينما تكتمل قواه الجسدية –البلوغ –

(١)من حديث سماحة المرجع اليعقوبي مع حشد كبير من طلبة جامعة ميسان يوم السبت ٤/ج١٤٣٧/١ المصادف ٢٠١٦/٢/١٣

والعقلية – بالرشد وحسن التصرف – وعلمية – بالتجربة والتعلم – ثم تضاف له قوى اخرى، مثلا – المالية – عندما يبدأ بالكسب والعمل –، والاجتماعية – حينما يصبح في موقع او يكون له عنوان اجتماعي او جاه معروف به – والثقافية – بما تزود من علوم ومعارف – وهكذا تجتمع عنده اسباب القوة التي عبّر عنها الله تعالى في مواضع عديدة ببلوغ الاشّد (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) (الأحقاف – ١٥)(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) (يوسف–٢٢).

(ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً) حيث يؤول امره الى الضعف فيظهر عليه وهن الكهولة والشيخوخة وربما يبتلى بالأمراض ولم يعد بتلك القوة حينما كان يركض ويقفز بخفة ونشاط فاصبح يتوكأ حينما يقوم، وتضعف ايضا قواه الذهنية فيفقد قوة الحافظة الى كانت في شبابه حينما كان يحفظ القصيدة الطويلة عن ظهر قلب ويطالع كتبه الدراسية ويجيب عن كل سؤال يوجه اليه، اما اليوم فلا يقدر على شيء من ذلك بل لم يعد يحتفظ بالمعلومات التي كانت عنده، وربما يصاب البعض بالخرف وفقدان الذاكرة او ما يعرف بالزهايمر، فيعود امره من جديد الى الضعف ولكن هذا الضعف اشد من ضعف الطفولة لذا قرن معه (و شيبة) للإشارة الى هذا الفرق فقد كان ضعف الطفولة متجها نحو الصعود والتكامل وخيره مقبل وكان معه والدان يداريانه، اما ضعف الشيبة ففي طريق النزول ومزيد من الضعف وفقدان القوى وليس عنده مثل رحمة الوالدين وشفقتهما قال تعالى (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ) (يس – ٦٨) .

وقال تعالى في اشارة لهذا النزول (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ

لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) (الحج-٥) فاذا كان عنده علم لكنه لما امتد به العمر طويلا فقد تلك المعلومات .

بعد هذا الشرح الموجز للآية نستخلص عدة رسائل موجهة من خلالها:.

الاولى : قدرة الله تبارك وتعالى الذي خلق الانسان عبر هذه المراحل التكوينية، وعلمه تعالى الذي اتقن الصنع بهذه الكيفية البديعة من دون ان يشاركه أحد (يخلق ما يشاء)، ولذا ختمت الآية بقوله تعالى (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)، وهكذا كل الآيات تنتهي بالأسماء الحسنى المناسبة لمضمون الآية، ويحكى ان احدهم قرأ اية (والسارق والسارقة) الى ان ختمها بقوله تعالى (والله غفور رحيم) فانكر احد الحاضرين ان تكون نهاية الآية هكذا وطلب من القارئ اعادة قراءتها في المصحف فاذا هي (عزيز حكيم) فقال هذا صحيح لان الامر بقطع اليد يناسبه هذه الاوصاف وليس الغفور الرحيم الذي يناسب العفو والصفح لا القطع .

الثانية : رسالة موعظة الى الناس ان لا يغتروا بما عندهم ولا يطغوا لمجرد حصولهم على شيء من اسباب القوة (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى) (العلق-٦/٧) فيظلمون ويعتدون ويظنون انهم قادرون على فعل كل ما يحلو لهم، فهذه القوة لم تكن موجودة ثم وجدت وهي بعد ذلك تضمحل وتصير الى الضعف، والانسان عاجز عن تغيير هذا الانتقال في المراحل ، والاحتفاظ بقوته وشبابه مدى الدهر (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)(الأحزاب-٦٢).

وهذه الرسالة ليست موجهة الى الافراد فقط بل الى الامم والدول ايضاً التي تغتر بقوتها وجبروتها فتتفرعن وتملأ الارض ظلماً وعدوانا وهي كالإنسان

بدأت من ضعف ثم قويت ثم يؤول امرها الى الضعف والانهيار كما هو شأن كل الممالك والامبراطوريات عبر التاريخ فيسمون اوربا اليوم القارة العجوز بعد ان كانت في عنفوان القوة وتبسط سيطرتها من الشرق الاقصى الى الامريكيتين في الغرب الاقصى وهكذا كل الزعامات التي تغتر بكثرة الاتباع كرؤساء العشائر او بقوة المنصب لدى بعض الكيانات السياسية فيطغى ويطلب الدنيا من غير طرقها المشروعة، فعليه أن يأخذ الموعظة من تقلب أحواله ليعرف ان هذه القوة التي عنده ستزول فلا يغتر بها ويطغى ويظلم.

الثالثة: رسالة تطمين لمن في حالة الضر والمعاناة ورسالة تحذير لمن في حالة الرفاه والدعة وبحبوحة العيش بأنه لا يدوم حال على ما هو عليه كما قيل في المثل (دوام الحال من المحال) فمن كان يمر ببلاء وصعوبات وشدة وتظلم الدنيا في عينيه عليه ان لا ييأس ويشعر بالإحباط لان الفرج وزوال البلاء متوقع في كل لحظة، والدنيا متقلبة بأهلها حالاً بعد حال (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) (الشرح-٦) فليتمسك بالأمل ولينتظر الفرج وسيأتي ذلك اليوم وتصبح معاناته في خبر كان كما يقال.

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ومن كان في سعة من الحياة ودعة من العيش عليه ان يحذر تبدّل هذه النعمة او زوالها في أي لحظة فيفقد المال او الصحة او المنصب او الجاه او الاتباع أو أي شيء آخر فعليه أن يحذر الدنيا ولا يسكن اليها وإن أقبلت عليه فكم من شخص كان هكذا ثم ادبرت عنه ولربما لأسباب مجهولة أو خارجة عن إرادته ولا يستطيع تفاديها.

كانت الدولة العباسية في أوج زهوها وانتشارها من حدود الصين شرقاً الى غرب افريقيا وكان هارون على رأس هذه الدولة مملوءً بالزهو والاستعلاء، لكنه في ريعان الشباب واقصى زهو السلطة مرض واشرف على الموت فأمر بحفر قبره وكان يقف عليه ويقرأ الآيات الكريمة (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ) (الحاقة- ٢٩/٢٨).

هذه الرسائل ضمنّها الامام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة وفيه قوله (عليه السلام) (اِلهى اِنَّ اخْتِلافَ تَدْبيرِكَ، وَسُرْعَةَ طَوآءِ مَقاديرِكَ، مَنَعا عِبادَكَ الْعارِفينَ بِكَ عَنْ السُّكُونِ اِلى عَطآء، وَالْيأْس مِنْكَ فى بَلاء)[1].

هذا الاختلاف في الاحوال بتدبيرك فساعة في غنى واخرى في فقر وساعة في عافية واخرى في مرض، وساعة في قوة وأخرى في ضعف وساعة في ليل واخرى في نهار، وساعة في صيف وأخرى في شتاء، وهكذا غيرها، فهذا التبدل والتغيّر الذي يجري بسرعة منع المؤمن الذي له بصيرة في الامور ومعرفة بالله تعالى من أن يطمئن الى حال حسنة ويسترخي لها، ولا ان يصيبه اليأس إذا مرّ بحال سيئة. وفي الحديث (الليل والنهار يبلّيان كل جديد) وما اسرعهما .

وبالالتفات الى هذه الحقائق تزداد المعرفة عند الانسان، والمعرفة هي اساس التفاضل عند الله تبارك وتعالى، ودعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة غنيٌ بهذه المعارف الالهية، ومنه قوله (عليه السلام) بما يرتبط بحديثنا (آلهي عَلِمْتُ بِاِخْتِلافِ الأثارِ، وَتَنقُّلاتِ الأطْوارِ، اَنَّ مُرادَكَ مِنّى اَنْ تَتَعَرَّفَ اِلَىَّ في كُلِّ شَيء،

(١) مفاتيح الجنان : ٣١١.

حَتّى لا اَجْهَلَكَ في شَيء)[١] فاختلاف الاثار أي آيات الله في خلقه من ليل ونهار وشتاء وصيف وغير ذلك، ومن تنقلات الاطوار بين شباب وشيخوخة وعافية ومرض وغنى وفقر يُراد منه ان يتعرف الانسان على صفات ربه الحسنى حتى يتأدب بأدب العبودية قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات/٥٦) وفسرها الامام الحسين (عليه السلام) في بعض ما روي عنه أي (ليعرفون)، قال الشاعر:

وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد

فالإنسان يقف عاجزاً أمام هذه الحركة الكونية ولا يملك إلا ان يكون جزءاً من هذا التدبير فيتيقن ان وراء هذه الحركة مدّبر حكيم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : (عرفت الله بفسخ العزائم، وحل العقود، ونقض الهمم)[٢].

وانما على الانسان ان يغتنم حال القوة التي يكون فيها ويستثمرها في طاعة الله تعالى قبل فوات الفرصة فان إضاعة الفرصة غصة – كما قيل – والملفت ان الآية اطلقت كلمة قوة ولم تحددّها لتبقى مفتوحة على كل الصور الممكنة لها، فالصحة قوة والشباب قوة والمال قوة والجاه قوة والعلم قوة والمنصب قوة وكثرة الاتباع قوة وهكذا.

وقد جمع النبي (صلى الله عليه وآله) في وصيته لابي ذر (رضوان الله تعالى عليه) عدة مصاديق وحالات للقوة وأمرهُ باغتنامها قبل زوالها كلها او بعضها وتحولها الى نقيضها قال (صلى الله عليه وآله) فيما روي عنه : (يَا أَبَا ذَرٍّ : اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ

(١) مفاتيح الجنان : ٣١١.

(٢) نهج البلاغة قصار الكلمات رقم ٢٥٠.

:شَبَابَكَ : قَبْلَ هَرَمِكَ .وَ صِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ . وَ غِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ . وَ فَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ .وَ حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)[١].

والوصية كما يظهر موجهة بشكل اساسي الى الشباب[٢] الذين وصفتهم الآية في حال قوةٍ وأن كانت الوصية عامة للجميع ويمكن القول ان الحديث ليس في مقام حصر حالات القوة ومظاهرها بهذه الخمسة فيمكن ان يشمل الحديث كل عناصر القوة الاخرى فيمكن ان نقول (واغتنم علمك قبل جهلك) لان العلم قوة ونور وربما يؤول أمره الى الضياع كما في الآية المتقدمة (لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً) (النحل/٧٠) فعليه ان يستثمر علمه من خلال العمل به لإصلاح نفسه ومجتمعه أولاً ونشره بين الناس ثانياً لان زكاة العلم انفاقه، وبتنميته وزيادته ثالثاً (رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه/١١٤) لذلك تجد العلماء يعمرون طويلاً ويبقون الى آخر عمرهم يدرسّون ويؤلفون ويبحثون ويقدّمون أحدث الابداعات العلمية.

وهذه الحقيقة أكدها الاطباء وقالوا أن العلاج من الإصابة بالخرف والزهايمر بالشيخوخة يكون بمواصلة المطالعة والقراءة.

(١) مكارم الاخلاق ٦٢٦.

(٢) راجع شرحها في خطاب سابق بعنوان اغتنم شبابك.

خطاب المرحلة

(٤٨٢)

مباركة الدعم اللوجستي للمجاهدين[١]

ان العمل القتالي يحتاج الى جهود ساندة ليديم زخم المعركة والمواجهة مع الاعداء، منها الدعم المعلوماتي والاستخباراتي والاداري والمالي والسياسي والاعلامي وغير ذلك، ولا شك ان ما يعرف بالدعم اللوجستي يشكّل حلقة مهمة في المعركة لأنه يوّفر للمقاتل احتياجاته الخاصة من طعام وشراب وتجهيزات ولوازم أخرى، وما لم تُسَّد حاجة المقاتل منها فانه لا يتوجه بكلّه الى المعركة وينشغل عنها بهذه التفاصيل.

وقد قام شعبنا بدور حيوي في تقديم هذا الدعم برغم المحنة والمعاناة التي ترهقه، حيث تجد قوافل الدعم والاسناد تتقاطر على جبهات القتال وتصِّر على الوصول الى خطوط القتال المتقدمة، وربما صادف وجودها عمليات عسكرية فتشارك فيها مواساة لإخوانهم المجاهدين ورغبة في نيل شرف المشاركة معهم، وقد ورد في الحديث الشريف (الراضي بفعل قوم كالداخل معهم فيه)[٢] فكيف بمن شاركهم فعلاً ووقف الى جانبهم، فيجب أن تحفظ أهمية هذه القوافل ودورها في الجهد الحربي.

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع قافلة النصر والسلام من مختلف المحافظات لدعم المقاتلين في معارك تحرير المدن العراقية من دنس ارهابيي (داعش) يوم الاربعاء ١/ج١/١٤٣٧ المصادف ٢٠١٦/٢/١٠.

(٢) وسائل الشيعة :ج ١٦،باب ٥، ح١٢.

هذا من الناحية المادية، ومن الناحية المعنوية فأن شعبنا يواصل الدعاء للمجاهدين بدعاء الامام السجاد (عليه السلام) للمرابطين على حدود بلاد المسلمين وأدعية الفرج وطلب النصر في المجالس والمحافل، وهذا كله من القوة التي أمر الله تعالى بإعدادها في المواجهة (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) (الأنفال/٦٠).

ومن الدعم المعنوي الثناء عليهم والاشادة بجهودهم والدفاع عنهم في قبال الهجمة الاعلامية الشرسة التي تشنها بعض وسائل الاعلام لتشويه صورة الحشد الشعبي وتسقيطه وهزيمته معنوياً، مستغلين بعض التصرفات الفردية التي تصدر من البعض جهلاً او انفعالاً غاضباً من دون تروّي وقد يكون من بعض المحرضين المندسين بهدف الاساءة الى هذا الجهد المبارك لذا وجّهنا المقاتلين الى التفقه في الدين ومعرفة أحكام وآداب عملهم وأمرنا بمرافقة المرشدين الدينيين للمجاميع القتالية لتحسين أدائهم وترشيده.

واذكر لكم بعض الروايات المحفّزة للمساهمين في الدعم اللوجستي:

(منها) عن الامام الصادق (عليه السلام) قال :(ثلاثة دعوتهم مستجابة : أحدهم الغازي في سبيل الله فأنظروا كيف تخلفّونه)[1] لاحظ كيف ان من يخلّف المجاهد بخير في أهله او عمله ويقف الى جانبه ويسدّ احتياجاته فأنه يحظى بدعوة مستجابة من المقاتلين خصوصاً في ساحة المعركة وما أحوجنا الى مثل هذه الدعوة المستجابة، وهنا ننبّه المجاهدين الى ذكر اخوانهم بالدعاء في مختلف الحوائج وكلّما وسعوا في دعائهم وسَّع الله تعالى لهم في عطائه.

(١) وسائل الشيعة : ٢١/١٥ ابواب الجهاد، باب ٣.

(ومنها) ما رواه الامام الصادق (عليه السلام) عن أبيه الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من بلّغ رسالة غازٍ كان كمن أعتق رقبته وهو شريكه في ثواب غزوته).

يحتاج المجاهد البعيد عن اهله الى من يوصل له أخبارهم ويطمئنه عليهم او ينقل رسالة او خبراً منه اليهم فيحصل الناقل على الثواب العظيم المذكور في الرواية.

(ومنها) عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أغتاب مؤمناً غازياً او أذاه أو خلّفه في أهله بسوء نصب له ميزان عمله يوم القيامة فيستغرق حسناته ثم يركس في النار إذا كان الغازي في طاعة الله عز وجل).

لاحظ الجريمة الكبيرة التي يرتكبها البعض حينما يقابل تضحيات المجاهدين بأرواحهم وتحملّهم الغربة والمعاناة والجوع والعطش من أجل أن يحرّروا الانسان ويطهروا الارض من أرجاس التكفيريين ويعيدوا لأهل المناطق المغتصبة حريتهم وكرامتهم، تجد البعض من أهل تلك المناطق يقف متفرجاً ويكيل التهم الجزافية للحشد الذي يضحي ويقطع المسافات الطويلة من الجنوب والوسط لتحريره، وهذا ليس من المروءة ولا من الانصاف علماً أننا لم نسمع منهم هذا التباكي والمناداة بالويل والثبور عندما كانت مدنهم ترزح تحت سلطة الاشرار.

فمثل هؤلاء جزاؤهم خزي في الدنيا وهذا العذاب الكبير الذي تذكره الرواية في الاخرة.

(ومنها) ما ورد في دعاء الامام السجاد (عليه السلام) للمرابطين في ساحات المواجهة (اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيْهِ فِيْ غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعتَادٍ، أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَادٍ، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَآئِهِ حُرْمَةً. فَأَجْرِ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ وَمِثْلاً بِمِثْلٍ وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ، وَسُرُورَ مَا أَتَى به، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَى مَا أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ)[1].

والحمد لله نحن نرى شرائح المجتمع كافة تساهم في هذه الحركة المباركة بين متمول يتبرع وشباب يجمعون وينقلون بهمة عالية وجهد دؤوب، تقبّل الله تعالى عمل الجميع وأحسن لهم الجزاء.

(١) الصحيفة السجادية دعاء الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) لأهل الثغور.

خطاب المرحلة

(٤٨٣)

(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ)[1]
(ابراهيم/٥)

يبّين هذا المقطع من الآية احدى وظائف الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) والقادة الدينيين ومن سار على نهجهم وهو تذكير الناس بأيام الله تعالى.

الايام كلها لله كما ان كل شيء في الوجود لله تعالى (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) (البقرة/٢٥٥) (وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (النحل/٥٢) (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) (الأعراف/٥٤) لكن الله تعالى يعلم ان الانسان يغفل وينهمك في تفاصيل حياته فينشغل عن مراجعة علاقته بربه فيحتاج الى محطات زمانية او مكانية أو فعلية تجدّد هذه العلاقة وتعطيها زخماً وحيوية جديدة فجعل اياماً وأمكنة ومشاعر وشعائر لتحقيق المزيد من القرب لربه والالتفات الى قضيته الكبرى، والله تعالى لم يغب عن عباده وعن خلقه لكنهم هم الذين يغفلون عنه (متى غبتَ حتى تحتاج الى دليل يدلُ عليك).

وهذه سيرة تعلّمها العالم المتحضر فجعل أياماً لقضاياه المهمة فيوم للأم ويوم للمرآة وآخر للعامل والبيئة ونحو ذلك لتجديد الاهتمام بهذه القضايا وإجراء مراجعة لطبيعة العلاقة معها وإلا فأن الاهتمام بهذه القضايا مطلوب على

(١) كلمة ألقاها سماحة الشيخ المرجع (دام ظله) في مكتبه يوم الخميس ٢٨/ج١٤٣٧/٢ المصادف ٢٠١٦/٤/٧ بمناسبة استقبال شهر رجب.

الدوام.

والسؤال ما هي الخصوصية في هذه الايام حتى أصبحت أيام الله؟ والجواب: لأنَّ الله تعالى يتجلى لخلقه في هذه الايام بصفاته الحسنى.

ففي يوم ميلاد النبي (صلى الله عليه وآله) وبعثته تجلت رحمة الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء/١٠٧) (قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ) (يونس/٥٨) وفي يوم الغدير تجلت حكمة الله تعالى وشفقته على عباده، وفي يوم عاشوراء تجلت عظمة الله تعالى حينما تستعظم ما قدمه الامام الحسين (عليه السلام) لله تعالى، ويتجلى حلم الله تعالى إذ لم ينزل نقمته وبأسه على الأشرار، ويتجلى ما يمنّ به على عبادّه المصطفين من التوحيد الخالص والفناء في محبة الله تعالى وفي يوم فتح مكة وعندما يظهر الحجة القائم (عجل الله فرجه) يتجلى نصر الله وفتحه على عباده المؤمنين، ويتحقق وعد الله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور/٥٥) وفي اي يوم يتحقق فيه إنجاز للبشرية يسعدها ويرّفه حياتها ويخلّصها من معاناتها من الفقر او المرض او الخوف وغيرها تتجلى قدرة الله تعالى إذ زوّد البشرية بهذا العقل المبدع وما يتفق عنه من علوم حتى ألف مجموعة من علماء الغرب كتاب (الله يتجلى في عصر العلم)، وحينما أغرق فرعون وجنوده وأهلكت عاد وثمود وصدام تجلت عدالة الله تعالى وإنتقامه، وإذا مات إنسان تجلّت صفة (القّهار) كما في الدعاء (الحمد لله الذي

قهر عباده بالموت والفناء) وتجلّت صفة (الباقي) لله تعالى (فان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون) بحسب المروي عن الامام الحسين (عليه السلام) فالاحتفال بهذه الأيام واستذكار ما جرى فيها إنما هو امتثال لهذه الآية الشريفة وتجديد لذكر الله تعالى.

وقد تعدّدت الروايات في تفسير هذه الآية بمعاني متعددة إشارة الى هذه المناشيء المتعددة لتسمية الأيام بأيام الله تعالى فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (أيام الله نعماؤه وبلاؤه وهي مَثُلاتُه[1] سبحانه)وروي عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (أيام الله عز وجل ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرّة – أي الرجعة – ويوم القيامة) وعن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال (ذكرّهم بنعم الله سبحانه في سائر أيامه)[2].

أقول: بقية الآية ونهايتها تشعر بهذا المعنى قال تعالى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم/٥)، فالصبر على البلاء والشكر على النعماء.

وقد يضيف الله تعالى بعض الأيام الى نفسه ليزيد فيها من عطائه الخاص على عباده فيدعوهم الى ذكره ودعائه ليذكرهم برحمته وكرمه وعفوه ومغفرته (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) (البقرة/١٥٢) كيوم عرفة وشهر رمضان ومنها هذه الايام التي أطلّت علينا مع حلول شهر رجب المرجو لكل خير كما في الدعاء المستحب فيه يومياً (يا من أرجوه لكل خير وآمن سخطه عند كل

(١) من قوله تعالى (وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ) (الرعد/٦) أي النقمات التي تجعل من تنزل به مثالاً يرتدع به الآخرون.

(٢) تفسير البرهان : ٢٣٣/٥.

شهر)، فقد شرّف الله تعالى هذه الايام وبارك فيها من الطافه ودعاهم الى التعرض لنفحاته (إن لله في دهركم نفحات الا فتعرضوا لها)[١]، أي تعرضوا لأسبابها من الأزمنة والامكنة والاحوال المختلفة لأن نفس النفحات من الغيب الإلهي ولا يعلمها العباد فكيف يتعرضون لها؟

فكل أيام هذه الأشهر الثلاثة (رجب وشعبان ورمضان) شريفة ومباركة وسنّ لها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أعمالاً مستحبة كثيرة، وتتلألأ خلالها أيام اشد نوراً وعطاءاً ومنها اليوم الاول من رجب وليلته، في الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام) عن ابائه عن علي (عليه السلام) قال (كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليالٍ في السنة، وهي أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة النحر)[٢].

وفي الختام نقول ان الآية الكريمة تدعو جميع المؤمنين الرساليين أن يتأسوا بالأنبياء العظام والأئمة الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) فيذكرّون الناس بأيام الله تعالى، تلك الايام التي تربطهم بالله تعالى وتزيد معرفتهم به وتوثق علاقتهم بربهم.

(١) أنظر خطاب المرحلة (٢٥٥) موجبات الرحمة الإلهية.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٧٦ أعمال الليلة الاولى من رجب.

خطاب المرحلة

(٤٨٤)

(وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)[١]
الحج/٣٢

نحاول فهم الآية ودلالتها وما نستفيده من دروس من خلال نقاط :

١- (شعائر) جمع (شعيرة) وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: يُقال للواحدة (شَعارة) وهو أحسن من (شعيرة) وهي العلامة الدالة التي تُدرك ولكن بلطف ودقة، فشعائر الله كل ما دلّ على الله تعالى وكان علماً لطاعته والاشعار: الاعلام من طريق الحس، و(المشاعر) المعالم جمع (مشعر) وهي المواضع التي اشعرت بعلامات.

وتتضمن معنى الدقة واللطافة لذا سمي (الشَعَر) لدقته[٢] والشعور دقة الادراك، والشاعر لأنه يشعر بفطنته بما لا يفطن له غيره.

فهذه المناسك والشعائر والمشاعر رموز تعبّر عن التوجه الى الله تعالى وطاعته وتوصل الى التقوى التي هي الغاية من الشعائر فهذه الشعائر وسائر

---

(١) كلمة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في حشود الزائرين المشاركين في الشعائر الزينبية يوم الثلاثاء ١١/رجب/١٤٣٧ المصادف ٢٠١٦/٤/١٩ وتبدأ المراسيم بالتجمع في النجف الاشرف ثم السير على الاقدام من حرم امير المؤمنين (عليه السلام) الى حرم الامام الحسين (عليه السلام) لإحياء ذكرى وفاة العقيلة زينب في النصف من رجب

(٢) والشعار: هو الثوب الرقيق الذي يلي الجسد ويلامس الشعر ويقال في لغة العرب للقريب الملاصق للمودّة (أنت الشعار دون الدثار) أي اللباس الملاصق وليس الخارجي.

الاعمال لها قوالب شكلية وإنما تكتسب أهميتها من تحصيل حقائقها، لذا جعل تعظيم الشعائر من حركة القلوب وتكاملها وليست مقتصرة على حركات الجسد وأعضاء الجسم، فلينتبه الى هذه الحقيقة من يريد تعظيم الشعائر بصدق فالمنافقون والفاسقون قد يؤدون الشعائر الشكلية كما كانوا في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحضرون الصلاة في المسجد ويخرجون في الغزوات لكنها لا قيمة لها لأنها خالية من التقوى.

وقد أمرنا الله تعالى باحترامها وتقديسها وحفظ حدودها، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ) (المائدة/٢) أي لا تنتقصوها ولا تنتهكوا حرمتها ولا تضيعوها، وما دام تعظيم الشعائر من تقوى القلوب، فأن من لم يعظم شعائر الله فانه من اهل القلوب القاسية التي لم تذق حلاوة التقوى.

٢- وقد ورد تعظيم الشعائر مطلقاً في الآية ولم يُحدَّد بشكل معين فتشمل التعظيم بالمشاركة فيها والدعوة اليها والتعريف بحقيقتها أو المساهمة بالمال او التشجيع والدفاع عنها ضد من يشوهها ويخذَل الناس عن المشاركة فيها وينتقصها ونحو ذلك.

والتعظيم ليس له صيغة خاصة وانما هو لكل شعيرة بحسبها فقد يكون بالاهتمام بها واعطائها الأولوية في حياة الانسان، (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة/٢٤)، وقد يكون بانتقاء

افضل افرادها كما في قوله تعالى (لن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) (ال عمران /٩٢) .

٣- ولأن الشعيرة ما يدرك بدقة ولطافة فأن حقائق هذه الشعائر ومعانيها تخفى على غير الفطن الواعي الذي يهديه الله بلطفه فالحج الذي كله شعائر ومشاعر قال تعالى (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ) (الحج/٣٦) وقال تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) (البقرة/١٨٥) والآية محل البحث وردت في سياق مناسك الحج وقال تعالى (فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) (البقرة /١٩٨).

تعرّض للتشكيك والاستهزاء والسخرية وكان بعض الزنادقة الملحدين يحضر موسم الحج ويقول: الى متى تطوفون بهذه الأحجار لأنهم لم يدركوا المعاني الروحية فيها وحقائق هذه الأفعال التي تدعو الى التوحيد الخالص ونبذ الشركاء، وأنى لأحد أن يدركها إلا ان يكون من أصحاب القلوب التقية العارفة بحقائق هذه الأفعال، وهكذا الشعائر الحسينية تتعرض للتشكيك والانتقاص والازدراء لنفس السبب وغيره.

٤- الضمير في قوله تعالى (فأنها) يمكن أن يعود الى الشعائر نفسها فأنها من التقوى، ويمكن أن يعود الى التعظيم وقد جمع ليكون مناسباً للشعائر أي فأن هذه التعظيمات من تقوى القلوب.

٥- ومن أهم الشعائر التي أمرنا بتعظيمها الاحكام الشرعية والقوانين الإلهية في كل شؤون الحياة ومفاصل المجتمع فان الالتزام بهذه القوانين واقامتها بين الناس ودعوتهم اليها والدفاع عنها هو من تعظيم شعائر الله الذي هو من

تقوى القلوب، وان من يقف في طريق إقرار هذه القوانين وأخذ الدين دوره في حياة الانسان والمجتمع تحت خديعة (الدولة المدنية) وامثالها هو ناقص الورع والتقوى.

٦- وتعظيم الشعائر الإلهية واجب على الجميع بالمقدار الذي يتحقق فيه المطلوب، الى درجة انه إذا تقاعس الجميع وجب على ولي الامر إجبارهم عليه ففي رواية صحيحة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي ان يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، ولو تركوا زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) لكان على الوالي ان يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، فإن لم يكن لهم أموال انفق عليهم من بيت مال المسلمين)[1].

ومن زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) نتوسع الى زيارة الائمة المعصومين (عليهم السلام) وتعظيم مشاهدهم المشرّفة لانها سبب لتحصيل الالطاف الإلهيّة مما لا يمكن تحصيله في أي موضع آخر.

وانقل لكم هذه الرواية التي تدل على مدى اهتمام الأئمة (عليهم السلام) بالشعائر والمشاعر الإلهية، وموضوع الرواية الحرم الحسيني المطهر ففي كتاب الكافي لثقة الإسلام الشيخ الكليني عن أبي هاشم الجعفري – وهو من أصحاب الائمة المخلصين ومن ذرية جعفر الطيار – قال : بعث ألليَّ أبو الحسن الامام الهادي (عليه السلام) في مرضه فما زال يقول ابعثوا الى الحير- أي الحائر الحسيني – فقلت له: جعلت فداك أنا اذهب الى الحير فقال: أنظروا في ذاك – أي تدبروا

(١) وسائل الشيعة، كتاب الحج، أبواب وجوبه وشرائطه، باب ٥ح٢.

الأمر جيداً واختاروا رجلاً مناسباً لأن المتوكل العباسي كان ينزل أشد العقوبات بزائري قبر الحسين (عليه السلام)- ، قال أبو هاشم فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال : ما كان يصنع في الحير وهو الحير – أي ان الامام الهادي (عليه السلام) هو الامام المعصوم الحجة من الله تعالى فما حاجته الى التوسل بقبر جده الحسين (عليه السلام) - ، فقدمت العسكر- أي سامراء والامام فيها – فدخلت عليه فقال لي أجلس حين أردت القيام فلما رأيته أنس بي ذكرت له قول علي بن بلال فقال لي ألا قلت له – ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يطوف بالبيت ويقبّل الحجر، وحرمة النبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمن أعظم من حرمة البيت وأمرهُ الله عز وجل أن يقف بعرفة، وإنما هي مواطن يحب الله أن يذكر (وفي رواية: يتعبد) فيها فأنا أحبُ أن يُدعى لي حيث يحب الله أن يُدعى فيها)[1].

ومن هذا الوجوب نستنتج انه علينا ان نراقب واقعنا بدقة فاذا وجدنا فريضة وشعيرة الهية معّطلة او تقاعس المجتمع في أدائها كصلاة الجمعة او الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، او إقامة القوانين الإلهية فعلينا المبادرة لإحيائها، وكذا اذا وجدنا احد المشاعر المقدسة مهجوراً فعلينا اعماره بالزيارة والدعاء والذكر كالتقصير الذي حصل في زيارة الامامين العسكريين بعد التفجير الاجرامي والفتنة الطائفية عام ٢٠٠٦ او الشعائر الفاطمية التي نهضتم لإحيائها منذ عام ٢٠٠٦/١٤٢٧ وكذا الشعائر الزينبية التي وفقتم للمشاركة فيها.

٧- ورد في الرواية أعلاه أن (حرمة المؤمن أعظم من حرمة البيت) فأذن من تعظيم الشعائر احترام المؤمنين وإكرامهم والتواضع لهم وقضاء حوائجهم

(١) بحار الانوار: ٢٢٥/٥٠ عن الكافي: ٥٦٧/٤-٥٦٨ ح٣.

خصوصاً إذا كانت له مزية اضافية ككونه احد الوالدين او من الارحام او الجيران او من وأهل العلم و الفضل ونحو ذلك فلا تغفلوا عن هذا المعنى، ولا تخسروا هذه الفضيلة وتتنازعون بينكم من اجل المال او كلمة قيلت او أي سبب آخر للنزاع والتباغض والتباعد .

٨- ان الشعائر أضيفت الى الله تعالى (شعائر الله)، فالشعائر والمشاعر لا تكون مقدسة وموصلة الى تقوى القلوب الا اذا كانت بحجة شرعية من الله تعالى وتقع ضمن الاطار الإلهي العام الذي رسمه المعصومون (سلام الله عليهم)، اما بعض الطقوس المبتدعة فقد تكون جائزة اذا لم تحرم بعنوان ثانوي كالأضرار بالبدن او تشويه سمعة المذهب، لكنها ليست مقدسة ولا راجحة لانها ليست من الله تعالى .

وكذا ظاهرة انتشار الكثير من القبور المنسوبة الى أولاد وبنات الائمة الطاهرين من دون وجود دليل يثبت صحة هذه النسبة فهي وهمية لا مستند لها وقد توضع اساطير وقصص خرافية او تحكى منامات لبعض العجائز كدليل على قدسية هذه القبور، وهي في الحقيقة ليست مشاعر مقدسة ولا يجوز زيارتها لأنها ليست من شعائر الله تعالى .

خطاب المرحلة

(٤٨٥)

المواجهة الاستباقية للغزو الثقافي (١)

من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يحث اصحابه على الخروج للجهاد ويوبّخ المتقاعسين قال (عليه السلام) (أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَاراً وَسِرّاً وَإِعْلَاناً وَقُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَ اللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ)(٢).

أقول : موضوع الخطاب وإن كان القتال والعمل العسكري وهو يقدّم نظرية معتمدة الآن ومعروفة بعنوان (الهجوم خير وسيلة للدفاع) إلا انه يمكن تعميم معناها الى كل أشكال الغزو كما ان عنوان الجهاد لم يقتصر على القتال العسكري بل توسع الى (جهاد النفس) الذي وصف في الاحاديث بأنه (الجهاد الاكبر).

فالغزو كذلك يمكن ان يكون أخلاقياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو فكرياً

---

(١) كلمة لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة قرب حلول يوم المبعث النبوي الشريف ٢٧/رجب/١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٥/٥ الذي أعلنه سماحة المرجع (دام ظله) (يوم القراءة العالمي) لنزول أول كلمة من القرآن الكريم فيه وهي (اقرأ) أي ان البيان رقم (١) – كما في المصطلح السياسي – للرسالة الإسلامية كان خطاب (اقرأ).

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢٧.

وثقافياً وغير ذلك، وعلى جميع هذه الصُعُد فان القاعدة التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) صحيحة وفاعلة.

ومحل كلامنا الغزو الفكري والثقافي، فما لم نبادر نحن ونوصل فكرنا وثقافتنا الى عمق الآخرين افراداً ومؤسسات ومجتمعات، فأن الآخر سيغزونا في عقر دارنا وينشر شبهاته وضلالاته وافكاره المنحرفة في أوساطنا ويشغلنا بالرد عليها، وما إن نرّد على واحدة حتي يأتينا بأخرى او اكثر حتى يتسع الخرق فلا ينفع معه أي رتق ونخسر أهلنا ومجتمعنا إلا من عصم الله تعالى.

وهذا هو وجه التشبيه بالغزو العسكري فأن الجيش الذي يتخاذل ويبقى متقوقعاً في مدينته وبين أهله يعطي زمام المبادرة لعدوه الذي سيحاول اختراقه المرة بعد الأخرى ومن هذه الثغرة او تلك فيشتت جهوده ويشغله بنفسه واهله ويربكه ويحبط معنوياته حتى يتآكل وجوده وتلحق به الهزيمة القاسية.

وعلينا ان نتعرف على أساليب الغزو الفكري التي يخترقنا بها العدو ومنها:

١- التشكيك وإثارة الشبهات التي تستهدف ضرب عناصر القوة في المجتمع كالقيادة الصالحة والنظام الاسلامي المبارك ومصادره اعني القرآن والسنة بصنع المغالطات وخلط الاوراق وقلب الحقائق وتعميم السلبيات حتى يشتبه الحق والباطل وتضيع البصيرة والرؤية الصحيحة ويجدون أرضية لتلقي هذه الشبهات والضلالات بسبب الجهل والتخلف وعدم الرجوع الى مصادر العلم والمعرفة.

٢- تشويه الثقافة الأصيلة من خلال دس الاكاذيب والاختلاف والتحريف

كالذي فعله الامويون ومن يعيش على فتاتهم من وعّاظ السلاطين فيحصل تشوّه او تلوث فكري وثقافي قال تعالى (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (عبس/٢٤) أي الى علومه ومعارفه وثقافته ممن يأخذها والى أي مصدر يرجع.

٣- تسويق مشاريعهم وأجنداتهم الخبيثة عبر مصطلحات جذابة ومحبّبة كالحرية والديمقراطية وحقوق الانسان والمساواة وأمثالها التي جعلوها أصناماً مقدسة لا يجوز المساس بها ، وهم يستعملونها بازدواجية فاضحة فيطالبون مثلاً بإلغاء عقوبة الاعدام لأنها منافية لحقوق الانسان فيتحول الارهابي الى ضحية، ويتغافلون عن انصاف الضحايا الذين قتلهم هذا الارهابي وسرق حياتهم، وتتحول المرأة الى سلعة تباع في سوق الشهوات وتلبية الغرائز الجامحة بأسم الحرية والمساواة، ويمنعون علينا ممارسة أي عملية تصحيحية باعتبار حرية التعبير عن الرأي وتحت تأثير هذا الصنم المقدس لا يحق لنا ونحن أكثر من مليار مسلم أن نعترض على صحيفة او قناة تلفزيونية تنشر صوراً مسيئة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أو كلمات بذيئة عن القرآن الكريم، لكن الويل كل الويل لمن ينفي حصول مذبحة اليهود المعروفة بالهولوكوست على يد النازيين.

وعندما نطالب بحقوقنا نُتهم بالطائفية وممارسة العنف ونحو ذلك كما حصل في المطالبة بالقانون الجعفري للأحوال الشخصية.

٤- استعمال وسائل الحرب الناعمة كالإعلام والفن والرياضة لتوجيه الرأي العام وصنع الثقافة التي يريدونها واستئصال ما لا يريدونه، ويدعمون هذه الوسائل بكل ما يوجب الاثارة والانجذاب والتأثر والمتابعة ويخلقون سلوكاً جمعياً قاهراً لا يستطيع الخروج عنه إلا من عصم الله تعالى.

إذا عرفنا ذلك فعلينا أن نأخذ زمام المبادرة قال تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل/١٢٥) فبادر أنت للدعوة الى الله تعالى والتحرك على الآخر بالطريقة التي ذكرتها الآية أي الحكمة وحسن التصرف في إيصال التوجيه الى الآخر من دون تعنيف أو اكراه أو مكر وخداع ولا تنتظر أن يأتيك الآخر فربما لا يأتيك ولا يدرك انه بحاجة الى السؤال أو الاستفهام، وفي الحديث عن أبي الصلت الهروي عن الأمام الرضا(عليه السلام) قال : (رحم الله عبداً أحيا أمرنا، قلت كيف يحيي أمركم؟ قال (عليه السلام) : يتعلم علومنا، ويُعلمها الناس، فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا)[1] .

فمسؤوليتنا الدينية والاخلاقية تقتضي أن نتحرك بعلوم أهل البيت (عليهم السلام) التي منَّ الله تعالى علينا بتحملها ونوصلها الى الناس جميعاً، وليس من المقبول أن تغزونا كتب الإلحاد والضلال والانحراف في عقر دارنا هنا في النجف وفي مكتبات مجاورة لحرم أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا نكترث ولا نحرك ساكناً ونحن نرى سقوط شبابنا ومثقفينا في شباك شياطين الجن والانس، ويسيطر المنحرفون على أغلب الفعاليات الثقافية في بلدنا العزيز من دون تصدي حقيقي لإعادة الامور الى نصابها بتوفيق الله تعالى.

والأهم من ذلك كله أن نحصّن أنفسنا ونغلق ثغورها التي ينفذ منها الشيطان ليوسوس للنفوس الأمارة بالسوء ويزيّن لها المعاصي تارة من جهة

(١) وسائل الشيعة : ٩٢/٢٧ : كتاب القضاء، ابواب صفات القاضي / باب ٨ ح٥٢ عن عيون أخبار الرضا ومعاني الاخبار.

إثارة الشهوات وأخرى من جهة استفزاز الغضب والانانية والعزة بالإثم وأخرى من القلق من الانفاق والخوف على المستقبل ونحو ذلك، وهذه المواجهة تتطلب معرفة دقيقة بالعدو (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً) (الإسراء/٥٣) وآليات عمله وكيفية استثارته لجنوده، ومعرفة جنود الرحمن التي تواجهه وكيفية التغلب عليه وهذا يحتاج الى بحث مفصّل باذن الله تعالى.

خطاب المرحلة

(٤٨٦)

(قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[1]
(يوسف/١٠٨)

تبّين الآية واحدة من وظائف الأنبياء والرسل والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ومن تبعهم وحمل رسالتهم من العلماء العاملين الرساليين، وهي الدعوة الى الله تبارك وتعالى قولاً وفعلاً وعرض المشروع الإلهي على الناس واقناعهم به وهدايتهم.

وتبّين الآية ايضاً واحدة من مميزات هؤلاء القادة وخصائصهم التي تميزّهم عن غيرهم من الزعامات وتُعرِّف الأمة كيف يفرزون قياداتهم الحقة عن طلاب الدنيا ولو بأسم الدين.

وهذه الخصوصية هي الصراحة والشفافية مع الأمة (هَـذِهِ سَبِيلِي) وامتلاك الرؤية الثاقبة والنظر الدقيق ووضوح الأهداف وآليات العمل لديه المعبّر عنها في الآية بـ(البصيرة) وهي البوصلة التي ترسم المسار الصحيح للإنسان في كل حركاته وسكناته، وهذه البصيرة من الله تعالى والى الله تعالى، وما دام على بصيرة من ربّه فلا تخبّط في مسيرته ولا تناقض في أهدافه ولا تحرّكه الشهوات والانفعالات ولا تؤثر عليه هتافات الناس ولا تزويق المتزلفين

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) يوم الاحد ١٤ شعبان /١٤٣٧ المصادف ٢٠١٦/٥/٢٢ بمناسبة الزيارة الشعبانية وذكرى ميلاد الامام المهدي (عليه السلام)..

ولا تخدعه المكائد والحيل وهذا لا يُدرك إلا بلطف الله تعالى.

والبصر والبصيرة أصلهما واحد وهي النظر والرؤية المدركة المنتجة للعلم والمعرفة وليست كل رؤية ونظر قال تعالى (وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) (الأعراف/١٩٨) فهم كالحيوانات لها عيون تنظر بها لكنها لا تفيدها علماً ولا معرفة، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (ليس الاعمى من يعمى بصره، إنما الاعمى من تعمى بصيرته)[١] وكم من حالة او موقف ينظر اليه كثيرون لكن القليل ممن ينظر اليه بفكر واعتبار وتأمل (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا) (الأعراف/١٧٩) وإن كانت مفتوحة وينظرون بها الى الأشياء، وإنما يستفيد مما حوله في الحياة من كان له بصرٌ وبصيرة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ) (آل عمران/١٣) وليس لكل من لديه عين ينظر بها، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (بالاستبصار يحصُلُ الاعتبار)[٢].

والفرق بين البصر والبصيرة ان الأول بالعين والثانية بالقلب والعقل فقوله تعالى (عَلَى بَصِيرَةٍ) أي على حجة بينةٍ واضحةٍ من ربي (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف/٢٠٣).

واضافة (وَمَن اتَّبَعَنِي) اليه (صلى الله عليه وآله) تشريف لهم بالحاق دعوتهم بدعوته المباركة، وأعلى مراتب البصيرة التامة ما عند المعصومين (عليهم السلام) لذا فأنهم القدر المتيقن من قوله تعالى (وَمَن اتَّبَعَنِي) وفي أصول الكافي بسنده عن أبي

(١) كنز العمال: ١٢٢٠.

(٢) غرر الحكم/٤٣٥١.

جعفر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية قال: (ذاك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والاوصياء (عليهم السلام) من بعدهما)[1].

فهؤلاء القمم من أهل البصائر هم من يجب اتباعهم والأخذ عنهم (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (يونس/٣٥).

ثم تتفاوت مراتب البصيرة عند اتباعهم (صلوات الله عليهم أجمعين) في حمل الرسالة المباركة والدعوة الى الله تعالى بحسب درجة تقواهم وقربهم من الله تعالى وبحسب نقاوة فطرتهم وسلامة عقولهم وتفكيرهم وطهارة نفوسهم وقلوبهم (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) (القيامة/١٤)، فهذه باختصار المقتضيات الذاتية أي من نفس الانسان لتحصيل البصيرة وتهيئة الانسان نفسه لها وهي (التقوى، طاعة الله تعالى، نقاء الفطرة، سلامة العقل والفكر، طهارة النفس والقلب).

وخير وسيلة لتحصيل البصيرة التدبر في القرآن الكريم ومعرفة آياته، وقد وصف الله تعالى كتابه الكريم بهذا، قال تعالى (قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) (الأنعام/١٠٤) وقال تعالى (هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف/٢٠٣) وقال تعالى (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (الجاثية/٢٠) وقال تعالى (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (القصص/٤٣)،وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (بالهدى يكثُرُ

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١٧٨/٥.

الاستبصار)[١].

ومن أهم وسائل تنوير البصيرة مراقبة النفس وإصلاح عيوبها وأخطائها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أبصر الناس من أبصر عيوبه وأقلع عن ذنوبه)[٢] وعنه (عليه السلام) قال (ألا و إنّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير في طرفُه، ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى التّذكير و قَبِلَه)[٣].

لذا لا نستغرب ممن فقد هذه الأدوات لتحصيل البصيرة وتنويرها أن يضلَّ بنفس القرآن الكريم الذي هو زادُ المستبصرين، ويستعمل القرآن نفسه لإضلال الناس وصرفهم عن اهل البصيرة، روي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ) (الأعراف/٢٠٢) بسنده عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) مجتمعين وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! قلت: يا رسول الله! إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا قال ربنا؟ قال: أتاني جبريل آنفاً فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت: أجل، إنا لله وإنا إليه راجعون، فمم ذاك يا جبريل؟ قال: إن أمتك مفتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير، فقلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ قال: كل ذلك سيكون، قلت: ومن أين يأتيهم ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلون، وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلون ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدون في الغي ثم لا يقصرون،

(١) غرر الحكم: ٤٨١٦.

(٢) غرر الحكم: ٣٠٦١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة/١٠٥.

قلت: يا جبريل؟ فبم سلم من سلم منهم؟ قال: بالكف والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوه تركوه)[١].

لقد عانى النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) من فقدان البصيرة لدى أكثر الناس (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف/١٠٣) وابتلي أمير المؤمنين (عليه السلام) بحرب أناس يحوطون بالجمل ويتبركون بخروجه ويشمونه ويقولون ما أطيب ريح روث جمل أمّنا أم المؤمنين، وابتلي (عليه السلام) بقتال اناس في صفين لا يفرقّون بين الناقة والجمل ويصدّقون كل شيء يقال لهم، ومثل هؤلاء الاقوام من فاقدي البصيرة موجودون في كل زمان ومكان يُبتلى بهم القادة المصلحون ويكونون عقبة كؤود في طريقهم.

ولذا كان الأئمة (عليهم السلام) يشكون من ندرة أهل البصيرة في اتباعهم، ففي الحديث المعروف لأمير المؤمنين (عليه السلام) مع كميل (يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ اَلْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا) الى أن قال (عليه السلام) (إن ههنا لعلماً جماً - وأشار إلى صدره - لم أصب له خزنة بلى أصيب لقنا غير مأمون، مستعملا آلة الدين في طلب الدنيا، يستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعم الله على معاصيه أو منقادا لحملة الحق (٤) لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، اللهم لا ذا ولا ذاك، أو منهوما باللذة سلس القياد للشهوة، أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين ولا من ذوي البصائر واليقين)[٢].

إن أوضح ما يمّيز الاتباع الحقيقيين للنبي (صلى الله عليه وآله) وآله الكرام (عليهم السلام)

(١) الدر المنثور للسيوطي: ٦٣٣/٣.

(٢) نهج البلاغة (من كلامه عليه السلام لكميل بن زياد).

أنهم على بصيرة من امرهم ومنهم أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) فمما خاطبه به الامام الصادق (عليه السلام) في زيارة وارث المعروفة قوله (وأنك مضيت على بصيرة من امرك مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين) وهكذا كان أصحاب ابي عبد الله (عليه السلام) المستشهدين بين يديه يشهد بذلك العدو قبل الصديق، فقد روى أصحاب التواريخ والمقاتل انه لما كثرت المبارزة بين أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) وجيش يزيد وكان النصر لأصحاب ابي عبد الله، صاح عمرو بن الحجاج الزبيدي (يا حمقى أتدرون من تقاتلون؟ فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين لا يبرزَّن لهم منكم أحدٌ، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم)[1].

وهكذا إذا كنّا صادقين في موالاتنا للإمام الحسين (عليه السلام) ونصرتنا له (ونصرتي لكم معدّة) (يا ليتنا كنا معكم) وصادقين في انتظار امامنا المهدي الموعود (عليه السلام) والمشاركة في بناء دولته المباركة فعلينا أن نستزيد من البصيرة في علاقتنا مع ربنا، وهذا ما ورد في أدعية الغيبة وتعجيل الظهور، وفي احدها (وارزقنا مرافقة اوليائك ووليك الهادي المهدي الى الهدى وتحت لوائه وفي زمرته شهداء صادقين على بصيرة من دينك إنك على كل شيء قدير)[2].

(١) مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ١٥/٢.

(٢) البحار :٣٠٢/٩٨ عن اقبال الاعمال والبلد الأمين والتهذيب.

خطاب المرحلة

(٤٨٧)

(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)[١]

(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران/١٣٣) سارعوا تعني المبالغة والاشتداد في السرعة أي ليس فقط أسرعوا وبادروا وإنما تسابقوا في هذا الإسراع وهذه المبادرة، لذا ورد التعبير في آيات أخرى مشابهة لفظ (سَابِقُوا) كقوله تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد/٢١) ولا يخفى ما في استعمال هذا التعبير من تحفيز على العمل لأن المنافسة والتسابق يفجّر الطاقات.

وهذه المسارعة والمسابقة لابد ان تستمر ما دمتم في الحياة الدنيا لان الدنيا مزرعة الآخرة وبها تكتسب الجنان او النيران والعياذ بالله وكل لحظة من لحظاتها تمثل فرصة لاكتساب المزيد من الطاعة فالتواني والكسل وترك المسارعة يعني إضاعة هذه الفرصة وفي الحديث الشريف (إضاعة الفرصة غصّة)[٢] لأنها تورث الحسرة والندامة والشعور بالغبن يوم التغابن، وإن عدم

(١) كلمة سماحة الشيخ المرجع (دام ظله) في اخر جمعة من شعبان يوم ٢٦ شعبان١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٦/٣ لاستقبال شهر رمضان المبارك.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١١٨.

المبادرة الى الاستغفار يؤدي الى تراكم الذنوب وكثرة الرين على القلب حتى يسوّد ويفقد قابلية العودة الى الطهارة والعياذ بالله، في الحديث (ان المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منه، وان ازداد زادت، فذلك (الران) الذي ذكره الله تعالى في كتابه: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(المطففين/١٤))[١].

وان التأخير وعدم المبالاة بالاستغفار قد يوجب رفع الستر والغطاء عن المذنب فتفضحه ذنوبه برائحتها النتنة التي لا تخفى على الاخرين لولا ستر الله تعالى، لكن العبد اذا تحوَّل الى قاذورة من الذنوب ورفع الله تعالى عنه الحجاب الساتر للعيوب والذنوب فانه يصبح مثيرا للتقزز والاشمئزاز وفي الحديث الشريف عن امير المؤمنين (عليه السلام)(تعطرّوا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب)[٢].

ولما كانت المغفرة من فعل الله تعالى (مِّن رَّبِّكُمْ) ومن أسمائه الحسنى (الغفار) و(الغفور) و(غافر الذنب) فما معنى المسارعة اليها؟ انها المسارعة الى أسبابها وموجباتها كالذي قلناه[٣] في شرح الحديث الشريف (ان لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرّضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقُوُنَّ بعدها أبداً)[٤] وسنتعرض الى جملة من هذه الأسباب ان شاء الله تعالى.

---

(١) تفسير نور الثقلين / ج٥ ص ٥٣٢.

(٢) بحار الانوار: ٢٧٨/٩٣/ ح٧

(٣) خطاب المرحلة ٩٨/٦ بعنوان (تعرضوا لنفحات ربكم).

(٤) بحار الانوار: ج ٦٨، ص ٢٢١.

والمغفرة لها حالات لابد ان تطلب جميعاً فلا يقتصر في طلب المغفرة لما مضى من ذنوبه التي الّم بها بل يستغفر مما يأتي بأن يعصمه الله تعالى منها او ليكتبه ممن يغفر له مقدماً فيما لو اوقعته غفلته في ذنب في الأيام الاتية لذا تضمنت الادعية طلب المغفرة لما تقدّم من الذنوب وما تأخّر وهو الاتي.

وكذلك للمغفرة مراتب فلا يختص طلب المغفرة بالذنوب والمعاصي بالمعنى المعروف والتي فيها مخالفة للأحكام الشرعية بل تطلب ايضاً لما هو أدق من ذلك كترك المستحبات او فعل المكروهات او ترك الأولى – كما لو خُيِّر بين طاعتين فلم يختر الأهم منهما – او من عروض خاطر المعصية، وقد لا يكون لهذا او لا لذاك وانما لطلب الرفعة في الدرجات او الاستغفار من القصور الذاتي الذي تقتضيه الطبيعة البشرية في أداء وظائف العبودية لله تعالى او الاستغفار من الانشغال بما يتطلبه الوجود في هذه الدنيا وإداء المسؤوليات الاجتماعية التي كلفه الله تعالى كالذي يصدر من المعصومين (عليهم السلام) وفي الحديث النبوي الشريف انه (ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في كلّ يوم سبعين مرّة)[1] وفي الكافي عن زيد الشحام عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتوب الى الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة فقلت: أكان يقول استغفر الله واتوب اليه؟ قال: لا ولكن كان يقول: اتوب الى الله)[2]. والتوبة تعني العودة والرجوع فطلبه (صلى الله عليه وآله) التوبة كان عن الانشغال بما يقتضيه وجوده المادي في هذه الدنيا.

(١) بحار الأنوار: ج٢٥، ص٢٠٤.

(٢) الكافي: ٤٣٨/٢ ح٤.

وقد تضمّن القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الاستغفار وتذكر آثاره وبركاته من استجلاب نعم ودفع نقم في الدنيا والآخرة كقوله تعالى (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (هود/٣) وقوله تعالى (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ) (هود/٥٢) وفي الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله) (من كثرت همومه فعليه بالاستغفار)[١] وعن الامام الصادق (عليه السلام) (أدفعوا أبواب البلاء بالاستغفار)[٢] فالاستغفار سبب لزيادة الرزق وتحصيل الذرية والتنعمّ في الحياة الدنيا والاخرة.

ولذا تجد القرآن الكريم يقرن في هذه الآية وغيرها – كآية سورة الحديد المتقدمة – بين المغفرة والجنة، فالاستغفار يؤدي الى الجنة ويزيل العوائق عن الفوز بها لأن الجنة دار طهارة وسعادة ونقاء فلا يمكن للإنسان ان يدخلها ويتنعم فيها وهو حامل للقذارات المعنوية وادران الذنوب والمعاصي إلا بعد ان يتطهر منها بالعفو والمغفرة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ (الأعراف/٤٣).

والملفت للنظر وقوع هذه الآية وآيات تربوية أخرى في سياق الحديث عن معركة أحد وملابساتها وتحقق النصر أولاً ثم الهزيمة المهينة ثانياً (مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ) (آل

(١) الكافي: ٨/٩٣/٦٥.

(٢) ميزان الحكمة: ٦/٤٣٢.

عمران/١٥٢) للتنبيه – كما هو ديدن القرآن دائماً – على محورية العقيدة والارتباط بالله تعالى في كل شؤون الحياة وان الميدان الاوسع والاهم للعمل هو ميدان النفس، والخير يتحقق بقهر أهوائها والغلبة على شهواتها، فميدان النفس ساحة الجهاد الأكبر وما سواها في الخارج هو الجهاد الأصغر، وان كل شيء يكتسب قيمته بمقدار ارتباطه بالله تعالى سواءاً اكان نصراً عسكرياً او انجازاً سياسياً او تقدماً اقتصادياً او رفاهاً اجتماعياً ، فالهدف دائماً إعلاء كلمة الله تعالى طلباً لرضا الله تعالى.

وينبغي الالتفات الى ان الاستغفار المنتج لهذه الاثار المباركة ليس مجرد تحريك اللسان به وإنما له حقيقة بيّنها امير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة ـــ (وَ قَالَ (عليه السلام) لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ أَسْتَغْفِرُ اَللَّهَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَ تَدْرِي مَا اَلِاسْتِغْفَارُ إِنَّ اَلِاسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ اَلْعِلِّيِّينَ وَ هُوَ اِسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ:

أَوَّلُهَا اَلنَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى

وَاَلثَّانِي اَلْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ اَلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً

وَاَلثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى اَلْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اَللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ

وَاَلرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا

وَاَلْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اَللَّحْمِ اَلَّذِي نَبَتَ عَلَى اَلسُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ اَلْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ

وَاَلسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ اَلْجِسْمَ أَلَمَ اَلطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ اَلْمَعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ

تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اَللَّهَ)[١] .

اما الاسباب الموجبة للمغفرة فهي كثيرة منها:-

١- الدعاء وطلب المغفرة ، وقد ورد طلب المغفرة في ما لا يحصى من الادعية وكرّست بعض الادعية للاستغفار وطلب التوبة كما في الصحيفة السجادية، في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)(خير الدعاء الاستغفار) وعنه (صلى الله عليه وآله)(خير العبادة الاستغفار) وعنه (صلى الله عليه وآله)(الاستغفار في الصحيفة يتلالأ نوراً) وعنه (صلى الله عليه وآله)(من احبَّ أن تسرَّه صحيفتهُ فليكثر فيها من الاستغفار)[٢].

٢- الاستزادة من الطاعات والحسنات عموماً قال الله تعالى (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) هود : ١١٤) خصوصاً الصلاة المفروضة في اوقاتها، في الحديث الشريف (لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا)[٣] .

٣- ومن الطاعات المخصوصة ايضاً (الصدقة) ففي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)(ان الصدقة لتطفيء غضب الرب) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (الصدقة جُنة من النار)[٤] ومنها ايضاً صلاة الليل وقد ورد فيها عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (ان العبد إذا تخلّى لسيده في جوف الليل المظلم وناجاه اثبت

(١) نهج البلاغة ٤٢٥.

(٢) ميزان الحكمة ج٣ ص ٢٢٧٤.

(٣) صحيح البخاري باب الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ كَفَّارَةٌ.

(٤) منتخب ميزان الحكمة: ٣٦٤.

الله النور فـي قلبـه...

ثم يقول جلَّ جلاله لملائكته:-

يا ملائكتي: انظروا الى عبدي، فقد تخلّى بيّ في جوف اللّيل المظلم والبطالون لاهون، والغافلون نيام، اشهدوا أني قد غفرت له)[١]

٤- الصوم خصوصاً شهر رمضان فأنه شهر المغفرة والعتق من النار والفوز بالجنة وافضل ميادين هذا السباق والمسارعة، وفي خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في أخر جمعة من شعبان التي رواها الامام الرضا (عليه السلام) عن أبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) قال (فأن الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم) وفيها (يا أيها الناس ان انفسكم مرهونة باعمالكم ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم)[٢] في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله (شهر رمضان شهر فرض الله عليكم صيامه فمن صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[٣]وفي رواية عن الامام الباقر (عليه السلام) قال (إن لله تعالى ملائكة موكلين بالصائمين يستغفرون لهم في كل يوم من شهر رمضان إلى آخره، وينادون الصائمين كل ليلة عند إفطارهم: أبشروا عباد الله فقد جعتم قليلا وستشبعون كثيرا بوركتم وبورك فيكم ، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان نادى : أبشروا عباد الله غفر لكم ذنوبكم وقبل توبتكم فانظروا كيف تكونون فيما

(١) أمالي الصدوق: ٣٥٤ ح ٤٣٢.

(٢) رواها الشيخ الصدوق في الأمالي وعيون اخبار الرضا.

(٣) وسائل الشيعة : ٢٤٧/١٠،٢٤٥،ح ١٠ ، ١٤

تستأنفون)[١].

وفي الاقبال عن الصادق (عليه السلام) قال: (من لم يُغفر له في شهر رمضان لم يغفر له الى قابل الى أن يشهد عرفة).

أما الصوم المستحب فقد ورد فيه عن الامام الصادق عن آبائه (صلوات الله عليهم جميعاً) قال :(قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من صام يوماً تطوعاً أبتغاء ثواب الله وجبت له المغفرة)[٢] وعن الامام الصادق عليه السلام قال(قال ابي: إن الرجل ليصوم يوماً تطوعاً يريد ما عند الله فيدخله الله به الجنة)[٣].

٥- الحج وخصوص الوقوف بعرفة، روى الامام الصادق (عليه السلام) عن ابيه الباقر (عليه السلام) قال (ما وقف بهذا الموقف أحد إلا غفر الله له) ثم قال (عليه السلام) (ألا انهم في مغفرتهم على ثلاث منازل)[٤] الى آخر الحديث.

٦- زيارة المعصومين (عليهم السلام) وأولهم النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) وقد ورد في زيارته الشريفة (اللهم انك قلت (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما)(النساء/٦٤) وإني اتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي واني اتوجه الى الله ربّي وربُك ليغفر لي ذنوبي) .

وهكذا سائر المعصومين (عليهم السلام) وخصوصاً زيارة الامام الحسين (عليه السلام) ، عن الامام الصادق وولده موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال(من زار قبر أبي

(١) كتاب فضائل شهر رمضان للشيخ الصدوق.

(٢) وسائل الشيعة : ٤٠٢/١٠ ح ٢١.

(٣) وسائل الشيعة : ١٠٣٩٩ ح ١١.

(٤) وسائل الشيعة:- ٥٤٦/١٣ ح١.

عبد الله عارفاً بحقه غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[١] .

أقول: قد اختصرنا الكلام بما يناسب المقام[٢] وألا فالأسباب التي جعلها الله تعالى لعباده كرما منه وفضلاً كثيرة غير ما يعفو عنه ابتداءاً بلا سبب سوى ان من صفاته الكريمة الفضل والمن، قال الله تعالى (وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى/٣٠).

(١) وسائل الشيعة ٤١٩/١٤ ح ٢٢، ٣.

(٢) اخترت ذكر شهر رمضان والحج وزيارة الحسين (عليه السلام) لتصلح المحاضرة مادة لتعميق معارف القرآن في المجالس الرمضانية والحسينية ولمرشدي قوافل الحجاج.

خطاب المرحلة

(٤٨٨)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)[1]

(فاطر /٥)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر /٥-٦).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) نداء لكل البشر وليس فقط الكافرين او الفاسقين او الذين اسلموا او الذين امنوا لان الناس كلهم معنيون بهذا النداء ومن المتعارف ان من يصيح يا أيها الناس فان الناس يلتفتون اليه ويصغون لما يقول لان مثل هذا النداء يتبعه امر مهم او تحذير من شيء خطير او نحو ذلك، فكيف اذا كان المنادي رب العزة والجلال على لسان مئة وأربعة وعشرين الف نبي ومرسل .

(إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) هذه هي القضية المنادى بها وقد تكرر ذكرها في غير موضع من كتاب الله كقوله تعالى (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (لقمان /٣٣) وحاصلها ان ما وعدكم الله به من انتهاء حياتكم الدنيا بالموت و وجود حياة بعد الموت يكافأ فيها المحسن على أساس احسانه ويعاقب المسيء على اساءته ولكل من المثوبة والعقوبة درجات ودركات، كله حق لابد ان يقع والا كان ظلماً (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (آل

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر السعيد لسنة ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٠١٦/٧/٦.

عمران/١٨٢) لانه يعني مساواة الظالم والمظلوم والجلاد والضحية والمسيء والمحسن وهذا باطل وخلاف الحكمة والعدالة (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران/ ١٩١) (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)(الأنبياء/ ١٦) .

وهذا الاعلان عن الوعد الحق فيه تحذير للعاصين والظالمين حتى يرتدعوا، وفيه تطمين المظلوم والمحروم بانه سيأتي اليوم الذي يعوضه الله تعالى فيه ويرد اليه الحق فيستقر ويهدأ .

ومادام الموت حق ومنكر ونكير حقاً والنشور حقاً والحساب حقاً والجنة والنار حقاً وكل ما اخبر به الأنبياء والرسل، اذن (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) فلا تخدعكم الدنيا بزينتها ومظاهرها الخلابة من مال وبنين وعشيرة وجاه وزعامة ومواقع في السلطة واي شيء اخر فأنها كلها تزول لذتها وتبقى تبعتها فالمظاهر الدنيوية التي تبعدكم عن الله تعالى عدو لكم فاحذروها وعليكم ان توظّفوا ما خولكم الله تعالى به من أمور الدنيا للفوز بالأخرة واكتساب الجنان (الدنيا مزرعة الاخرة)[1] .

(وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) وهذا هو العدو الآخر، أنه الشيطان (الْغَرُورُ) وهي صفة مشبهة او صيغة مبالغة من الغرور أي إن التغرير بالأخرين صفته اللازمة لذاته ووظيفته التي لا يتوقف عنها، ويواجه الانسان مع هذين العدوين العدو الأول والاكبر وهي النفس الامارة بالسوء الميالة الى اللهو واللعب وارتكاب المعاصي والمليئة بالشهوات والغرائز النهمة التي لا تشبع في الحديث

(١) غوالي اللآلي ٢٦٧:١ / ح ٦٦

الشريف عن رسول الله ﷺ: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[١]، وكل ما يقوم به العدوان الاخران (الشيطان والدنيا) هو استثارة هذه الشهوات والغرائز وتزيينها والتعمية على العقل والفطرة بالخداع والتغرير وخلط الأوراق وتشبيه الباطل بالحق ونحو ذلك، أي انها كالعامل المساعد في علم الكيمياء الذي يساعد على التفاعل ويسرّعه كوجود النفط او البنزين على الخشبة المحترقة ((وقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم)) (إبراهيم/٢٢).

وتغرير الشيطان يكون من طريقين:

١- تزيين مشتهيات النفس واهوائها كالشهوة والغضب والعصبية والحسد وغيرها وكذلك تزيين زخارف الدنيا وبهارجها بغضّ النظر عن موافقتها لما يرضي الله تبارك وتعالى وعدمها.

٢- الاغترار بحلم الله تعالى وطول اناته عن الظالمين وعفوه وكرمه فيدعوه ذلك الى تسويف التوبة والتمادي والاستمرار على المعصية، والا ما الذي يدعو العاصي الى ارتكاب المعاصي وهو يعلم انها معصية وفيها غضب الله تبارك وتعالى وسوء العاقبة في الدنيا والاخرة لولا هذا الاغترار وفي دعاء ابي حمزة الثمالي عن الامام السجاد (إِلهِي لَمْ أَعْصِكَ حِيْنَ عَصَيْتُكَ وَأَنا بِرُبُوبِيَّتِكَ جاحِدٌ وَلا بِأَمْرِكَ مُسْتَخِفٌ وَلا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ وَلا لِوَعِيدِكَ مُتَهاوِنٌ، لكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وَغَلَبَنِي هَوَايَ وَأَعانَنِي عَلَيْها

(١) المجلسي- محمد باقر- بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة- ج٦٧ ص٣٦.

شِقْوَتِي وَغَرَّنِي سِتْرُكَ المُرْخَى عَلَيَّ)[١] وقد يستغل الشيطان حالة الاستدراج والاغراق بالنعم التي يملي بها الله تعالى العاصين ليوهمه بأنه على صواب وان الخير كل الخير هو في الاستمرار على هذا المنهج الذي هو باطل ومنحرف، مادام يجلب له هذه السعادة الموهومة فيستمر على عصيانه ويتسافل اكثر في جهنم.

وتعلل الآية التالية هذا الفعل من الشيطان وسببه (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ) وقد أعلن هذا العداء منذ بدأ الخليقة حينما لعن وطرد من زمرة الملائكة عقب استكباره عن السجود لآدم، وقد شهر سلاحه ونصب فخوخه لكم بجميع الاتجاهات (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف/١٦- ١٧).

فعداؤه لكم دائم ودائب من حيث تتوقعون ومن حيث لا تتوقعون (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف /٢٧) وهذا الخفاء يعقد المواجهة ويصعّبها، تصوروا ان واحد من فخوخه وخدعه وهو الشرك الخفي كالرياء يوصف خفاؤه في باطن الانسان في الحديث النبوي الشريف (ان الشرك اخفى من دبيب النمل على صفاة- أي صخرة- سوداء في ليلة مظلمة)[٢] أذن كيف يمكن معرفة كل فخوخه وخدعه لولا لطف الله تعالى .

---

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام علي ابن الحسين زين العابدين.

(٢) بحار الانوار: ٩٣/٧٢ ح٢.

وامام هذا الهجوم الشرس والمستمر بكل الوسائل والخدع والمكائد فعليكم ان تقابلوه بالمثل (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) وليس من العقل والحكمة أن تغفلوا عنه وتتسامحوا مع خططه وأساليبه فضلاً عن اتباعه والانسياق وراء تسويلاته وتزيينه (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) (الكهف/٥٠) ولعله اليوم أكثر خبرة وتقنية مما سبق وقد استطاع في أول محاولة مخادعة آدم (عليه السلام) (فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ) (الأعراف/٢٢) فكيف اليوم وقد كثرت أدواته وتفنن فيها شياطين الانس والجن (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ* وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (يس/٦٠-٦٢)

وهذا الشيطان لا يرضى من الناس إلا ان يرميهم في السعير (إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ) (فاطر/٦) واتباعه والحزب الجماعة الذين يوحدّهم هدف معين ولهم تأثير وفاعلية (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) كما ان شياطين الانس ودوائر الاستكبار والماسونية لا ترضى من الناس الا ان ينحّطوا الى اخّس درجات الهمجية التي تترفع حتى الوحوش عن ممارستها بحيث يُسنَّ الشذوذ الجنسي المسمى بزواج المثليين بقانون رسمي تُباركه الحكومات التي تدعي التحضّر .

اما سلاح الانسان في هذه المواجهة الشرسة والمعقدة والمفتوحة على جميع الاتجاهات فانه أولا بالتوكل على الله تعالى وطلب العصمة والتسديد والتأييد ففي دعاء نهار شهر رمضان (اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَاَعِذْني فيهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ وَهَمْزِهِ وَلَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ وَوَسْوَسَتِهِ وَتَثْبيطِهِ وَبَطْشِه وَكَيْدِهِ وَمَكْرِهِ وَحبائِلِهِ وَخُدَعِهِ وَاَمانِيِّهِ وَغُرُورِهِ وَفِتْنَتِهِ وَشَرَكِهِ وَاَحْزَابِهِ

وَاَتْباعِهِ واَشْياعِهِ وَاَوْلِيائِهِ وَشُرَكائِهِ وَجَميعِ مَكائِدِهِ) .

وثانيا :الحذر والحيطة والتحفز والانتباه الى كل اشكال المكر والخداع حتى وإن أُلبست ثوب الخير والطاعة والدين والنصيحة، فان الشيطان يأتي لكل فرد أو جماعة من الجهة التي يخدعهم بها فعنده أدوات لعلماء الدين وأخرى للتجار وأخرى للسياسيين وأخرى للزعماء والوجهاء وأخرى للنساء وأخرى للشباب وهكذا مما يتطلب ذكرها الى تفصيل، ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ان من وصايا الله عز وجل الى موسى بن عمران (عليه السلام) التي أوصاها بحفظها (ما دمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره)[1].

وثالثاً: بعرض من الأمور كلها على ميزان العقل والفطرة والدين واتباع من أمر الله تعالى باتباعه.

كان المرحوم الشيخ جعفر الشوشتري صاحب كتاب الخصائص الحسينية (توفي سنة ١٣٠٣هـ) واعظاً مؤثراً وله منبر وعظ في الصحن الحيدري الشريف يحضر عنده العلماء والفضلاء وعامة الناس، وذات يوم قال للحاضرين بلغني من مخبرين ثقات ان سراقاً تخللوا صفوفكم ليقتنصوا الفرصة ويسرقون ما في جيوبكم فأوصيكم بالحذر والانتباه، وهنا هاج الناس ولملموا ثيابهم وصاروا يراقبون كل حركة ولما سكن المجلس قال لهم: ألا تعجبون من غفلتنا وتقصيرنا إذ نهتم كل هذا الاهتمام بدرهم نخشى سرقته وهو متاع زائل

(١) الخصال: ٢١٧/١.

ولا نكترث لنداء الله تعالى وانبيائه ورسله بأن الشيطان لكم عدو متربص بكم ويريد أن يسرق منكم دينكم وتقواكم وهو أثمن ما يجب المحافظة عليه لأنه سبب نجاتكم وفوزكم في الآخرة فكيف نغفل عنه وتسقط في تسويلاته.

خطاب المرحلة

(٤٨٩)

(فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً)[١]
(الأنفال/٣٦)
من لا يقدّم ما عليه في طاعة اللّه تعالى يعطي أكثر منه في معصيته

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال/٣٦)

وردت الآية في سورة الانفال ضمن سياق الحديث عن معركة بدر وملابساتها ونتائجها، وتشير الى حماقة وجهل وسوء عاقبة مشركي قريش الذين كفروا وتمردوا واستكبروا عن الايمان بالله تعالى وطاعته ورفضوا تكاليفها وأصروا على عبادة الاصنام ولكنهم أنفقوا اموالاً ضخمةً لتجهيز المقاتلين[٢] للقضاء على النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه المؤمنين وانهاء دعوته المباركة.

فالأموال التي بخلوا بها ولم ينفقوها في طاعة الله تعالى لم ينتفعوا بها فقد انفقوها في الصد عن سبيل الله تعالى سواءاً بالحرب على المؤمنين او بمنع إقامة شريعة الله تعالى او بإبعاد الناس عن الدين ونحو ذلك من اشكال الصد

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر السعيد لسنة ١٤٣٧ الموفق ٢٠١٦/٧/٦.

(٢) في تفسير البرهان: ١٦٤/٤: (وما بقي من عظماء قريش إلا اخرجوا مالاً وحملوا ووقروا).

عن سبيل الله تعالى فكانت عليهم حَسْرَةً في الدنيا لأنهم صرفوها في مضرتهم وجلب العار لهم او تركوها لذريتهم ولم تنفعهم إذ غُلبوا وهزموا ثم الحسرة الأكبر والعاقبة الأفظع في الاخرة حيث يساقون الى جهنم بكل إهانة وتعذيب.

وظاهر الاية ان كونهم كافرين يدفعهم الى هذا الفعل وكما قالوا ان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية، فان كفرهم هذا سبب وعلة تدعوهم الى هذا الظلم والفسق ويؤدي بهم الى جهنم التي هي حصاد افعالهم (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) والحشر لغةً (إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم الى الحرب ونحوها ولا يقال الحشر إلا في الجماعة) كما عن الراغب في المفردات فتجمّعهم في الدنيا ضد الحق وأهله وخروجهم حاشرين لمحاربة الله ورسوله تجسّم بخروجهم حاشرين الى جهنم افعالهم يوم القيامة.

فالآية تكشف عن حقيقة مهمة في حياتنا لو التفتنا اليها بعمق ووعي لأثّرت في توجيه الناس نحو الصلاح وخلاصتها ان من يمتنع عن بذل ما يتطلبه الايمان وطاعة الله تعالى فأنه سيضطر الى ان يعطي أزيد من ذلك راغماً في معصية الله تعالى فتجتمع عليه الحسرة والعقوبة لكن هذه الحسرة لا قيمة لها ولا ثمرة فيها لأنها جاءت في غير وقت العمل والتدارك.

هذه الحقيقة القرآنية لا تختص بالكافرين، فقد يبخل المتدين الذي يصلي ويصوم لكنه لا يدفع الحقوق الشرعية فيبتلى بصرف ماله في أمور عبثية أو لهوية او كمالية او ربما محرمة فتكون الحسرة عليه مضاعفة لتقصيره في إداء الواجب عليه من جهة ولإنفاق المال في ما يوجب له حسرة وعقوبة بالنار من جهة أخرى عن الصادق (عليه السلام) قال: ما من رجل يمنع درهماً في حقه إلا

أنفق اثنين في غير حقه، وما من رجل يمنع حقاً في ماله إلا طوّقه الله به حية من نار يوم القيامة)[١]، وعنه (عليه السلام): (من منع حقاً لله عز وجل أنفق في باطل مثليه)[٢]..

او انه يتركه لورثته فيكون سبباً لحسرته على نحو اخر، روي عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله عز وجل [كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ] (البقرة:١٦٧)، قال (عليه السلام): (هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله عز وجل بخلاً ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو بمعصية الله، فإن عمل فيه بطاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرةً وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله قوّاه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عز وجل)[٣].

وقد وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) مثل هذا الرجل بقوله: (إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل جمع مالاً بمعصية الله فمات فورثه رجل دخل به الجنة)[٤].

ويُفهم من بعض الروايات ان ما يتعرض له المال احياناً من سرقة او تلف انما هو بسبب عدم اخراج الزكاة والخمس ونحوهما من الحقوق الشرعية، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (قد يبتلي الله المؤمن بالبلية في بدنه او ماله او أهله، ثم تلا هذه الآية: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٦ ح١.

(٢) نفس الباب، ح٢.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٥ ح٥.

(٤) نهج البلاغة، باب الحكيم، رقم ٤٢٩.

عَن كَثِيرٍ)[1] (الشورى/٣٠).

كما لا تختص هذه الحقيقة بالأموال وانما تتعداها الى ما تتطلبه طاعة الله تعالى من أصغر شيء كالتكاسل عن أداء عمل عبادي معين او حضور في مجلس ذكر أهل البيت (عليهم السلام) او السعي لقضاء حاجة مؤمن فانه يبتلى بإمضاء ذلك الوقت والجهد في غير طاعة الله تعالى في أمور عبثية ومُضيعة للوقت او ما هو أسوء من ذلك فتجتمع عليه الحسرة في الدنيا لإضاعته فرصة الهداية واكتساب الجنان المتاحة لهم والندامة والعقوبة في الأخرة، وهكذا في كل أمر راجح شرعاً او عقلاً، خذ مثلاً بعض الأمهات يتثاقلن عن ارضاع اولادهن الصغار تكاسلاً او حفاظا على رشاقتها ونحو ذلك وتعطيه حليبا صناعيا فيبتلى الطفل بآثار سلبية كالمغص ونحو ذلك ما تتمنى معه الام لو ارضعت طفلها وارتاحت من هذا البلاء.

وتمتد تطبيقات هذه الحقيقة الى كل المستويات فعلى صعيد الزعامات والقيادات المتبعة رأينا كثيراً من الناس يتبعون قيادات ما انزل الله بها من سلطان وربما تصل الى مستوى اتباع يزيد والمقبور صدام وأمثالهما من أجل فتات دنيا زائلة وتترك طاعة الله ورسوله والحجج المعتبرة والنتيجة خسران الدنيا والأخرة قال تعالى (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) (البقرة/١٦٥-

(١) تفسير القمي: ٢/ ٢٧٦.

١٦٧) فالآية تقول: ليت هؤلاء الذين ظلموا انفسهم ولم يتبعوا الحق وظلموا الحق نفسه إذ خذلوه ولم ينصروه يرون عاقبتهم السيئة والمؤلمة حين يجتمع الاتباع مع القادة الظالمين يوم القيامة حيث يتبرأ هؤلاء القادة من اتباعهم وتنقطع بينهم الاواصر والعلاقات ولا يجدون عندهم نفعاً ولا يدفعون عن انفسهم عذاب جهنم وكل عذاب فضلاً عن اتباعهم فيكتشف الاتباع عجز قادتهم وزعاماتهم وضلالهم وستصيبهم حسرةٌ بسبب اتباعهم وطاعتهم لقادة مزيفين وسيتأكدون من حقانية ما كان يقوله الله تعالى ورسوله (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً) ولم يكن لهم إلا تمني العودة الى دار الدنيا للعمل بما اكتشفوه من الحقيقة (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا) (البقرة/١٦٧) لكنه تمني باطل لا يتحقق لانهم أعطوا الفرصة الكافية في الدنيا وقد كانت هذه الحقيقة ماثلة امامهم بما اخبر به الله تعالى ورسله لكنهم حجبوا بصائرهم عن رؤيتها بغفلتهم وجهلهم واتباع شهواتهم وتضليل شياطين الانس والجن، ومع ذلك فهم غير صادقين في تمنيهم هذا (وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ) (الأنعام/٢٨).

هذا على صعيد الزعامات والقيادات الباطلة وأتباعهم من غير المؤمنين لكن هذه الحقيقة لها مستويات داخل المتدينين ايضاً، فقد يفضل الشخص الرجوع الى الجهة التي تحافظ على راحته ومصالحه وتداهنه او لأنها تعطيه ما يشتهيه ويوافق هواه ويدغدغ عواطفه، او لأنها لا تكلفه جهداً أو حركةً، ويترك القيادة الحقة التي تذكره بالله تعالى وتعمل على إعلاء كلمة الله تعالى وصلاح الأمة والارتقاء بها لأنها تتطلب جهاداً للنفس وحركة وعزيمة، ونتيجةُ اختياره هذا نسيان ربه شيئاً فشيئاً وميله الى الدنيا والانشغالات التافهة ونقصان وعيه

ودينه حتى يتحول الى شكليات وطقوس فارغة من المحتوى فتكون حسرة عليهم لانهم لم يستثمروا فرصاً كانت ستكسبهم درجات عالية في الجنة.

وترتقي تطبيقات الآية حتى تصل الى مستوى بذل النفس فأن الأمة لما تخاذلت عن نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وتقاعست عن نصرة الامام الحسن(عليه السلام) أُبتليت بإمارة معاوية الذي جاء الى الكوفة بعد صلح الامام الحسن (عليه السلام) فخطب في أهلها الذين قاتلوه في صفين وأُزهقت أرواح عشرات الألاف من الفريقين فقال في كلامه (والله اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، انكم لتفعلون ذلك، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد اعطاني الله ذلك وانتم له كارهون)[1].

ولما لم تفي الأمة للإمام الحسين (عليه السلام) بوعود النصرة وبخلت بالنفوس عليه وانقلبت لتقاتله فكتب عليها الذلة والخنوع وتسلط الأشرار من أمثال يزيد وابن زياد والحجاج وغيرهم من الطواغيت فقتلوا من خيرة ابناءها ما زاد على الثمن الذي كانوا سيدفعونه لو نصروا الحسين (عليه السلام) وازالوا حكم الطواغيت وتنعموا بعدالة حجة الله تعالى ودولته الكريمة، وقد حذرهم الامام الحسين (عليه السلام) من هذه النتيجة وألقى الحجة عليهم في خطابه يوم عاشوراء وكان مما قاله (عليه السلام) (فأصبحتم إلباً لأعدائكم على اوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم فيهم، أهؤلاء تعضدون وعنها تتخاذلون؟ ويلكم! أتطلبوني بدم أحد منكم قتلته، أو بمال استملكته، أوبقصاص من جراحات

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٢٥٤.

استهلكته)[١].

وقال (عليه السلام) (اما والله لا تلبثون بعدها الا كريثما يركب الفرس حتى يدور بكم دور الرحى ويقلق بكم قلق المحور)[٢] اذن لما امتنعوا عن القيام بواجب النصرة للإمام الحق لم يحصلوا على ما أرادوا من الدعة والراحة وسرعان ما دفعوا الثمن الذي حذرهم منه غالياً.

وقال زهير بن القين في خطبته (فأنكم لا تدركون منهما – يزيد وابن زياد – الا بسوء عمر سلطانهما كله ليسملان اعينكم ويقطعان ايديكم وارجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل ويقّتلان اماثلكم وقراءكم أمثال حجر ابن عدي واصحابه وهاني ابن عروة واشباهه).

لاحظ كيف تحول بخلهم بالتضحية الواجبة في سبيل الله الى نصرة للأشرار وسقوط مريع في تلك الجريمة البشعة والعاقبة المرعبة.

وخذ مثالا نعيشه اليوم وهو التصدي البطولي للمجاهدين والمتطوعين لصد الهجمة الهمجية للدواعش والإرهابيين الذين أعلنوا بصراحة انهم قادمون لنقض العتبات المقدسة في النجف وكربلاء واحتلالها وغرّهم سقوط الموصل وتكريت في يومين بأيديهم، فنهض المؤمنون الغيارى في وجوههم واسترجعوا منهم ما اغتصبوه وطهرّوا الأرض من رجس وجودهم وكلّفنا ذلك شهداء كرام وجرحى اعزاء لكن الثمن سيكون اضعافه لو تقاعسنا ولم نقم بهذا الواجب.

والآية أيضا بصيغة المضارع الذي يعني استمرارية الحالة أي ان الذين

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٢٥، ينابيع المودّة للقندوزي: ٣ / ٦٤.

(٢) الصحيح من مقتل سيد الشهداء واصحابه : ٦٥٦، ٦٦٤، ٦٦٥.

كفروا وأعداء الإسلام من الطواغيت والقوى المستكبرة وذيولهم واتباعهم ومنفذي خططهم سيستمرون في انفاق أموالهم للصد عن سبيل الله بكل الأساليب التي اشرنا الها اختصارا، وشواهده كثيرة في زماننا لكن النتيجة تكون واحدة دائما وقطعية وهي الخسارة والحسرة ونشاهد هزيمتهم باستمرار بأذن الله تعالى .

كما ان هذه الحقيقة التي استفدناها من الآية جارية مدى الزمان فلا يقصّر احد في القيام باي عمل راجح شرعاً او عقلاً وليس فقط فعل الواجبات وترك المعاصي، بل المستحبات أيضا وكل عمل انساني، لأنه ان قصّرَ خسر هذه الفرصة للكمال والسمو والفلاح وسوف لا يحصل على النتيجة التي أرادها بل يقع في عكس ما كان يريدهُ، هذه النتيجة اخبر عنها الامام الحسين (عليه السلام) بقوله: (مَنْ حاوَلَ أَمْراً بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعالى كانَ أَفْوَتَ لِما يَرْجُو، وَأَسْرَعَ لمجيء ما يَحْذَرُ)[1].

وبالعكس فأن من يجاهد نفسه ويتخلى عن مشتهياتها وما تمنيه به من السعادة والراحة الموهومة فان الله تعالى يعّوضه عن صبره ومجاهدته بما يُقرّ عينه حقيقةً وليس زيفاً كالذي ورد في النظر الى المحرمات، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يحدث عن ربه (النظرةُ سهم مسموم من سهام أبليس، من تركها من مخافتي أبدلته ايماناً يجدُ حلاوته في قلبه)[2] فلاحظ التعبير بالابدال الذي

(١) الكافي ٢ : ٣٧٣ ح ٣ ، تحف العقول : ١٧٧ ، بحار الأنوار ٧٨ : ١٢٠ ح ١٩ وفيهما اسرع لما يحذر و ٧٣ : ٣٩٢ ح ٣ ، معادن الحكمة ٢ : ٤٥ ح ١٠١ ، وسائل الشيعة ١١ : ٤٢١ ح ٣ .

(٢) ميزان الحكمة: ٤٦/٩.

يعني الحقيقة التي ذكرناها .

(إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)(ق/٣٧)، (وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ) (الحاقة/١٢).

خطاب المرحلة

(٤٩٠)

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) (الزخرف/٥٤) قابلية الشعوب على الاستعباد[1]

لو قرآنا الآية بمعزل عن السياق لكان ظاهرها ان فرعون أمر قومه ان يَخفُّوا ويسرعوا لنصرته ويبادروا للخروج معه للقضاء على النبي موسى (عليه السلام) واتباعه وهم أطاعوه واستجابوا لدعوته التي اشير اليها في قوله تعالى (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) (الشعراء/٥٣) وبهذا المعنى ورد في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) (وأطْلَعَ الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً)[2] بعكس التثاقل الذي يعني التباطؤ والتكاسل قال تعالى (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) (التوبة/٣٨).

لكننا لو قرآنا الآية ضمن سياقها فإنها تعني ان فرعون استخف بعقول

---

(١) كلمة سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في حشد كبير من الطلبة والشباب الذين شاركوا في المعايشة التي تنظم في النجف الاشرف في العشر الاواخر من شهر رمضان وتتضمن برامج دينية وتوعوية واخلاقية وقد زارهم سماحته في محل اقامتهم يوم الاحد ٢٧ رمضان ١٤٣٧هـ المصادف ٢٠١٦/٧/٣م.

(٢) الاحتجاج: ١٣٠/١.

قومه ووجدهم سلسي القياد طائشين نزقين لا حكمة لهم ولا رشد ولا وعي ولا بصيرة ينعقون مع كل ناعق فمضى في مشروعه الاستكباري والاستعلائي واستعباد الناس وتسييرهم وفق هواه، وهم صدّقوا ظنه فيهم حين أطاعوه ورضوا بحالة العبودية فهي هنا كما في قوله تعالى (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) (الروم/٦٠) أي لا يذهبن بحلمك وعقلك ما يفعله المشركون.

وتعلّل الآية الكريمة هذه الحالة عند قوم فرعون بأنهم كانوا فاسقين خارجين عن حدود العقل والفطرة ومجردين من الخصائص الإنسانية الكريمة، ورضوا لأنفسهم حياة الذل والهوان والعبودية، والفسق لغةً هو الخروج، وفي لغة العرب (فسق الرطب) إذا خرج عن قشره، وفي المصطلح: الفسق هو الخروج عن حدود الشريعة والعقل والفطرة.

وهذا يعني انهم لو لم يكونوا فاسقين خارجين عن صراط الحق طائعين لأهوائهم لما استطاع فرعون ان يستعبدهم ويستخف بهم، فالمظالم والكبائر التي يرتكبها الطغاة ليسوا فقط هم المسؤولين عنها، وإنما تتحمل الشعوب جزءاً من المسؤولية إزاء ما يحلّ بها لأنها مكّنتهم من ذلك بفسقها وانحرافها، واستسلموا لخداع ومكر الزعامات والمتسلطين، فأعانوا عدوهم – من شياطين الانس والجن – على أنفسهم، أما المؤمنون المتبعون للقيادة الحقة فأنه يصعب خداعهم وسوقهم.

فالآية تقدّم لنا حقيقة سبق اليها القرآن الكريم وقرّرها قبل ان يتوصل اليها علماء الاجتماع بعد قرون طويلة وهي ان الشعوب المستضعفة والمستعبدة

من قبل الطواغيت او القوى الخارجية المحتلة لا تسقط في هذه الانتكاسة إلا لأنها تتوفر فيها قابلية الاستعباد، وعلى تعبير بعضهم قابلية الاستعمار، وعلى تعبير آخر: قابلية الاستحمار لان الشعوب حينئذٍ تُقادُ الى حيث يريد مستعبدوها بلا بصيرة ولا وعي وإدراك لمصيرها البائس الذي تسير اليه بحيث تغفل هذه الشعوب عن أشد المظالم وأوضح الجرائم بحقها وتصرّ على السير خلف الظالمين المستبدين فيسوقونهم الى الموت ويسلبون أموالهم ويُسخرونهم لتحقيق نزواتهم وهم يصفّقون لهم ويقدسونهم ويطيعونهم طاعة عمياء.

والتأمل في سلوك فرعون مع شعبه الذي حكته الآيات الشريفة السابقة يشير الى الأساليب التي يتبعها الطواغيت والمستكبرون لتدجين الشعوب واستخفافها وهي لا تختلف عن أساليب اليوم إلا من حيث الشكل والأدوات التي تتغير تبعاً للزمان وإلا فالحقيقة واحدة.

قال تعالى (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) (الزخرف:٥١-٥٤).

والأساليب هي:

١- سلب حالة الوعي والادراك والفطنة التي عبّر عنها القرآن الكريم بـ(البصيرة) وتكريس حالة الجهل والتخلف والانقطاع عن أسباب المعرفة الحقيقية والاهتمام بالقشور وقلب موازين التقييم من معنوية حقيقية جوهرية الى مادية سطحية زائفة وهكذا ضمن عملية غسل دماغ تسلب

عقولهم ووعيهم ويتحولون الى قطيع منفذ للأوامر، ولذا قال لهم (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) فدعاهم الى النظر الحسّي ولم يدعوهم الى التأمل والتدبر والتفكر لئلا تظهر الحقائق ويُفتضح المخادع، والأمور التي دعاهم فرعون الى إبصارها قريبة محسوسة أما موسى (عليه السلام) فيدعوهم الى الايمان بامورٍ غيبيةٍ بعيدة عن إدراك الناس الغافلين.

وتحاط عملية غسل الدماغ احياناً بالقدسية والخطوط الحمراء التي لا تقبل النقاش، وهنا يكون دور لعلماء الدين المحبين للدنيا والواجهات المؤثرة في المجتمع (السحرة ومعبرو الاحلام في قوم فرعون) لإضفاء هذه القدسية وشرعنة ما يفعله الطغاة وإدامة سلطتهم وهيمنتهم وإحكام الطوق على الشعوب المستعبدة باسم الدين وشعائره، لكن أي دين؟ لقد وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنهم (لبسوا الإسلام لبس الفرو مقلوباً)[1].

وهذا ما يدفع الزعامات الحريصة على مواقعها الى استخدام كل أساليب البطش والقسوة المادية والمعنوية بحق المصلحين الواعين الذين ينهضون لإيقاظ الأمة وتبصرتها وترشيد سلوكها، وتحريرها من الاغلال والآصار التي تُحجرّ على عقولهم وتلّوث باطنهم وفطرتهم[2].

٢- استحقار الآخر (فرداً او شعباً) والاستهزاء به لسحق شخصيته وإظهار عجزه وضعفه ليقتنع بأنه مخلوق ليكون تابعاً لغيره فموسى (عليه السلام) عند فرعون

(١) شرح نهج البلاغة ج٧ ابن أبي الحديد ص١٩١.

(٢) راجع خطاب المرحلة ج ٩ ص ٢٠٢ تحت عنوان (ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم).

(مهين) لأنه من بني إسرائيل المستضعفين المواطنين من الدرجة الثانية الذين لا يحق لهم العمل إلا في المجالات المتدنية كرعي الأغنام وخدمة الأغنياء والمترفين، وكان المظهر الخارجي لموسى (عليه السلام) متواضعاً قال أمير المؤمنين في وصفه (وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عليه السلام عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ)[1].

ووصفه فرعون ثانية بأنه (ولا يكاد يبين) مستغلاً ما كان معروفاً عن موسى (عليه السلام) قبل خروجه من مصر بأنه كانت له عقدة في لسانه فلا يكاد يبّين ما يريد

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢ ويشير الامام (عليه السلام) الى الحكمة في ذلك، وقال (عليه السلام) (وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ).

قوله بوضوح فخدعهم بهذه الحالة التي كانت قبل بعثه بالنبوة، فلما بعثه الله تعالى بها شكى حاجته (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ) (الشعراء/١٣) (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً) (القصص/٣٤) ودعا ربّه بإطلاق لسانه (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي) (طه/٢٧- ٢٨) وقد استجاب الله تعالى دعاءه وأطلق لسانه (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) (طه/٣٦).

٣- إقناعهم بحاجتهم لهؤلاء المستكبرين وانهم لا يستطيعون الحياة بدونهم وخلق حالة رعب وقلق وخوف (فوبيا) من البديل (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) كان نهر النيل والانهار والجداول المتفرعة عنه التي روي انها وصلت الى ٣٦٠ فرعاً مصدر حياة المصريين ورخائهم وازدهارهم وفخرهم وعزتهم، فصّور لهم ان هذه الشبكة الإروائية تجري بأمره ووفق تدبيره وهي تحت سلطته وقدرته، وموسى (عليه السلام) لا يملك شيئاً من هذا والذهاب معه يحرمكم من هذه العزة والرخاء.

٤- خلق حالة الانبهار به لدى الطرف الآخر وجعله باهتاً امام هذه الجبروت والعظمة التي هي زائفة في الحقيقة فتأخذ بألباب الناس ومجامع قلوبهم وعقولهم ويكون غاية هم الناس أن ينالوا شيئاً من فتات دنياهم (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) وحالة الانبهار تولد تبعية وانقياد لما أنبهر به: ولا يفكر المنبهرون حينئذٍ في الخروج عن طاعتهم فضلاً عن التفكير في إزالتهم وإقامة النظام البديل.

فالمستكبرون يوهمون الناس بأن من يتطلّع الى القيادة والأمرة لابد ان يكون كالفراعنة متزيناً بالذهب والفضة ويملك ثروة طائلة، وهذا غاية الاستخفاف بالناس أن يجعل دليل صدق النبوة والسفارة الإلهية وتبليغ رسالة الله تعالى حيازته للثروة والذهب والاعراض عن الآيات والبينات التي جاءهم بها وهو نفس إشكال قريش في الآية (٣١) من سورة الزخرف (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْن عَظِيمٍ).

وكان سرد هذه الحكاية عن آل فرعون هو موعظة وتحذير لقريش من سلوك هذا المنهج الضال، ولا شك ان عملية الإصلاح في المجتمع المترف اقتصادياً والمستقر يكون أصعب ويواجه عقبات جمة ورفضاً من عامة الناس فضلاً عن المتسلطين.

وكرّر فرعون الاشكال الذي أثارته الأمم المكذّبة على انبيائها بأن الله تعالى لو شاء أن يبعث رسولاً لجعله ملكاً ولو اختاره انساناً فلابد أن تأتي معه الملائكة (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً) (الإسراء/٩٢).

ولم يغب عن فرعون إثارة النعرات والعصبيات الجاهلية بقوله (يا قوم) وهم الاقباط المتسيّدون قوم فرعون لعزل موسى ومن معه من بني اسرائيل.
وهنا يأتي قوله تعالى (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) وفيه إشارة الى ان فرعون كان يعرف انه مخادع وأن أدلته لا قيمة لها لكنه استخف بعقول قومه واستصغر شأنهم واستعمل وسائل الخداع والمكر مع الاغراء والترهيب فوجدهم طائعين ومسلّمين له.

هذا السلوك الفرعوني هو ديدن الطواغيت والمستكبرين والطامحين الى الزعامة والتسلط على رقاب الناس في كل زمان ومكان وأدواتها في تطور مستمر، لاحظ سلوك الحكومات الغربية تجاه شعوبنا الإسلامية من أجل السيطرة عليها وسلب خيراتها والتحكم في شؤونها مما يسمى بالاستعمار، فهم يسحقون شخصية هذه الشعوب ويشعرونها دائماً بالدونية وجعلهم مستهلكين غير قادرين على بناء حضارة متينة قادرة على البقاء والتقدم وإن كانوا من حيث المظاهر المادية في أرقى صورها – كدول الخليج مثلاً – فهم دائماً مرتهنون لأولئك المتحكمين.

كما استطاعوا أن يبهروا شعوب المنطقة بإبراز مظاهر التقدم العلمي والتكنولوجي وهذا الانبهار أدى الى الانسياق وراء كل ما يصدرّونه الينا من تقاليد وأفكار وسلوكيات كشرب الخمر والانحلال الخلقي تحت شتى العناوين وإشاعة الفاحشة باسم الفن او الرياضة او الحرية، والبحث عن اللهو والعبث واللعب وهكذا في سائر أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، حتى سوقوا أكثر الجرائم انحطاطاً كزواج المثليين بقوانين رسمية تحت عنوان الحرية الشخصية وامثالها والاعتداء على الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) بذريعة حرية التعبير عن الرأي وأمثالها من الامور التي جعلوها مقدسة لا يجوز المساس بها ما دامت تصب في مصالحهم بينما يعاقبون بشدة من يتحدث بمظالمهم ويفضح ادعاءاتهم – كمعاداة السامية – ولا يشفع له حرية التعبير عن الرأي.

واستغلوا أنس الناس الغافلين بالماديات المحسوسة وسرعة التصديق بها لينكروا الغيبيات وما وراء المادة، والناس لا تفرّق بين ما يدرك بالحواس المادية وما يدرك بالعقل والفطرة الإنسانية السليمة. ولجعل الشعوب في غفلة دائمة وإشغال فكرهم اعتمدوا سياسة الالهاء تارة بالسباقات الرياضية التي ما ان تنتهي واحدة حتى تبدأ الأخرى، وبالحرية الجنسية وبوسائل التواصل الاجتماعي وتقنيات وسائل الاعلام والمواقع الالكترونية وشبكة الانترنت التي تقدّم باستمرار الجديد والمثير والجذّاب فينشغل الناس بهذه ولا يفكرون في مناقشة أوضاعهم الاجتماعية وإصلاحها ولا يبقى عندهم وقت للتأمل والتدبر قال تعالى (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ) (الأنبياء/٢-٣).

خذ مثلاً تصويت أغلب البريطانيين قبل أيام لصالح انسحابهم من الاتحاد الأوربي مع انه قرار ليس لصالحهم لكن الدوائر الاستكبارية التي تريد تمزيق الاتحاد الأوربي نجحت في خداع هذه الاغلبية بالأكاذيب والمخاوف المفتعلة والغريب ان البريطانيين بعد أن صوتوا للخروج ذهبوا بالملايين الى المواقع الإلكترونية ليسألوا عن ماهية الاتحاد الأوربي والفوائد التي تجنيها بريطانيا من بقاءها فيه، فكيف صوتوا وهم لا يعرفون شيئاً عن أصل الموضوع.
وفي الختام نشير الى ان علاج هذه الحالة –أي قابلية الاستعباد- التي تؤسس للانحطاط يبدأ باجتثاثها من عقل الانسان وقلبه ونفسه وقد اختصره أمير

المؤمنين (عليه السلام) بقوله (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)[١] أياً كان هذا الغير: أهواء النفس الأمّارة بالسوء او الطواغيت والزعامات المصطنعة، أو شياطين الجن والانس.

(١) غرر الحكم / ح ١٠٣٧١.

خطاب المرحلة

(٤٩١)

(فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)
(الحجر:٩٢-٩٣)
تنمية الشعور بالمسؤولية (١)

يقسم الله تبارك وتعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله) ويختار للقسم أسماً محبّباً من اسمائه وهو (الرب) الذي تولى تربيته ورعايته والعناية به على اتم وجه وهي العناية التي لمسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل حياته واستشعر رفقها وحنانها وحبّها، فالقسم بهذا الاسم يكون أدعى للاذعان والتسليم بهذه الحقيقة.

وهو سبحانه لا يحتاج الى قسم لتصديق كلامه (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً) (النساء-١٢٢) وإنما يقسم تعالى لتأكيد القضية، وجلب المزيد من الاهتمام بها وإيقاظ المخاطبين من غفلتهم عن جدية هذا الأمر وواقعيته، وزاد في التأكيد باستعمال اللام ونون التوكيد.

(لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ) فكل البشر سيقفون للسؤال والحساب أمام الله تعالى بلا استثناء (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) (الصافات-٢٤) وهو تبارك وتعالى لا يسأل للاستفهام وطلب التعرف لأنه تعالى (قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً) (الطلاق-١٢) (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن

(١) كلمة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في ملتقى أساتذة الجامعات العراقية مساء يوم الخميس ١٦ شوال١٤٣٧ الموافق ٢١-٧-٢٠١٦ وقد استضاف مركز عين للبحوث والدراسات المعاصرة أكثر من ستين أستاذا واستاذة جامعية على مدى ثلاثة أيام لمناقشة التحديات المعاصرة.

ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (يونس-٦١) (وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) (طه-٩٨) وإنما السؤال للإقرار والتبكيت وإلزام المسؤول نفسه وكشفه (عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وهذا بذاته فيه الكثير مما يسمى بـ(وخز الضمير) والشعور بالخجل لظهور ما كان يخفيه الانسان من القبائح والتقصيرات (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) (الطارق-٩) وكان عليه أن يلتفت حينما كان في الحياة الدنيا الى هذه الحقيقة ويعمل على أساسها بحذر وانتباه لا أن يضيّع نفسه بسبب الغفلة وإتباع الاهواء والشهوات (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ) (فصلت-٢٢).

وفي قوله تعالى (عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) عموم لكل ما عمل الإنسان، فالسؤال سيكون شاملاً لكل تفاصيل الحياة التي ستكون حاضرة وماثلة (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجاثية-٢٩) (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً) (الكهف-٤٩) (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً) (آل عمران-٣٠) وسيكون الجزاء – مثوبة وعقوبة – بحسب العمل (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) (الزلزلة/٧-٨).

والسؤال والاستفهام ما دام إقرارياً تبكيتياً فأنه قد لا يكون بتوجيه الكلام الى المسؤول كما هو المتعارف بل باستنطاق جوارحه واعضائه الشاهدة على أفعاله والحاضرة فيها (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النور-٢٤).

وهذا الفهم يقدّم وجهاً لحل الاشكال بين الآية التي نحن فيها وقوله

تعالى (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ) (الرحمن-٣٩) وهنا السؤال متحقق لكن بالاستنطاق المذكور ولا يحتاج الى أن يسأل الانس والجان لفظياً عن أعمالهم لأنها ستكون حاضرة مع شهودها (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يس-٦٥) (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) (الرحمن-٤١).

أمام هذه الحقائق (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) (فاطر-٥) يكون حرياً بنا أن نستشعر هذه المسؤولية وان تكون حية في وجداننا وحاضرة في أذهاننا عند كل قول أو فعل وفي أي حال من أحوال النفس، فهذا الشعور بالمسؤولية هو أول ثمرة واستجابة لهذه الآية الكريمة تلبية لنداء الرب الكريم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال-٢٤)، والآية تؤسس لحقل مهم من حقول علم التنمية البشرية الذي يحظى باهتمام واسع اليوم وهو الشعور بالمسؤولية.

وفي الخطوة التالية علينا أن نعي هذه المسؤولية ونتعرف على تفاصيلها ومجالاتها، لأن المعرفة أساس كل شيء، وإنما اخرج الانسان الى هذه الدنيا ليحَّصل هذه المعرفة ففي تفسير قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات-٥٦) نقل عن الامام الصادق (عليه السلام) عن الامام الحسين(عليه السلام) قال (خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس ان الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه)[1] ولذا اكتسب العقل أعلى قيمة

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق : باب ٩ علة خلق الخلق .

بين العبادات في الحديث (مَا عُبِدَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْل)[١].

والمسؤوليات الملقاة على عاتقنا في هذه الدنيا واسعة ومتشعبة وباتجاهات عديدة، سئل الامام علي بن الحسين (عليه السلام) (كيف أصبحت يا ابن رسول الله ؟ قال أصبحت مطلوباً بثمان خصال : الله تعالى يطلبني بالفرائض، والنبي (صلى الله عليه وآله) بالسنة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان بالمعصية، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح ، والقبر بالجسد، فأنا بين هذه الخصال مطلوب)[٢] فالحديث يحمل معاني الاشفاق والقلق والعطف على من يعيش هذه التجاذبات وعليه ان يؤدي هذه الاستحقاقات التي لا يعرف صعوبة النجاح فيها والخروج من عهدتها بالشكل الكامل الا مثل الامام السجاد (عليه السلام)، فما حال الناس الغافلين والمقصرين؟!

وهذه الاستحقاقات الثمانية تمثل الحد المشترك بين الناس والمسؤولية الشخصية لكل أحد، وتوجد بإزائها المسؤوليات العامة التي تضاف الى الانسان بحسب الموقع الذي يشغله والعنوان الذي يكتسبه فهي تختلف من شخص لآخر ، فمثلاً حضراتكم أساتذة في الجامعات يتربى على أيديكم في كل سنة المئات من الطلبة الشباب فعليكم مسؤولية علمية في تزويدهم بكل ما ينفعهم من العلوم والمعارف ليكونوا متقنين للعلم الذي تخصصّوا فيه وهذه المسؤولية تلزمكم بتقييمهم بدقة وعدم بخس حق أحد او تفضيل أحد على آخر بغير حق، ورد في الآثار أن صبيين ارتفعا –أي تخصما- إلى الحسن بن علي في

(١) وسائل الشيعة ج١٥ ص١٨٧ ح ٢٠٢٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٥/٣٧.

خط كتباه و حكّماه في ذلك ليحكم أي الخطين أجود فبصر به علي فقال يا بني أنظر كيف تحكم فإن هذا حكم و الله سائلك عنه يوم القيامة [١].

وعليكم مسؤولية أخلاقية وفكرية وثقافية في توعية هذا الجيل وهم خام في مقتبل العمر وفي مرحلة تكوين شخصيتهم ورسم ملامح رؤيتهم للحياة، وليس عندهم في عائلتهم او بيئتهم التي جاؤوا منها ما يساعدهم على ذلك، وانتم لكم من الهيبة والرمزية والتأثير على الطلبة اكثر من أي شخص مؤثر اخر، فعليكم ترشيدهم وتوجيههم وتصحيح سلوكياتهم وعقائدهم وتحصينهم من التيارات الوافدة تحت عناوين مختلفة وهي جميعاً تهدف الى تجريد الشباب من هويتهم الاصيلة، فلابد من اعطائهم الجرعات المضادة لهذه الأوبئة والامراض الفتاكة.

فالمسؤولية اذن شاقة ومعقدة وقد تقولون إن هذا صعب أن يفي الإنسان بكل هذه الالتزامات مع الاستحقاقات الثمانية التي وردت في حديث الإمام السجاد عليه السلام وأنا أشاطركم هذا الشعور، لكن هذه الصعوبة تذوب بالإخلاص لله تبارك وتعالى وبالتسامي عن الأنانية الشخصية والفئوية وبالهمة العالية والتفاني في العمل، واعلموا أن الألطاف الإلهية والنفحات المعنوية تختصر لكم الطريق وتطوي المسافة وتقرب البعيد وتذلل العسير قال تعالى (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً). (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً) (الطلاق: ٢، ٤-٥).

---

(١) مجمع البيان ج٣ ص ١٠٠.

وهكذا فقد تكفل الله تعالى بتيسير سبل طاعته والمعونة عليها كما في الآيات والروايات الكثيرة ومنها قوله تعالى (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات-٧) قال تعالى (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الذاريات-٢٢) وقال تعالى (نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم) (الإسراء-٣١).

وتوجد رواية تهديكم إلى الكثير من الحلول لمشاكلكم وتفتح لكم آفاق المخرج من التعقيدات التي تواجهكم، خصوصاً في الساحة العراقية التي غاصت في وحلها أرجل الكبار والصغار، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسئل مسألة إلا ونفثنا في روعه جوابا لتلك المسألة)[١].

فلا يكفي إذن ان يتبوأ الانسان موقعاً مهماً بل عليه أن يفي باستحقاقه ويؤدي التزاماته أمام الله تعالى، استمع الى أمير المؤمنين (عليه السلام) يتحدث عن هذه المسؤولية حينما رجعت اليه الأمة بعد إعراض (أ أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين و لا أشاركهم في مكاره الدّهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش)[٢].

وإذا عجز الإنسان عن القيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه في موقع معين – خصوصاً على مستوى الزعامة الدينية والسياسية - فليتجنب الموقع وليترك الفرصة لغيره، فإن حركة البشرية نحو التكامل لا تتوقف لموت أحد أو

(١) شرح الخطبة التطنجية لكاظم الحسيني الرشتي ج٢

(٢) نهج البلاغة ص ١٤٦، من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.

انسحابه من العمل ولا حاجة إلى أن يتمادى في جهله وظلمه لنفسه فيتقمص موقعاً ليس من أهله ويكفيه ما قال فيه خالقه: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب-٧٢).

وقد يشعر الإنسان بالرضا عن نفسه أحياناً وبكونه ناجحاً في عمله ومؤدياً لواجباته عكس ما ينظر إليه الآخرون فلا يفهم سبب اعتراض الآخرين أو توبيخهم، وما ذلك ـ في بعض وجوهه ـ إلا لفقدانه القدرة على قياس درجة النجاح وضياع المعايير الصحيحة للتقييم عنده لأنه غافل عن ما يجب عليه الوفاء به من استحقاقات، ولو التفت إليها لعرف حجم تقصيره ولكنه ينظر إلى جهةٍ واحدة ويرى نفسه ناجحاً فيها و يعمم النتيجة.

أيها الإخوة والأخوات:

إن الله تعالى خلقكم في زمان يغبطكم عليه أهل الأجيال الأخرى كما نغبط نحن جيل الصحابة الذين عاشوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبنوا بقيادته الحكيمة صرح الإسلام العظيم، فكان لهم بكل من اهتدى بنور الإسلام صدقة جارية توجب لهم المزيد من الأجر.

ونغبط أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لأنهم صنعوا مستقبل الأمة إلى نهاية التاريخ وأرجعوا مسيرة الأمة إلى اتجاهها الصحيح وصانوها من الانحراف والتزييف فلهم على كل مسلم فضل ومنّة بموقف وقفوه عدة ساعات من النهار.

فعلينا أن نلتفت الى ان الله تعالى خلقنا في هذا المفصل التاريخي العظيم الذي قُدِّر له أن يرسم المستقبل ليس للعراق فقط بل للمنطقة وللعالم، ولا تؤثر عليه المعاناة والمصائب والفجائع التي يدبرها لنا اعداؤنا، فعلينا أن نحسن الأداء (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) (الملك-٢) وأن نؤدي وظائفنا المطلوبة على أكمل وجه في هذا اليوم الذي له ما وراءه كما كانت تقول العرب وأن نشكر الله تعالى على هذه الفرصة الثمينة ونحسن استثمارها.

ومن قبل نشكر الله تعالى انه خلقنا في زمان الإسلام والهدى، هذه النعمة التي سجّلها الإمام الحسين عليه السلام في دعاءه يوم عرفة (لم تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذّبوا رسلك لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي له يسرتني وفيه أنشأتني).

تصوّروا لو أن الله تعالى خلق أحدنا في زمان الجاهلية فما هي فرصة الهداية في ذلك المجتمع الذي كان يعكف على عبادة الأصنام والزنا وشرب الخمر وقتل النفس المحترمة، بحيث أن جعفر بن أبي طالب يشار إليه بامتياز عن المجتمع المكي بانه ممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية لندرة هذه الحالة، ويوصف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأنه (كرم الله وجهه) لأنه لم يسجد لصنمٍ في الجاهلية ومن هذه الأمثلة النادرة تعلموا حال الآخرين.

أقول: ما فرصة هداية الإنسان في مثل ذلك المجتمع وكم واحدٍ يمكن أن يكون مثل سلمان الفارسي الذي ولد بأرض الفرس فلما بلغ عرف ضلال قومه فراح يجوب البلدان بحثاً عن الحقيقة في بلاد الفرس والروم وارض

العرب حتى اهتدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فهذه النعمة التي نرفل بها تضاف إلى نعمة عظيمة أن الله تبارك وتعالى اختارنا بلطفه وعطائه الابتدائي من بين الأجيال لنكون من هذا الجيل الذي كلّفه برسم معالم المستقبل، كما اختار من قبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحاب الحسين (عليه السلام) (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) (فصلت-٤٦)، (قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) (الأنعام-١٠٤).

خطاب المرحلة

(٤٩٢)

(وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (الصافات: ٢٤)
صفات المسؤول(١)

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته والرجل راعٍ على اهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم)(٢).

وعن امير المؤمنين قال: اتّقوا اللّه في عباده و بلاده فإنّكم مسؤولون حتّى عن البقاع و البهائم، و أطيعوا اللّه و لا تعصوه)(٣).

اذن كلنا مسؤولون، ولكن قد تختلف دائرة المسؤولية سعةً وضيقاً ولا يخلو احدٌ منها فانه مسؤول عن نفسه اولاً بتهذيبها وإصلاحها ثم عن اسرته وعائلته ثانياً وعن أصدقائه وزملائه في العمل وعن جيرانه وعن مجتمعه إذا كان في موقع المسؤولية السياسية او الدينية وهكذا الى ان تصل الى ولاية أمور الامة والمسؤولية العامة عن الناس وإدارة امورهم ورعاية شؤونهم.

وقد ذكرت الروايات الشريفة الصفات والخصائص التي ينبغي توفرها

---

(١) كلمة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في تجّمع مرشدي قوافل الحجاج يوم الاثنين ٢٧/شوال/١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٨/١ وهي تكملة للخطاب السابق.

(٢) صحيح مسلم: ١٤٥٩/٣/ ٢٠

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٧

في المسؤول لينجح في عمله واداء وظيفته وليُعَّد محسناً عند الله تبارك وتعالى فينال رضاه، ورأيتها تركّز على صفة (الابوة) في المسؤول وأغلب الصفات المطلوبة في المسؤول –بأي مستوى كان– مندرجة في هذا العنوان بحيث ان النبي (صلى الله عليه وآله) اختار هذا العنوان ليصف به نفسه واخاه امير المؤمنين (عليه السلام) قال (انا وعلي ابن ابي طالب ابوا هذه الامة)[1].

واقول لكم بصراحة ان اكثر صفة نفتقدها في الذين يتولون امراً ما صغيراً كان او كبيراً هي هذه الصفة وفقدانها سبب رئيسي لفشل عمل اكثر مؤسساتنا ليس فقط الرسمية بل حتى الخيرية والدينية والاجتماعية والثقافية.

روى الشيخ الكليني (قده) بسنده عن الامام الباقر (عليه السلام) أنه قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا تصلح الامامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال : ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم)[2].

وروى في نفس المصدر أنه (جاء الى أمير المؤمنين (عليه السلام) عسل وتين من همدان وحلوان فأمر العرفاء –أي المسؤولين ورؤساء اللجان– أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الازقاق يلعقونها وهو يقسمها للناس قدحاً قدحاً، فقيل له : يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال : إن الامام ابو اليتامى وإنما

(١) بحار الانوار: ٦/٣٦-٩ والتفاصيل في خطاب المرحلة ٦٤/٩.

(٢) – اصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب : ما يجب من حق الامام على الرعية، وحق الرعية على الامام.

العقتهم هذا برعاية الاباء)[١].

فما هي صفات وسلوكيات الوالد الرحيم التي ارادت الاحاديث الشريفة من كل مسؤول الاتصاف بها؟

اولاً : لنحققها في انفسنا ونعمل بها لأنها من مكارم الاخلاق ومحاسنها التي تنال بها الدرجات الرفيعة عند الله تعالى وهذا مما لا يلتفت اليه اكثر الناس ويغفلون عن هذه الوسيلة العظيمة المقرِّبة الى الله تعالى، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة) وعنه (صلى الله عليه وآله) قال (ما من شيء اثقل في الميزان من حسن الخلق)[٢] وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال : (ما يَقْدِم المؤمنُ على الله عزّ وجلّ بعملٍ بعد الفرائض أحبَّ إلى الله تعالى مِن أن يَسَع الناسَ بخُلقه)[٣] .

ثانياً: ولأننا محاسبون عليها كما نطقت به الآيات الشريفة، (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (الصافات: ٢٤) (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الحجر: ٩٢-٩٣).

ثالثا: ولنأخذ دروساً في تربية الأبناء تربية صحيحة وفق تعاليم اهل البيت (عليهم السلام) وينبغي الالتفات الى ان بعض الصفات قد نعرضها من جانب مسؤولية الآباء في الاسرة ولكن لما طلبت الروايات المتقدمة من كل مسؤول يلي أمور مجموعة من الناس ان يكون كالوالد الرحيم لهم فعلينا تجريد

(١) اصول الكافى (الجزء الاول من الطبعة الحديثة) : ٤٠٦ .

(٢) ميزان الحكمة : ١٣٤/٣

(٣) الكافي ٢:١٠٠ / ح ٤)

هذه الروايات من خصوصياتها وتعميمها الى المسؤوليات الأخرى:

١- الحب للولد او للرعية إذا نظرنا الى المسؤولية الاجتماعية: عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: (قال موسى بن عمران: يا رب، أي الاعمال أفضل عندك؟ فقال عز وجل: حبُّ الاطفال، فأني فطرتهم على توحيدي، فإن أمتُّهم أدخلتهم برحمتي وجنتي)[١].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (أحبوا الصبيان وارحموهم...)[٢].

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (نظر الوالد الى ولده حباً له عبادة)[٣].

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل ليرحم العبد لشدة حبه لولده)[٤] وفي الحقيقة فان الحب ينبغي ان يشمل كل الناس لانهم صنع الله تعالى وآثار قدرته والمحب يحب كل آثار محبوبه وما يرتبط به .

٢-الرحمة: قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران : ١٥٩] وفي عهد امير المؤمنين عليه السلام لمالك الاشتر لما ولاه مصر ((وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، واللُّطْفَ بِهِمْ . ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً ، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ))[٥] .

---

(١)البرقي، المحاسن،ج١،ص٢٠٠،باب المحبوبات، ح١٥.

(٢)الكافي، ج٦،ص٤٩.

(٣)مستدرك الوسائل، ج١٥،ص١٧٠،ح١٧٨٩٤.

(٤) اصول الكافي، ج ٦، ص ٥٠.

(٥)جواهر البحار – كتاب الروضة: باب عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشتر حين ولاه مصر

وفيما نحن فيه من علاقة الاب بأولاده، ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((أحبوا الصبيان وارحموهم...))[١].

ومن مظاهر حب الولد والرحمة به: تقبيله، وتفريحه، وإرضاؤه، وإدخال السرور على قلبه، والمسح على رأسه، والنظر برحمة إليه...

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله):(من قبل ولده كتب الله عز وجل له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة، ومن علمه القرآن دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة)[٢].

وعنه(صلى الله عليه وآله):(قبلوا أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة ما بين كل درجتين خمسمائة عام)[٣].

وعنه(صلى الله عليه وآله) لما قبل الحسن والحسين، فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحدا منهم، فقال رسول الله:(ما علي إن نزع الله الرحمة منك)[٤].

وكان رسول الله يقبل الحسن والحسين، فقال عيينة : إن لي عشرة ما قبلت واحدا منهم قط فقال:(من لا يرحم لا يُرحم)[٥].

عن الإمام موسى الكاظم عن آبائه عليهم السلام)عن رسول الله(صلى الله عليه وآله):

---

(١)الكافي ح٦/ص٤٩ .

(٢)الكافي ج٦ ص ٤٩ .

(٣)مكارم الاخلاق ص ٢٢٠ .

(٤) مكارم الاخلاق ص ٢٢٠ .

(٥)وسائل الشيعة ، ح٢٧٦٥٧.

(إذا نظر الوالد الى ولده فسرّه، كان للوالد عتق نسمة، قيل: يا رسول الله، وإن نظر ستين وثلاثمائة نظرة؟! قال: الله أكبر)[١].

وكان النبي إذا أصبح مسح على رؤوس ولده وولد ولده [٢].

عن الإمام علي(عليه السلام): ((قبلة الولد رحمة))[٣].

وعن رسول الله لما خرج على عثمان ابن مظعون ومعه صبي له صغير يلثمه، قال له:(ابنك هذا؟ قال نعم. قال: أتحبه يا عثمان؟ قال إي والله يا رسول الله، إني أحبه! قال(صلى الله عليه وآله):أفلا أزيدك له حباً؟ قال: بلى، فداك أبي وأمي !قال(صلى الله عليه وآله):إنه من يرضي صبيا له صغيرا من نسله حتى يرضى ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى)[٤].

٣- التغافل: وغضّ النظر عّما فعل وكأنك لم تعلم بما صدر منه من خطأ لكن مع الانتباه والمراقبة لما يفعل من طرف خفي.

وقد ورد هذا المعنى في بعض روايات ائمة اهل البيت (عليهم السلام) عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال (إن العاقل نصفه احتمال، ونصفه تغافل)[٥].

وعنه (عليه السلام) قال : (اشرف اعمال –او أحوال- الكريم غفلته عما يعلم)[٦].

---

(١) مستدرك الوسائل ج١٥ / ص ١٦٩، ح١٧٨٨٦

(٢) عدة الداعي ، ص٨٧

(٣) مكارم الاخلاق ، ص٢٢٠

(٤) كنز العمال ح ٤٥٩٥٨

(٥) غرر الحكم: ٢٣٧٨

(٦) نهج البلاغة / الحكمة ٣٢٣

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال : (صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل) [١] .

وعن الامام علي ابن الحسين السجاد (عليه السلام) قال : ((اعلم يا بني ان صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين : اصلاح شأن المعايش ملء مكيال ثلثاه فطنه وثلثه تغافل ، لان الانسان لا يتغافل الا عن شيء قد عرفه ففطن له)) [٢].

٤- المداراة واللين والرفق بهم، وهو أدب عام من آداب المعاشرة مع الناس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض) [٣] وعنه (صلى الله عليه وآله): (مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نف العيش) [٤] وعنه (صلى الله عليه وآله) (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف) [٥].

فالرفق من صفات الله تعالى، ومقتضى التوحيد العملي – كما في المصطلح – أن يتخلق الانسان بأخلاق الله فيكون رفيقاً، ويترك العنف والغلظة في الأفعال والاقوال على الخلق في جميع الأحوال، سواء صدر عنهم بالنسبة اليه خلاف الآداب او لم يصدر.

---

(١) تحف العقول ص ٣٩٣

(٢) الخزاز القمي / علي ابن محمد ، كفاية الاثر ص٢٤٠ . تحقيق عبد اللطيف الحسني ، انتشارات بيدار ن مطبعة الخيام قم ١٤٠١ م

(٣) الكافي: ١١٧/٢.

(٤) الكافي: ١١٧/٢.

(٥) الكافي: ١٢٠/٢.

وروي عنه قوله (صلى الله عليه وآله): (خذوا بالناس الميسَّر ولا تملّوهم)[١].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : (إن الله يحب الرفق، ويعين عليه)[٢].

وعنه (صلى الله عليه وآله): (لو كان الرفق خلقاً ما كان مما خلق الله شيء أحسن منه)[٣].

وعنه (صلى الله عليه وآله): (إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير)[٤].

وعن الامام جعفر الصادق (عليه السلام): (من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس)[٥].

وكان آخر ما اوصى به الخضر، موسى بن عمران (عليه السلام) أن قال له (وإن أحب الأمور الى الله عز وجل ثلاثة.....الرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عزّ وجلّ به يوم القيامة)[٦].

وهو من آداب الدعوة إلى الله تعالى وإلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم موسى وأخاه هارون (عليهما السلام): [اذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى]

(١) كنز العمال: ح ٥٣٩٣.

(٢) الكافي،ن.م،ح١٢.

(٣) الكافي،ن.م،ح ١٣.

(٤) الكافي،ن.م،ح ٧.

(٥) الكافي،ن.م،ح ١٦.

(٦) الصدوق، الخصال، ص١١١.

(طه:٤٣-٤٤)، وهذا الأدب له آثار نفسية واجتماعية كبيرة[١] ويزيد من فرص التأثير والترغيب، أما الشدة والغلظة فتوجب النفور والعناد[٢]، وقال تعالى: [ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (النحل:١٢٥) وقال تعالى: [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] (فصلت:٣٤).

ويتأكد هذا الادب في علاقة الوالدين بالأبناء.

٥- العفو عنه : بمعنى عدم معاتبته ولا معاقبته او توبيخه، وقد اكد القران الكريم والنبي(صلى الله عليه وآله)في منهاجه على مبدأ العفو في العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة وخارجها بشكل عام.

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) من الفوائد المرتبطة بالآية ما رواه الشيخ (قدس سره) في التهذيب بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (إن الحرب خدعة.. واعلم أن الله عز وجل قال لموسى (عليه السلام) حين أرسله إلى فرعون: [فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] وقد علم أنه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى (عليه السلام) على الذهاب) (التهذيب: ٢٩٩/١٦٣/٦)، قال تعالى: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ] (النساء:١٤٢) -أي مجازيهم بالخداع-.

والخداع كما عن مفردات الراغب: (إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه) والمكر: (صرف الغير عما يقصده بحيله وهو محمود ومذموم بحسب ما يراد منه، والاستدراج والإمهال من مكر الله).

(٢) هذا بحسب الغالب أو بحسب ما يناسب مع مراعاة المراتب وبعضها غليظ كما هو واضح، كما عبّر الشاعر بقوله:

ووضع الندى في موضع السيف في العلا مُضِرٌّ كوضع السيف في موضع الندى.

رَحِيمٌ﴾ [النور:٢٢] فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة : ١٠٩]،﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة : ٢١٩]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة : ٢٣٧]، ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء : ١٤٩].

فالله تعالى رغم قدرته على العقاب وصف نفسه بانه عفو، ونحن مأمورون بان نتأدب بأدب الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[النحل : ٦٠]ونتخلق بأخلاقه أي اسمائه الحسنى (تخلقوا بأخلاق الله)[١] ففيما ناجى الله تعالى به نبي الله عيسى (عليه السلام) ((طوبى لك ان اخذت بأدب الهك)[٢] .

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (رحم الله من اعان ولده على بره، وهو ان يعفو عن سيئته ويدعو له فيما بينه وبين الله)[٣].

٦- المشاورة والمشاركة في الرأي، قال تعالى(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران: ١٥٩) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) عشرات الكلمات في المشاورة[٤] منها قوله (عليه السلام) (الشركة في الرأي تؤدي الى الصواب) (غرر الحكم: رقم ١٩٤٢) و(حقٌ على العاقل أن يضيف الى رأيه رأي العقلاء، ويضمَّ الى عمله علوم

(١) الجامع الحديثي الثانوي كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي.

(٢) الكافي : ج٨/ ص١٣٥.

(٣) الحلي احمد ابن فهد عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ٨٦ مؤسسة الرسول الاعظم ، العراق ط١ ٢٠١٠ م.

(٤) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم:٣١١.

الحكماء) (رقم ٤٩٢٠) و(من شاور الرجال شاركها في عقولها) (رقم ٨٦٥٢) و(ما استنبط الصواب بمثل المشاورة) (رقم ٩٥٢٧) وعلى صعيد العلاقة مع الولد فقد قيل في المثل العامي (إذا كبر ابنك خاويه) أي أجعل أبنك أخاً لك إذا بلغ الرشد.

وعن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (عليكم بالعفو ، فان العفو لا يزيد العبد الا عزا، فتعافوا يعزكم الله) [١].

فعلى المسؤول والمربي والمؤدب ان لا يلجأ الى استعمال اسلوب العقوبة مباشرة، بل يوازن بين اسلوب العفو و اسلوب العقوبة، فلعل اسلوب العفو عن العقوبة على السلوك غير المرغوب فيه يكون له فائدة اشد تأثيرا في العملية التربوية.

٧- بر الولد واعانته على البر: عن الامام الصادق (عليه السلام) قال : (قال رجل من الانصار للنبي (صلى الله عليه وآله) : من أبر ؟ قال : والديك . قال قد مضيا . قال: برّ ولدك)[٢].

وعن يونس بن رباط، عن الامام الصادق (عليه السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ((رحم الله من اعان ولده على بره، قال : قلت : كيف يعينه على بره؟ قال : يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به))[٣].

---

(١) الكافي : ج٢/ ص ١٠٨

(٢) الكافي ج٦، ص٤٩

(٣) الطوسي محمد بن الحسن ، تهذيب الاحكام في شرح المقنعة ج٨/ص١١٣ ح ٣٩٠ تحقيق الموسوي الخرساني ، دار الكتب الاسلامية طهران،١٣٦٥هـ شرح مفردات الحديث (لايرهقه): أى

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : (رحم الله والداً أعان ولده على البر)[١].

وهكذا ينبغي للمسؤول اعانة رعيته على بِّره وطاعته من خلال أدائه لمسؤولياته كما ينبغي.

٨- التصابي معه: فقد وجدنا الأحاديث الشريفة تحث الوالد على اللعب مع الطفل، والتصابي معه، بمعنى النزول الى مستوى مدارك الطفل الحسية والحركية وتعامل الاب معه كأنه صبي مثله.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((من كان عنده صبي فليتصاب له))[٢].

وعن الامام علي (عليه السلام) ((من كان له ولد صبا))[٣].

وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال : دخلت على النبي ، والحسن والحسين على ظهره ، وهو يجثو لهما، ويقول : ((نعم الجمل جملكما ، ونعم العِدلان[٤] انتما)) [٥].

لا يسفه عليه ولا يظلمه من الرهق محركة او يحمل عليه ما لا يطيقه. و(الخرق) بالضم: الحمق والجهل اى لا ينسب اليه الحمق.

(١) مستدرك الوسائل ،ج١٥/ ص١٦٨/ ح١٧٨٨٥

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٣،ص٤٨٣، ح٤٧٠٧

(٣) الكافي ج٦/ص٥٠

(٤) العدلان مثنى العِدل وهو نصف الحمل على احد شقي الجمل وسميا ب١لك لتساويهما

(٥) ابن شهر آشوب ، محمد بن علي ، مناقب آل ابي طالب ج٣/ص١٥٨ تحقيق لجنة اساتذة من النجف الاشرف المطبعة الحيدرية ١٣٧٦هـ -١٩٥٦ م والطبراني ، سليمان بن احمد المعجم الكبير ج٣/ص٥٢، تحقيق عبد المجيد السلفي ، دار احياء التراث العربي ط٢، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

وعن سعد بن ابي وقاص : دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والحسن والحسين يلعبان على بطنه فقلت يا رسول الله أتحبهما فقال وما لي لا أحبهما وهما ريحانتاي))[١].

و عن أبي هريرة قال: كنا نصلي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)العشاء، فإذا سجد، وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه، أخذهما بيده من خلفه أخذا رفيقا، ويضعهما على الأرض، فإذا عاد، عادا، حتى إذا قضى صلاته، أقعدهما على فخذيه...)[٢].

واذا اردنا نقل هذا المعنى الى الحالة العامة فنفهم منها رفع الحواجز بين المسؤول والناس ومشاركة الناس في فعالياتهم ومشاركتهم همومهم وافراحهم واحزانهم ولا نقصد بالحواجز المادية فقط وانما المعنوية اي بجعل الحواشي والحجّاب المانعين من وصول المظلومين والمحتاجين والبوح بمطالبهم من دون اي حزازة وقد يكون الحجاب بايجاد (اتكيت) او (برستيج) خاص كالتي كانت تعرف في زمن الامويين والعباسيين (رسوم دار الخلافة) وألفّت الكتب فيها، تعرف احياناً في اوساطنا بالشأنية، فهذه كلها من مبتدعات الحكّام وليست من خصال الانبياء (عليهم السلام) والائمة وورثتهم من العلماء الصالحين، حيث لم يميّز احد منهم نفسه عن الناس كما وصف احدهم امير المؤمنين بقوله ((كان فينا كأحدنا)).

---

(١) الهيثمي- المصدر: مجمع الزوائد - الصفحة أو الرقم: ١٨٤/٩ خلاصة حكم المحدث: رجاله رجال الصحيح

(٢) (حم) ١٠٦٦٩، انظر الصحيحة: ٣٣٢٥، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

٩- العدل والمساواة بينهم : عن النبي (صلى الله عليه وآله): ((... اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم ...)[١] .

وعنه ((إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما لك عليهم من الحق أن يبروك)) [٢].

وعنه : ((ساووا بين اولادكم في العطية))[٣].

وعنه : ((إن الله تعالى يحب ان تعدلوا بين اولادكم حتى في القُبل))[٤].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال : نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى رجل له ابنان، فقبّل احدهما وترك الآخر ، فقال له النبي : فهلا واسيت بينهما ؟))[٥].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): ((من كان له ابنة، فلم يؤذها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها ادخله الله الجنة)) [٦].

وعن سعد بن سعد الاشعري قال : سألت ابا الحسن الرضا (عليه السلام) ...((فقلت جعلت فداك، الرجل يكون بناته احب اليه من بنيه؟ قال الرضا (عليه السلام) : البنات والبنون في ذلك سواء، انما هو بقدر ما ينزلهم الله عزّ وجلّ منه))[٧].

وتطبيقه ان من يلي امر مجموعة من الناس عليه ان يعدل بينهم فلا

---

(١) كنز العمال ، ج١٦ص٤٤٥.

(٢) كتاب السنن الكبرى – عن ابي داوود.

(٣) كتاب حديث خالد بن مرداس السراج /حديث ١٢ .

(٤) ميزان الحكمة – ج٤/ص٣٦٧٣.

(٥) من لا يحضره الفقيه ج٣/ص٤٨٣.

(٦) عوالي اللئالي، ج١،ص١٨١.

(٧) الكافي ج٦ / ص٥١.

يحابي او يجامل او يقرّب هذا وذاك لانه ذو مال او جاه او موقع ونحو ذلك.

١٠- الاكرام والاحسان والتآلف : عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : ((اكرموا اولادكم، واحسنوا آدابهم))[١].

وعنه قال : ((رحم الله عبداً أعان ولده على بره بالإحسان اليه، والتآلف له وتعليمه وتأديبه ٠))[٢].

١١- الشفقة : عن الامام علي (عليه السلام) قال : ((يجب عليك ان تشفق على ولدك اكثر من اشفاقه عليك)) [٣] وهي مطلوبة في التعامل مع جميع الخلق، في الحديث القدسي (الخلق عيالي فاحّبهم اليَّ اشفقهم على عيالي)[٤].

وهي منزلة عظيمة ينالها الانسان حيث يكون أحبَّ الخلق الى الله تعالى بكرة شفقته على الخلق، والخلق لا تقتصر على الانسان بل تشمل الحيوانات والحشرات وكل شيء من خلق الله تعالى .

١٢-الوفاء بالوعد: عن رسول الله(صلى الله عليه وآله):(أحبوا الصبيان، وأرحموهم، وإذا وعدتموهم شيئا فوفوا لهم ،فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم)[٥].

وعن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) ،قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إذا واعد أحدكم صبيه فلينجز)[٦].

---

(١) مستدرك الوسائل ج١٥/ص١٦٧،ح١٧٨٨٣

(٢) مستدرك الوسائل ج١٥/ص١٦٧،ح١٧٨٨٦

(٣) شرح نهج البلاغة : ج٢٠ / الحكم المنسوبة الى امير المؤمنين (عليه السلام) ح ١٥٢

(٤) دعائم الإسلام ج٢ ص٣٢٠ ح١٢٠٧. وشرح نهج البلاغة: ج٢٠ ص٣٤٠ الرقم ٨٩٣

(٥) الكافي ج٦، ص٤٩

(٦) مستدرك الوسائل ، ج١٥،ص ١٧٠، ح ١٧٨٩٣

وعنه (عليه السلام) ،قال:((لا يصلح من الكذب جدٌ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا يفي له، إن الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار.....))[١].

وعن أبي الحسن (عليه السلام) ،قال:(إذا وعدتم الصبيان فوفوا لهم ،فإنهم يَرَوْن أنكم الذين ترزقونهم ،إن الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان)[٢].

وهكذا المسؤول عليه ان يفي لرعيته بوعوده التي قطعها على نفسه ولا يجعلها خديعة ليعطيه الناس اصواتهم ثم يدير ظهره لهم بعد تحقيق مبتغاه .

١٣- ايثارهم على النفس قال تعالى (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (الحشر/٩) فالأبوان يجوعان ليشبعا أطفالهما ويهجران لذيذ النوم من اجلهم ويشقيان في الحياة من اجل اسعادهم وهكذا يكون المسؤول كالوالد الرحيم للرعية وهذه الخصلة مما وصفت به السيدة الزهراء (عليها السلام) امير المؤمنين في خطبتها قالت : عليها السلام عنه عليه السلام ((ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل وشبعة الكافل)[٣] .

١٤- ومن صفات المسؤول: سعة الصدر في الحديث الشريف عن امير

(١) الصدوق / الامالي ،ص٥٠٥ن ح٦٩٦ تحقيق قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة، طهران ط١٤١٧،١هـ

(٢) الكافي ج٦، ص ٥٠

(٣) الاحتجاج: ١٣٩/١

المؤمنين (عليه السلام) (آلة الرئاسة سعة الصدر)[١] .

١٥- ومن لوازم موقع المسؤولية النصيحة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال : (طلبت الرئاسة فوجدتها في النصيحة لعباد الله)[٢].

(١) نهج البلاغة / الحكمة ١٧٦

(٢) مستدرك الوسائل : ١٧٣/١٢/ ح ١٣٨١٠

خطاب المرحلة

(٤٩٣)

[لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] (١)

(الأعراف:١٦)

هذا واحد من التهديدات التي أطلقها إبليس في جداله مع ربّ العزة والجلال كردّ فعل على طرده من الجنة ومن صفوف الطائعين المرضيين عند الله تبارك وتعالى بسبب استكباره وتمرده عن السجود لآدم الذي كان يمثل النوع الإنساني المستخلف في الأرض، فعزم على الانتقام من الإنسان حسدا له ولأنه كان موضوع الابتلاء والامتحان الذي فشل فيه حيث تصرّح الآية أن السبب الذي برّر به غوايته لبني آدم وسوقهم إلى الضلال أن الأمر بالسجود لهم كان سبب طرده من رحمة الله تعالى [قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] والباء سببية.

وعلى اثر ذلك اطلق سلسلة من التهديدات والعمليات الانتقامية إلى يوم الوقت المعلوم، ومنها ما ذكرته الآية الشريفة، بأن يترصد لهم ويلاحقهم ويمكر بهم حتى يغويهم ويضلّهم كما غوى هو وضل بسوء اختياره، ويسلب منهم نعمة الاستقامة على صراط الله تعالى .

وزيادة في المكر والتلبيس فإنه يقعد لهم على الصراط المستقيم حتى لا يتوقعوا

(١) الخطبة الأولى التي ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف) لصلاة عيد الأضحى المبارك عام ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٩/١٢م.

منه الشر والسوء، وقد عبّر بلفظ (القعود) المتضمن ثني بعض أجزاء الجسم للدلالة على قصد الاعوجاج المنافي للاستقامة، لذا أخبرنا الله تعالى بهذه الحقيقة وهذا التهديد الخطير لنكون حذرين يقظين لمكائد هذا العدو المبين، وعلّمنا الله عز وجل أن ندعوا يومياً في صلاتنا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ونطلب الهداية إلى الصراط المستقيم لنتذكر دائماً العدو الذي يريد خروجنا عنه، وأن نتوسل إلى الله تبارك وتعالى طالبين المعونة على مواجهته والانتصار عليه.

وتدل الآية على أن الإنسان لو خُلّي وطبيعته التي فطر عليها فإنه خُلق ليسير على الصراط المستقيم الموصل إلى الله تبارك وتعالى [صراطك] ولكن الشيطان يقعد للناس على هذا الطريق ويتربص بهم ليحرفهم عن هذا الصراط المستقيم ويقطع عليهم طريق الطاعة ويوجههم إلى الطرق المنحرفة الأخرى، وهذا المعنى ورد في الحديث الشريف (كل إنسان يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصّرانه)[1].

والصيغة المؤكدة المستعملة في التهديد تدل على الإصرار على الفعل والاستمرار فيه واستعمال الشيطان كل أدواته في التزيين والغواية والتضليل والتمويه والشبهات ونحو ذلك، والإطباق على الإنسان من جميع جهاته، وهو ما

(١) رواه في البحار ج٣ ص ٢٨١عن غوالي اللئالي، وحمل قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[الروم : ٣٠] على دين الله واورده السيد المرتضى في اول الجزء الرابع من اماليه مرسلاً عن ابي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وسنن البهيقي وأبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير والسيوطي في الجامع الصغير : ٩٤/٢

أشارت إليه الآية التالية: [ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] (الأعراف:١٧).

ولعل أقرب مشهد ومسرح لهذا القعود هو ما يحصل اثناء الصلاة، فان اللعين يستخدم كل وسائله لسلب هذه المعراجية فيشتت ذهن المصلي في جميع الاتجاهات وتتوالى عليه الخواطر والصوارف حتى ينتهي من صلاته وهو غير ملتفت لشيء منها.

والتعبير هنا بالجهات الحسية الأربعة كناية عن الاتجاهات المعنوية التي يتحرك نحوها الانسان (عدا الأعلى والاسفل من الجهات الست)؛ لأن الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى لا يمكن أن يكون حسّياً فكذا القعود عليه أمر معنوي فيمكن أن يكون معنى [من بين أيديهم] مستقبلهم وأيامهم القادمة والزمن الآتي فيخوّفهم من الفقر والحاجة إذا أرادوا الإنفاق ومن الموت والقتل إذا نووا الجهاد، أو يعظّم لهم المشقة والعناء إذا همّوا بالحج والعمرة والزيارة ويزين لهم الحياة الدنيا ويمنيّهم بما تحبّ نفوسهم ونحو ذلك، قال تعالى: [إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ] (آل عمران:١٧٥) وقال تعالى [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ] (البقرة:٢٨٦) وقال تعالى [يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً] (النساء : ١٢٠).

أو أن المراد بما بين أيديهم الآخرة فينسيهم ذكر الموت وأهواله وما بعده ويشككهم في الآخرة والنشور ونحو ذلك [إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً] (الإنسان : ٢٧).

ويكون معنى [من خلفهم] أي ما خلّفوه في زمانهم الماضي فينسيهم

المعاصي ويسوّف الاستغفار والتوبة ويهوّن عليهم ما ارتكبوه من المظالم. أو يخوفه على ما يترك خلفه من أموال وأولاد وأهل وموقع اجتماعي ليقعده عن الإقدام على الطاعة ويبخلّه عن العطاء، أو يجعل من الماضي وسيرة الآباء والتقاليد الموروثة صنماً يعبده ويتبعه فيصده عن الهداية والصلاح.

ومعنى [عن أيمانهم] أي من جهة دينهم؛ لأن اليمين من اليُمن والخير والقوة والسعادة، فيدخل في دينهم ما ليس منه ويغلّفه بالقداسة ويجعله هو الدين وإلا فالسقوط في الجحيم، أو يغريهم باتباع قيادات دينية تضلّهم وتقودهم إلى السعير، أو يدخلهم في صراعات وربما حروب تزهق فيها الأرواح وتهتك فيها الأعراض وتخرَّب الديار باسم الدين ونصرة الدين، أو يزيِّن لهم قتل الآخرين معنوياً بالتسقيط والافتراء والتشويه والتضليل تحت عنوان نصرة الحق وأهله وهكذا.

أما [عن شمائلهم] فالشمال عكس اليمين فيراد به تزيين المعاصي وتهييج الشهوات لدفعهم إلى ارتكاب الفحشاء أو المنكر واتباع الأهواء.

وبهذا الشكل من التصرّف في عواطف الإنسان وميوله وأهوائه وآماله وإثارة نزواته الشهوية والغضبية للتأثير على تفكيره وقراره وإلقاء الأوهام الباطلة عليه ومن ثم توجيه إرادته نحو الأفعال القبيحة وليس له سلطة أكثر من هذا [وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي] (إبراهيم:٢٢)، وهكذا يصوّر لنا القرآن الكريم إحاطة الشيطان بابن آدم وغلقه لمنافذ الوعي والبصيرة وإيقاعه في الغفلة وحرصه على غوايته ويخبر الإنسان بذلك ليكون حذراً على الدوام وملتفتاً وواعياً.

وبهذا التفسير أورد الطبرسي رواية في مجمع البيان عن الإمام الباقر (عليه السلام) ((في معنى الآية [من بين أيديهم] أهوّن عليهم أمر الآخرة [ومن خلفهم] أأمرهم بجمع الأموال ومنعها عن الحقوق لتبقى لورثتهم [وعن أيمانهم] أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة [وعن شمائلهم] بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على عقولهم))[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم في معنى الآية ((أما [بين أيديهم] فهو من قبل الآخرة، لأُخْبِرَنَّهم أنه لا جنة ولا نار ولا نشور، وأما [خلفهم] يقول: من قبل دنياهم آمرهم بجمع الأموال وآمرهم أن لا يصلوا في أموالهم رحماً، ولا يعطوا منه حقاً، وآمرهم أن يقللوا على ذرياتهم وأخوفهم عليهم الضيعة، وأما [عن أيمانهم] يقول: من قبل دينهم، فإن كانوا على ضلالة زينتها لهم، وإن كانوا على هدى جهدت عليهم حتى أخرجهم منه، وأما [عن شمائلهم] يقول: من قبل اللذات والشهوات، يقول الله [وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ]))[2].

ثم يذكر النتيجة التي يريد إيصال بني آدم إليها ويتوقعها [ولا تجد أكثرهم شاكرين] بل كافرين بها أو مقصرين في أداء حقوقها، وقال: [أكثرهم] ولم يقل: [جميعهم] لأنه يعلم أنه لا قدرة له على المخلصين الذين عرفوا نعمة الله تعالى وفرّغوا أنفسهم لشكرها فلا نصيب لغير الله تعالى عندهم [قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ] (ص:٨٢-٨٣) [قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً]

(١) تفسير البرهان: ٦٠/٤ عن مجمع البيان: ٦٢٣/٤.

(٢) تفسير القمي: ٢٢٤/١.

(الإسراء:٦٢).

وبالجمع بين الآيات الدالة على أن كمال نعمة الدين وتمامها بولاية أهل البيت (عليهم السلام) [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً] (المائدة:٣) وما ورد في تفسير قوله تعالى: [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ] (الضحى:١١) وان الشكر انما يكون على نعمة، وأفادت الآية محل البحث ان الناجين من مكائد الشيطان هم الشاكرون وما دلّ على أن الشكر الحقيقي هو بالثبات على اتباع أهل البيت (عليهم السلام) وعدم الانقلاب عليهم كالذي حصل بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين وصف عدم الانقلاب بالشكر [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ] (آل عمران : ١٤٤) نستنتج أن أرقى مصاديق الاستقامة على الصراط المستقيم والثبات عليه هو التمسك بولاية اهل البيت (عليهم السلام) واتباعهم في الاقوال والافعال لان ذلك حقيقة الشكر وخلاصته وان المعصومين من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) هم الدالون على الصراط المستقيم والحافظون له والذابون عنه، وقد دلّت على هذا المعنى روايات عديدة في كتب الفريقين كالمروي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (آل محمد الصراط الذي دلّ الله عليه) وقول النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (أنت الطريق الواضح والصراط المستقيم) و (لا يجوز أحد الصراط إلا بولاء علي)[1].

لذا كان أشد ما يحرص عليه اللعين هو التخلص من اهل البيت (عليهم السلام)

(١) راجع مصادر هذه الأحاديث في تفسير الفرقان: ٣٤٣/١٠.

فكان يغري السلطات بقتلهم وايذائهم ومحاصرتهم وإبعاد الناس عن أهل البيت (عليهم السلام) واتباع منهجهم والأخذ بتعاليمهم، ففي الكافي والمحاسن للبرقي بسند صحيح عن زرارة قال: (قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: قوله تعالى: [لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] فقال أبو جعفر عليه السلام: يا زرارة، إنما صمد لك ولأصحابك فأما الآخرون فقد فرغ منهم)[1] واللعين يكون أشد الخلق فرحاً حينما يقصى قانون أهل البيت (عليهم السلام) عن الحياة وتهمل أحكامهم وتنبذ أخلاقهم وسيرتهم.

ولإبليس أعوان من شياطين الجن يقومون بنفس دوره ويساعدونه على تنفيذ ما يريد [إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ] (الأعراف:٢٧) [أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ب] (الكهف:٥٠).

ولكن اللعين لا يكتفي بالغواية عن طريق التزيين النفسي الباطني لأنه يعلم أن الحسّيات أكثر تأثيراً على الإنسان فيحوّل بعض الناس إلى شياطين من الأنس بأدائهم نفس وظيفته فيتربصون بالناس ليقطعوا عليهم طريق الهداية والصلاح بشتى الوسائل الماكرة والمخادعة فبعضهم عن طريق الجنس وإثارة الشهوات وما أكثر القنوات ومواقع التواصل والصحف والمجلات التي تعمل بهذا الاتجاه، وبعض آخر عن طريق إثارة العصبيات الجاهلية والخلافات لجرّ الناس الى القتال والعنف والموت العبثي، وبعض عن طريق الفكر والثقافة الإلحادية المنحرفة، وبعض عن طريق الظلم والتسلط والقهر.. ، والقائمة تطول،

(١) الكافي: ١٤٥/٨، المحاسن: ١٣٨/١٧١.

فهؤلاء كلهم قطّاع طرق الخير والسعادة والفلاح، وكلهم أدوات بيد إبليس ينفّذ بهم مآربه، ومن خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (اتخذهم إبليس مطايا ضلال، وجنداً يصول بهم على الناس، وتراجمة ينطق على ألسنتهم، استراقاً لعقولكم، ودخولاً في عيونكم، ونفثاً في أسماعكم، فجعلكم مرمى نبله، وموطئ قدمه، ومأخذ يده)[١].

وقال (عليه السلام): (اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في جحورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل، فعل من شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه)[٢].

ومن نماذج شياطين الانس ما ورد في قوله (عليه السلام) في معاوية في كتاب أرسله إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاوية قد كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه (فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته)[٣].

ولعل أخفى قطّاع الطرق من يتحدثون باسم الدين ويتزيون بلباس أهل الدين ويحملون علوم الدين وهم يطلبون الدنيا الدنية بذلك وقد وصفتهم الاحاديث الشريفة صريحا بانهم قطّاع طرق الهداية والصلاح روي عن رسول

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٧.

(٣) نهج البلاغة، ج٣، الرسالة ٤٤، ص ٦٩، قال الشريف الرضي: ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه.

الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (أشرار علماء أمتنا المضلّون عنا، القاطعون للطرق إلينا)[١] وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام: قل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدّهم عن ذكري وعن طريق محبتي ومناجاتي، أولئك قطاع الطريق من عبادي، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم)[٢].

ومن امثلتهم ابن ابي دؤاد قاضي قضاة الدولة العباسية في زمن المعتصم أي مفتي الدولة الذي اغرى المعتصم بقتل الامام الجواد (عليه السلام) حسداً وغيظا عندما اخذ المعتصم بقول الامام (عليه السلام) في موضع قطع يد السارق وترك اقوال فقهاء العامة في حادثة معروفة .

ومن ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسّك، فالجاهل يغشّ الناس بتنسّكه، والعالم ينفّرهم بتهتكه) وفي تكملة حديث مثله (فاتقوا الفاسق من العلماء والجاهل من المتعبدين، أولئك فتنة كل مفتون)[٣].

(١) الاحتجاج: ٥١٣/٢، ٣٣٧.

(٢) تحف العقول: ٣٩٧.

(٣) ميزان الحكمة: ١٨٨/٦.

خطاب المرحلة

(٤٩٤)

[إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً]
(الإنسان:٢٧)
الخارجون عن طاعة قادة الإسلام (الفرقة الواقفة) انموذجاً[١]

شهد التشيع انشقاق فرق عديدة في زمان الأئمة (عليهم السلام) وما بعده، ومنهم (الواقفة) الذين لم يذعنوا لإمامة الرضا (عليه السلام) ووقفوا على الإمام الكاظم (عليه السلام) وادعوا أن الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يمت ولم يُقتل وأنه حي لإلغاء إمامة الرضا (عليه السلام) وافتروا أن الإمام الرضا (عليه السلام) يعلم ذلك إلا أنه يخفيه تقية، ورد الإمام (عليه السلام) عليهم بقوله: (فإني لا أتقيكم في أن أقول أني إمام فكيف أتقيكم في أن أدعي أنه حيّ لو كان حياً)، وقاد هذا الانشقاق رموز معروفة من أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام).

والدافع المعروف في الروايات هو للاستيلاء على الأموال الضخمة[٢] التي أودعها الإمام الكاظم (عليه السلام) عندهم، قال الشيخ الطوسي عن الواقفة ((فروى الثقات أن أول من أظهر هذا الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى، طمعوا في الدنيا ومالوا إلى حطامها

(١) الخطبة الثانية التي ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف) لصلاة عيد الأضحى المبارك عام ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٩/١٢م.

(٢) أصل هذه الأموال وكيفية تنميتها والهدف منها تحتاج الى بحث مفصل مستقل بأذن الله تعالى

واستمالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً مما اختانوه من الأموال))[١].

وروى الكليني بسنده عن يونس بن عبد الرحمن قال (مات أبو إبراهيم (عليه السلام) وليس من قوّامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم، وجحدهم موته، طمعاً في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار –الدينار مثقال شرعي من الذهب– وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار)).

وقد تحدثت في كلمة سابقة عن كيفية مواجهة الإمام (عليه السلام) لهذا الانشقاق[٢] الذي آلم قلب الإمام الرضا (عليه السلام)، واستمرت تداعياته إلى زمن الأئمة اللاحقين (عليهم السلام) واغترّ بهذه العقيدة جملة من كبار حملة الحديث.

وهذا السبب المعروف في كتب الأصحاب يمكن أن يكون دافعاً للبعض وليس للجميع خصوصاً بعض الرموز الكبار فانهم لم ينكروا إمامة الرضا (عليه السلام) طمعاً في الاستيلاء على الأموال وإنما العكس إذ كانت خيانتهم للمال من باب تحصيل الحاصل ونتيجة لانكار امامة الرضا (عليه السلام) وليست سبباً له .

والذي فهمته من بعض الروايات أن سبب انشقاقهم شيء آخر لم يؤشَّر بوضوح في كتب الرجال حاصله أن هؤلاء المؤسسين اختطوا لأنفسهم منهجاً فكرياً وعقائدياً اشتهروا به وأصبحوا رموزاً في الوسط الشيعي من خلاله ولم يوافقهم الإمام الرضا (عليه السلام) عليه فاستكبرت أنفسهم عن طاعة الإمام والتخلي

(١) راجع ترجمته في كتب الرجال ومنها معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (قدس سره) : ٢٣٤/١٢-٢٤٧.

(٢) خطاب المرحلة: ١٧٤/٧.

عن هذا المنهج ورأوا أن المحافظة على رمزيتهم والجاه الذي حصّلوه من خلال هذا المنهج لا يتحقق إلا بإنكار إمامة الرضا (عليه السلام) فابتدعوا عقيدة (الواقفة).

والرواية طويلة رواها في قرب الإسناد وأوردها المجلسي في البحار ومحل الشاهد من الرواية قوله (عليه السلام) (أما ابن السراج فإنما دعاه إلى مخالفتنا والخروج من أمرنا أنه عدا على مال لأبي الحسن عليه السلام عظيم، فاقتطعه في حياة أبي الحسن وكابرني عليه وأبى أن يدفعه، والناس كلهم مسلمون مجتمعون على تسليمهم الأشياء كلها إلي فلما حدث ما حدث من هلاك أبي الحسن عليه السلام اغتنم فراق علي بن أبي حمزة وأصحابه إياي وتعلل، ولعمري ما به من علة إلا اقتطاعه المال وذهابه به.

وأما ابن أبي حمزة فإنه رجل تأوّل تأويلاً لم يحسنه ولم يؤت علمه، فألقاه إلى الناس فلجّ فيه، وكره إكذاب نفسه في إبطال قوله بأحاديث تأولها، ولم يحسن تأويلها ولم يؤت علمها، ورأى أنه إذا لم يصدق آبائي بذلك لم يدر لعل ما خبر عنه مثل السفياني وغيره أنه كان لا يكون منه شيء، وقال لهم: ليس يسقط قول آبائه بشيء ولعمري ما يسقط قول آبائي شيء ولكن قصر علمه عن غايات ذلك وحقائقه، فصار فتنة له وشبهة عليه، وفر من أمر فوقع فيه)[1].

توضيح الحديث: أن علي بن أبي حمزة تأوّل الأحاديث الواردة في أن موسى بن جعفر (عليه السلام) هو القائم وبأنه المهدي الموعود فكذّب خبر استشهاد

(١) بحار الأنوار: ٢٦٧/٤٩-٢٦٨. عن قرب الإسناد: ص ٣٤٨-٣٥٢، ح ١٢٦٠.

الإمام (عليه السلام) لكيلا يكذّب نفسه فيما تبنّى من فكرة ويلزم منه كذبه فيما نقل من أخبار السفياني ونحوه عن الأئمة (عليهم السلام) فتسقط أخباره عن الاعتبار وفي الحقيقة فإن أخبار الأئمة (عليهم السلام) صادقة لكنه أخطأ في فهمها حيث قال (عليه السلام): (كلنا قائمون بأمر الله) وليس بالمعنى الذي ذهب إليه.

وقوله (عليه السلام): (وفرّ من أمر فوقع فيه) إشارة إلى أن إصراره هذا لزم منه تكذيب أحاديث كثيرة أخرى تنفي كون الإمام الكاظم (عليه السلام) هو القائم المهدي.

ويظهر من الرواية أن الإمام (عليه السلام) صبر طويلاً عليهم وأمهلهم زمناً لعلهم يثوبون إلى رشدهم فلم يصدر منه بيان مفصّل لحقيقتهم وعاقبتهم، قال (عليه السلام) (ولولا ما قال أبو جعفر (عليه السلام) حين يقول لا تعجلوا على شيعتنا إن تزل قدم تثبت أخرى وقال مَن لك بأخيك كله: لكان مني من القول في ابن أبي حمزة وابن السرّاج وأصحاب ابن أبي حمزة).

ولما تمادوا في غيّهم وتمرّدهم صرّح الإمام الرضا (عليه السلام) بموقفه فقال في ابن أبي حمزة (أليس هو الذي يروي أن رأس المهدي يُهدى إلى عيسى بن موسى؟ وهو صاحب السفياني! وقال إن أبا إبراهيم يعود إلى ثمانية أشهر؟! فما استبان لكم كذبه؟)[1].

وروى يونس بن عبد الرحمن -وهو من أجلاء أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) وعرض عليه الجماعة عشرة آلاف دينار ليكسبوه إلى صفّهم فرفض - قال: (دخلت على الرضا (عليه السلام) فقال لي: مات علي بن أبي حمزة؟ قلت: نعم،

(١) معجم رجال الحديث : ٢٣٦/١٢ عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٦\٤.

قال: قد دخل النار! قال: ففزعت من ذلك –مما يدل على منزلته لدى الشيعة– قال: أما أنه سُئل عن الإمام بعد موسى أبي، فقال: لا أعرف إماماً بعده، فقيل: لا، فضُرب ضربة اشتعل قبره ناراً).

وقال (عليه السلام): (إنه لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) جهد الناس في إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما توفي أبو الحسن (عليه السلام) –موسى بن جعفر (عليهما السلام) – جهد علي بن أبي حمزة في إطفاء نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره).

هذه واحدة من المشاكل التي تواجه قادة الإسلام على مرّ العصور سواء في زمان المعصومين (عليهم السلام) أو نوابهم بالحق، أذكرُ مثالاً قريباً من مرجعية السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) فقد كان مهتماً بالتربية الأخلاقية والسلوك الصالح فظهرت فئة تدعي المعرفة والسلوك وهم في الحقيقة طلاب زعامة ورئاسة فشلوا في نيلها بالطرق الطبيعية أي العلم والعمل الصالح فلجأوا إلى هذه الدعاوى وحققوا مكاسب فيها، وأصبحوا واجهات وادعوا أن لهم ارتباطاً خاصاً بالسيد الشهيد (قدس سره) فما كان منه إلا أن يتبرأ منهم علناً وبشكل صريح على منبر الجمعة، لكن البعض أبى أن يذعن ويتوب لأنه سيخسر زعامته وسلطته على مريديه المضللين به فانشقوا عن السيد الشهيد (قدس سره) وأصرّوا على المضي في منهجهم.

ويحكى أن السيد البروجردي (قدس سره) –وكان المرجع العام للشيعة في زمانه توفي عام ١٩٦٠– منع من التطبير واعتبره ممارسة مبتدعة أدخلت في الشعائر الحسينية، فصارحه جماعة من رؤساء مواكب التطبير إننا نقلدك السنة

كلها إلا يوم عاشوراء.

أما تجربتي الخاصة ففيها الكثير من الشواهد لهؤلاء لأسباب شتى وفي مواقف عديدة ربما سيكتب عنها من عرفها وعايشها، والمهم أن يكون عندنا من الورع والتقوى ما يحجزنا عن معصية الله تعالى من أجل لذة عاجلة بمال أو جاه أو كثرة أتباع أو شهرة أو نحو ذلك من الأمور التي تزول لذّتها المنكّدة ببلاءات الدنيا وتبقى تبعتها وسوء عاقبتها دائماً سرمداً قال تعالى مشفقاً على هؤلاء المخدوعين ومحذراً: [إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً] (الإنسان : ٢٧) ثقيلاً في طول مدته ودوام مقامه وشدة عذابه وعدم التخفيف عن اهله فهم يُعرضون عن تذكّر هذا ويخلفونه وراءهم ولا يجعلونه نصب أعينهم استعجالاً للذة وقتية زائلة، ويعبِّر الامام الحسين (عليه السلام) في دعائه يوم عرفة عن خسارة صفقة هؤلاء (لَقَدْ خابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً، وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً) ومنه قوله (عليه السلام) (ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ، وَمَا الَّذى فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ)[1] وهذا طبع الإنسان الذي يغفل عن ذكر الله تعالى [كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ] (القيامة : ٢٠-٢١).

(١) مفاتيح الجنان :٣٤٠

خطاب المرحلة

(٤٩٥)

(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال-٣٠)
الامام الرضا رائد حوار الحضارات(١)

كثيرة هي الأسباب والدواعي التي يمكن ان يكون المأمون العباسي قد فكّر فيها حتى اتخذ قرار استقدام الإمام الرضا (عليه السلام) من المدينة المنورة الى مرو(٢) حيث كان يقيم مع جيشه، ونذكر بعض هذه الأسباب باختصار مقدمة لبيان خاطرة إنقدحت في ذهني:

١- إعطاء شرعية لسلطته لان المأمون وسلفه يعترفون بأن المستحق الشرعي لولاية أمر الأمة هم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) من ذرية علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) وقالها هارون العباسي صريحة لولده المأمون عندما سأله عن سرّ تعظيمه للإمام الكاظم (عليه السلام) وإكرامه (هذا إمام القلوب وأنا إمام الابدان) فقد أخذوا سلطتهم بالسيف وقهر إرادة الأمة والأساليب الشيطانية فرأى المأمون ان وجود الامام الرضا (عليه السلام) معه في هرم السلطة يضفي الشرعية له.

٢- إخماد الثورات المسلحة التي كانت تنفجّر في بلدان إسلامية عديدة رفضاً لسلطة بني العباس الظالمة الجائرة وكان الثوار يكنّون الاحترام والتقديس

(١) كلمة القاها سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في ١٣ ذو القعدة ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٨/١٧ في جمع من أهالي ناحية الشيخ سعد من محافظة واسط.

(٢) تقع الآن في جمهورية تركمنستان التي كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي، فتحها المسلمون في خلافة عثمان، منها خرج أبو مسلم الخراساني (المنجد في الاعلام).

للأئمة المعصومين (عليهم السلام) وشعار كثير منها الدعوة لمبايعة الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ويعتبرونهم القادة القادرين على تحقيق الإصلاح والعدالة الاجتماعية وإقامة دين الله تعالى، فعندما يكون الإمام الرضا في السلطة فأنه يسلب مبررات هذه الثورات باعتبار تحقق الهدف ظاهراً.

٣- بعث رسالة تحذير وتهديد الى بني العباس المقيمين في العاصمة بغداد الذين استاؤوا من مقتل الخليفة الأمين على يد جيش أخيه المأمون في بغداد – وهو عباسي الابوين – وتولّي أخيه المأمون – أمه فارسية – وتقريبه للفرس – حيث كان رئيس حكومته الفضل بن سهل الفارسي – وإضعاف سطوة العباسيين ونفوذهم ومن يواليهم من العرب فقرّروا خلع المأمون ومبايعة رجل منهم خليفة في بغداد، فأراد المأمون بجعل الامام الرضا (عليه السلام) ولياً للعهد أن يقول لهم إن لم تقبلوا بي خليفة فأن الأمر صائر الى أعدائكم التقليديين وهم آل علي (عليهم السلام)، وكان المأمون يعلم أنه لا يستطيع دخول بغداد عندما قرّر العودة اليها من (مرو) ومعه الامام الرضا (عليه السلام) فقرّر التخلص منه في الطريق فقتله بالسم في طوس حيث مشهده الشريف.

٤- الحط من شأن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ومنزلتهم العظيمة في قلوب الناس فأراد أن يقول للناس ان هؤلاء الأشخاص لم يعارضونا ويخرجوا علينا كالإمام الحسين (عليه السلام) من أجل إحقاق الحق وإقامة دولة العدل وإنما هم طلاب زعامة ودنيا لذلك ما إن عُرضِت على أحدهم ولاية العهد حتى قبلها.

٥- وضع الامام الرضا (عليه السلام) تحت المراقبة المستمرة لمحاصرته وحجبه عن الناس لتحجيم دوره، أما بقاء الامام (عليه السلام) في المدينة فأنه يتيح له فضاءاً من

الحركة واللقاء بالناس من مختلف البلدان الإسلامية الذين يأتون لأداء الحج والعمرة وهذا كله يؤدي الى المزيد من التعريف به و بآبائه الكرام وتوسيع قاعدته.

هذه الأسباب وربما توجد غيرها مما لم استحضرها جالت في ذهن المأمون، وهي ليست خافية عن الامام الرضا (عليه السلام) ولذا كان موقفه الإصرار على رفض العرض الحكومي، والمأمون يعلم ان الامام (عليه السلام) سيرفض لأنه يترفع عن الدنيا وأهلها وتضيق نفسه بالحضور في مجالسهم فأرسل مع مبعوثه جيشاً ضخماً لجلب الامام (عليه السلام) كرهاً، وقد تحدثت الروايات[1] عن العاطفة الجياشة والبكاء والالم الذي ملأ الامام (عليه السلام) وهو يودّع قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجدته فاطمة (عليها السلام) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في البقيع ثم الكعبة المشرّفة في مكة ومعه ولده الامام الجواد (عليه السلام) وهو في السادسة من عمره ويسأله عن سبب هذه اللوعة والحزن فيخبره انه فراق لا يعقبه لقاء وأمر أهله[2]

(١) روى الصدوق بسنده عن مخول السجستاني قال: لما ورد البريد باشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول الله (ص) فودعه مرارا كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب فتقدمت إليه وسلمت عليه فرد السلام وهنأته فقال : ذرني فاني أخرج من جوار جدي (ص) وأموت في غربة وأدفن في جنب هارون قال : فخرجت متبعا لطريقه حتى مات بطوس ودفن إلى جنب هارون. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢١٧.

(٢) وبإسناده عن الوشاء قال: قال لي الرضا عليه السلام: إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا علي حتى أسمع ثم فرقت فيهم اثنى عشر ألف دينار ثم قلت : أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً. العيون: ٢/ ٢١٧.

وذويه بإقامة المآتم لفراقه للإشعار بالمصير الذي سيلاقيه وغادر الامام (عليه السلام) الى مرو مع جيش الظلمة.

والسؤال الآن: إذا كان الامام (عليه السلام) يعلم بمكر المأمون وخدعه والاهداف الخبيثة من استقدام الامام (عليه السلام) وعرض ولاية العهد عليه فلماذا وافق؟

والجواب الذي تذكره المصادر ان الامام (عليه السلام) أكره على ذلك وهو جواب صحيح وهذا الموقف الرافض لولاية الجائر من المسلّمات في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) وقد أبلغه الإمام للأمة من خلال الفعاليات العاطفية التي ذكرناها آنفاً ومن خلال التصريحات التي ذكرها لبعض المعترضين على موقفه[1] وقد ردّ الامام (عليه السلام) بشدة عرض المأمون الخلافة عليه ثم ولاية

وروى الحميري في الدلائل، عن أُميّة بن علي، قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكّة، في السنة التي حجّ فيها، ثمّ صار إلى خراسان، ومعه أبو جعفر عليه السلام وأبو الحسن عليه السلام يودّع البيت، فلمّا قضى طوافه، عدل إلى المقام، فصلّى عنده، فصار أبو جعفر عليه السلام على عنق موفّق -أحد خدّام الإمام وخواصه- يطوف به، فصار أبو جعفر عليه السلام إلى الحجر، فجلس فيه فأطال، فقال له موفّق: قُم جعلت فداك. فقال: ما أُريد أن أبرح من مكاني هذا إلاّ أن يشاء الله، واستبان في وجهه الغمّ. فأتى موفّق أبا الحسن عليه السلام فقال: جعلت فداك، قد جلس أبو جعفر عليه السلام في الحجر، وهو يأبى أن يقوم، فقام أبو الحسن عليه السلام فأتى أبا جعفر عليه السلام فقال له: قم يا حبيبي، فقال: ما أُريد أن أبرح من مكاني هذا. قال : بلى يا حبيبي. ثمّ قال: كيف أقوم، وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه! فقال: قم يا حبيبي، فقام معه. كشف الغمة: ٣/ ١٥٥، بحار الأنوار: ٤٩/ ١٢٠.

(١) راجعها في وسائل الشيعة: ١٤٥/١٢ كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به ، باب ٤٨، وراجع التفاصيل في كتاب (فقه المشاركة في السلطة).

العهد حتى هدّده بالقتل، والامام (عليه السلام) لا يخشى الموت وإنما يعمل بما يأمره الله تعالى من المحافظة على الحياة او الاقدام على الشهادة.

وهنا حضرتني خاطرة نستفيد منها درساً عملياً حاصلها: أن الدولة الإسلامية بلغت في عهد هارون وابنه المأمون سعة ونفوذاً وقوة هيمنت بها على أغلب أجزاء العالم المعروف يومئذٍ من حدود الصين شرقاً الى اسبانيا غرباً وأصبحت مقصداً لكل الشعوب والأمم الموجودة وشهدت مدنها حراكاً علمياً وفكرياً وعقائدياً قوياً مدعوماً ببذل سخي من الدولة، وانفتح المسلمون على كل الحضارات المعروفة وتوافد علماؤهم على العاصمة وكان هؤلاء يتحدثون بعقائدهم وتشكيكهم في أصول الإسلام بكل حرية وعزّزتها حركة الترجمة الواسعة لكتب الاغريق والرومان والاقباط والصينيين والهنود والفرس وغيرهم ولم يكن المجتمع المسلم محصناً ليقدر على مواجهتها فاضطربت عقيدة كثيرين واصبح الالحاد علناً والسلطة غير مكترثة بذلك بل تؤيده كما هو ديدن الطواغيت لان انتشار الثقافة الإسلامية الواعية الصادقة ومبادئ الدين الحق يهدّد سلطانهم الجائر.

ولما كان الامام (عليه السلام) احرص الناس على حفظ عقائد المسلمين وتقويم سلوكهم ومعالجة الانحراف في المجتمع رأى ان من الضروري ان يكون في قلب الحدث وان يدير الحوار الحضاري بنفسه مع علماء الأديان والطوائف والحضارات الأخرى والتي كانت تجري في عاصمة الدولة الإسلامية ولم يكن علماء العامة المتواجدون في البلاط العباسي بالمستوى الذي يؤهلهم لإدارة الحوار بل كانوا من المتزلفين للسلطة اما العلماء الصادقون

المخلصون فقد كانوا في زوايا الإهمال او مصيرهم القتل و السجن والتشريد، ولذلك حوَّل الامام (عليه السلام) ببركة التخطيط الإلهي الفعل الظالم العدواني الى عمل إيجابي مبارك يحصّن عقائد الامة ويهديها ويصلح حالها، ورأى (عليه السلام) ان وجوده في المدينة بعيدا عن هذا الغزو الثقافي والاخلاقي والعقائدي يضعف شوكة المسلمين ويذهب عزتهم وكرامتهم ويفقدهم دينهم، وان التواجد في عاصمة الدولة مهم ومثمر من دون ان يحقق للظالم أهدافه حيث افشلها الامام (عليه السلام) برفض ولاية العهد بشدة وحينما قبلها كان القبول مشروطاً بان لا يأمر ولا ينهى ولا ينصب ولا يعزل ولا يلي شيئا من أمور السلطة ليثبت عمليا انه ليس جزءا منها فالإمام (عليه السلام) ثبَّت أولا هذه الحقيقة في ذهن الامة ثم انطلق لإداء رسالته، ومن يراجع كتابي (عيون اخبار الرضا) و(الاحتجاج) وغيرها يجد الكم الهائل من المناظرات والحوارات التي اجراها الامام الرضا (عليه السلام) مع علماء اليهود والانصار والمجوس والزرادشت والصابئة والملحدين ومختلف الأيدولوجيات وتفوق الامام (عليه السلام) عليهم وافحامهم، وبذلك أسس الامام (عليه السلام) لحوار حضارات واسع النطاق ومبني على أسس علمية رصينة قبل ان يدعو الغرب اليه اليوم بعد اكثر من الف عام ويسميه احياناً (صراع الحضارات) لان منهجه وتفكيره يفترض سلفاً المغالبة والنزاع والتسلط، لا الحوار والاقناع والتعايش بسلام.

فالمأمون العباسي فكّر بأمور ففشل فيها والامام الرضا (عليه السلام) أراد غيرها فحققها بفضل الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال/٣٠) مما اوغر قلب المأمون وزاد من حقده ولم يجد

بدأ من استعمال سلاح العاجزين الفاشلين وهو القتل والتصفية الجسدية ليزيح الامام الرضا (عليه السلام) عن مسرح الحياة.

وهذا الدور من الامام الرضا (عليه السلام) يشابه ما قام به جده امير المؤمنين (عليه السلام) في التصدي لتشكيكات علماء اليهود ومن ورائهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مستغلين اقصاء القيادة الحقّة ونقصان تربية اغلبية المسلمين علميا واخلاقيا مما دعا الخلافة المتقمصة الى طلب النجدة من امير المؤمنين (عليه السلام) في كل ازمة تمر بها، وقد فصلنا الكلام فيها في كتاب (دور الائمة في الحياة الإسلامية).

والدرس العملي الذي نستفيده من هذه القراءة لحركة الامام الرضا (عليه السلام) ان نكون حاضرين في ساحات الحوار والمواجهة مع كل الاتجاهات الفكرية المطروحة سواء على صعيد الكتب والمجلات والصحف او على مواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الانترنت او الفضائيات والقنوات المرئية والمسموعة والمؤتمرات والندوات وسائر الفعاليات، وان لا نغيب عنها وان نقصدها ونذهب اليها ولا ننتظر دعوة المشاركة فيها ولم يعد كافيا ان نمنع تداول كتاب ما ونحو ذلك، فقد غزونا في عقر دارنا بألقاء الشبهات والشكوك والضلالات الموجهة للإسلام والقران الكريم والى نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله) والائمة الطاهرين (عليهم السلام) بل اصل الاعتقاد بالله تعالى.

فهل نقابلهم بالإهمال والتقصير والاستمرار في الجهل، ام بالتعب في تحصيل العلوم والمعارف المطلوبة ثم مواجهتهم بالحجج الدامغة والأدلة القويمة بأذن الله تعالى (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) (الأنعام /١٤٩).

إنَّ مسؤوليتنا اليوم أكبر من أي زمان مضى وهذه ضريبة الاستعداد لاستقبال اليوم الموعود بقدر ضخامة التحدي.

خطاب المرحلة

(٤٩٦)

استشعروا حضور المعصوّم عند زيارته بل مطلقاً[١]

ذكرت كتب السنن والمستحبات آداباً لزيارة المعصومين (عليهم السلام) فيها تمام الزيارة وحسن قبولها فيحسن التعرف عليها والعمل بها قدر الإمكان، ووضع هذه الآداب ومراعاتها امر جرى عليه العقلاء عند زيارة ذوي الجاه والشأن من امثالهم كمسؤول كبير في السلطة ويعاقب احياناً من يخالفها ويخرج عنها، فكيف لا توضع آداب لزيارة خير الخلق والحضور عند حجج الله على الخلق أجمعين.

وما اريد الإشارة اليه من تلك الآداب الإحساس الوجداني بحياة المعصوم (عليه السلام) وحضوره حينما تزوره وتخاطبه فانهم لا يحجبهم تراب القبر ولا الضريح المقام عليه، وهم احياء بنص الآية الشريفة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] وهم سادة الشهداء وائمتهم فحياتهم اكيدة، ولذلك فان نصوص الزيارات بصيغة المخاطب وهي لا تكون الا مع حي موجود .

وهم يروننا ويسمعون كلامنا ويردّون سلامنا، لكننا محجوبون عن

(١) كلمة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في وفد كبير من شباب المواكب الحسينية في محافظة البصرة بتاريخ الأربعاء ٢٧/ذو القعدة /١٤٣٧ هـ الموافق ٢٠١٦/٨/٣١

سماع ذلك لغفلتنا وقسوة قلوبنا وانشغالنا بأمور الدنيا وقصورنا الذاتي بسبب وجودنا المادي، لكن ذوي العقول الواعية والقلوب السليمة يفهمون لغة التخاطب وهذا ما اكدته الروايات ونصوص الزيارات ففي نص الاستئذان لدخول كل الروضات الشريفة (اللهم اني اعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته كما اعتقدها في حضرته واعلم ان رسولك وخلفائك (عليهم السلام) احياءٌ عندك يرزقون، يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردّون سلامي، وانك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم) [1].

ومما يستوقفنا في هذا النص قوله (يرون مقامي) وهي تعني انهم يرون زيارتي وحضوري في مشهدهم والوقوف عندهم للسلام عليهم والاعتراف بإمامتهم، وتعني أيضا انهم يعلمون منزلتي وصورتي الحقيقية ومقامي المعلوم عند الله تعالى مهما حاولت ان احسّن ظاهري واجّمل صورتي الخارجية لكن حقيقتي لا تخفى عليهم ويعرفون بالضبط لكل شخص مقامه الحقيقي.

وإذا التفتنا الى هذه الحقيقة ووعيناها كنّا أكثر رعاية لمقتضيات الادب في حضرة المعصوم (عليه السلام) وأداء حق المولوية لحجج الله تعالى على الخلق أجمعين، فنحن لسنا فقط في حضرة الرب العزيز العليم وانما في حضرة المعصومين (عليهم السلام)، وهذا الحضور لا يقتصر على حال وجودنا في مشاهدهم المشرفة بل في جميع احوالنا، لانهم (سلام الله عليهم) لا يحدُّهم مكان وهم مطلّعون على اعمال الخلائق وهذا ما نصَّت الآية الكريمة ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] وهذا يدعونا الى المزيد من

(١) مفاتيح الجنان: ٣٨٠.

الحذر والالتفات لما نقول وما نفعل ومزيد من العمل المثمر المبارك الذي يرضي الله تعالى والمعصومين (عليهم السلام) مما فيه خير الناس وصلاحهم وسمو الشخص وكماله .

فلابد ان نستحضر هذه المعاني عند زيارة المعصوم (عليه السلام) ونتأدب بهذا الادب ومن لا يكون كذلك فانه لا يفقه معنى الزيارة كالذي يقوم به البعض من الأفعال المستهجنة كالصياح بغضب على احد ضايقه مثلاً او الخوض في احاديث لغوية لا قيمة لها، بل تصدر بعض الأفعال المنكرة أحياناً مما لا ينبغي ذكره صريحاً .

خطاب المرحلة

(٤٩٧)

(أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (البينة: ٧)

حيَّ على خير العمل والدعوة الى ولاية أهل البيت عليهم السلام (١)

(حيَّ على خير العمل) من فقرات الاذان والإقامة المستحبين الاكيدين قبل الصلاة وقال البعض بالوجوب، وفي هذه الفقرة حث ودعوة مع طلب المبادرة الى خير العمل، ويمكن أن يكون المراد من (خير العمل) كل عمل خير من باب إضافة الصفة الى موصوفها وبهذا المعنى تكون الدعوة شاملة لكل أفعال الخير المرضية عند الله تعالى فتتطابق مع الآية الكريمة (فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ) (المائدة: ٤٨).

وقد يراد بـ(خير العمل) عمل مخصوص هو خير الاعمال وأفضلها والدعوة تؤكد المبادرة اليه، والمستفاد من الروايات أن المقصود بهذا العمل أمران ظاهري عام وآخر خاص.

(أما) (المعنى الظاهري) فهو الصلاة نفسها التي هي عمود الدين إن قُبلت قبل ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها، روي عن الامام الرضا (عليه السلام) عن علة الأمر بالآذان، الى أن قال (عليه السلام) (ثم دعا الى خير العمل مرغباً فيه – أي

(١) كلمة متلفزة وجهّها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) الى مؤتمر المبلّغين الذي عقده مكتب المرجع في قم المقدسة يوم الخميس ٢٠/ ذي الحجة/ ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٩/٢٢ بمناسبة عيد الغدير الآغر وقرب حلول موسم التبليغ في شهري محرم وصفر.

الصلاة – وفي عملها وفي أدائها)[١].

وفي رواية محمد بن الحنفية عن معراج النبي (صلى الله عليه وآله) وإمامته للصلاة في السماء السادسة والنداء الأول بالآذان يومئذٍ من قبل مَلَك خاص الى أن قال (حي على الصلاة، قال الله جل جلاله: فرضتها على عبادي وجعلتها لي ديناً، ثم قال: حيَّ على الفلاح، قال الله عز وجل: أفلح من مشى اليها وواظب عليها ابتغاء وجهي، ثم قال حيَّ على خير العمل، قال الله جل جلاله: هي أفضل الاعمال وأزكاها عندي)[٢].

وفي رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير الاذان قال: (وإذا قال حي على خير العمل فأنه يقول ترحموا على أنفسكم فأنه لا أعلم لكم عملاً أفضل من هذه فتفرغوا لصلاتكم قبل الندامة)[٣].

(واما المعنى الخاص وهو الاكمل) فيراد بخير العمل ولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) المعصومين، ففي معاني الاخبار وعلل الشرائع للشيخ الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (أتدري ما تفسير حيَّ على خير العمل، قال: قلت لا، قال: دعاك الى البر، أتدري برّ من؟ قلت: لا، قال: دعاك الى بر فاطمة وولدها (عليهم السلام)[٤]، وروايات أخرى ستأتي إن

---

(١) بحار الانوار: ١٤٤/٨٤ عن علل الشرائع: ٢٥٨/١ الباب ١٨٢ ح٩، عيون أخبار الرضا: ١٠٥/٢ الباب ٣٤ ح١.

(٢) بحار الانوار: ١٤١/٨٤ عن معاني الاخبار: ٤٢ ح٤.

(٣) بحار الانوار: ١٥٤/٨٤ عن جامع الأخبار: ١٧١ الحديث ٤٠٥.

(٤) بحار الأنوار:٨١: ١٤١ عن معاني الأخبار: ٤٢، وعلل الشرائع: ٣٦٨ الباب ٨٩.

شاء الله تعالى.

وليس في هذا المعنى أي غرابة فان ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) كمال دين التوحيد وتمام نعمة الإسلام وقد أعلم الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) بأنه إن لم يبلغ الولاية فكأنه لم يبلّغ رسالة الإسلام أصلاً بنص الآية الشريفة (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (المائدة:٦٧) وقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (المائدة:٣) فهذا وجه لكون (خير العمل) ولاية أمير المؤمنين والأئمة من بنيه (عليهم السلام)، باعتبارها ذروة الإسلام وخلاصة التوحيد والايمان بالله تعالى.

والوجه الآخر، أن بها تقبل الاعمال وتزكى الأفعال، وفي كتاب العلل (وقوله حيَّ على خير العمل أي حث على الولاية وعلة أنها خير العمل أن الاعمال كلها بها تقبل)[1].

وسنشير الى وجهين آخرين إن شاء الله تعالى.

وقد صرحت الروايات بأن هذه الفقرة كانت موجودة في الاذان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكن الثاني هو من أسقطها روى صاحب كتاب (دعائم الإسلام) عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: (كان الاذان بحيَّ على خير العمل على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبه امروا أيام ابي بكر وصدراً من أيام عمر، ثم امر عمر بقطعه وحذفه من الاذان والإقامة، فقيل له في ذلك، فقال: إذا سمع الناس أن الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلّفوا عنه)[2].

---

(١) بحار الانوار: ١٧٠/٨٤.

(٢) بحار الانوار: ١٥٦/٨٤ عن دعائم الإسلام: ١٤٢/١.

وهذا فعل منكر لعدم جواز الاجتهاد مقابل النص، مضافاً الى أن في هذا توهيناً لمقام النبي (صلى الله عليه وآله) إذ كيف خفي عليه هذا التأثير السلبي للنداء ولماذا لم يحذفه حتى تفتقت عنه ذهنية الثاني، وهل ثبّط هذا النداء عزائم المسلمين في الجهاد أيام النبي (صلى الله عليه وآله) وما بعده من حروب الردة والفتوحات الإسلامية، حتى يدعّي مثل هذا السبب.

فالظاهر أن هذا السبب المعلن ليس هو الحقيقي، وإنما السبب الحقيقي هو طمس المعنى الثاني ومحاولة إطفاء نور الله تعالى المتمثل بأهل البيت (عليهم السلام) لان تكرار هذا النداء في الصلاة سيدفع الناس الى السؤال عن خير العمل حتى يبادروا اليه ويلتزموا به فأراد غلق باب السؤال لدى الناس عن خير العمل فألغى الفقرة من أصلها.

فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن محمد بن ابي عمير أنه (سأل أبا الحسن (عليه السلام) – موسى بن جعفر (عليهما السلام) – عن حي على خير العمل لم تركت من الاذان؟ فقال: تريد العلة الظاهرة أو الباطنة، قلت أريدهما جميعاً، فقال: أما العلة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد إتكالاً على الصلاة، وأما الباطنة فأن خير العمل الولاية، فأراد من أمر بترك حي على خير العمل من الاذان أن لا يقع حث عليها ودعاء اليها)[1].

وهذه واحدة من محاولاتهم المحمومة لاستئصال أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) واقصائهم عن قيادة الأمة بل عن مسرح الحياة لولا لطف الله تعالى وحفظه، روى الكشي في رجاله عن الامام الرضا (عليه السلام) قال: (لما قُبِض رسول

(١) بحار الانوار: ١٤٠/٨٤ عن علل الشرائع: ٣٦٨/٢ الباب ٨٩ ح٤.

الله (صلى الله عليه وآله) جهد الناس في إطفاء نور الله فأبى الله إلا ان يتم نوره بأمير المؤمنين (عليه السلام)[١].

وأمتدت محاولاتهم لتصل الى إزالة ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) من أصله وكل ما يمتّ اليه بصلة من معالم الدين وشعائره وإعادة الناس الى جاهليتهم الأولى لولا خشيتهم من انقلاب الرأي العام عليهم وإبقاءاً لشعرة معاوية مع الدين الذي به تسلّطوا على الأمة، ولنستمع الى هذا النص الذي اثبته ابن ابي الحديد المعتزلي وهو من علماء العامة، روي أن المطرّف بن المغيرة بن شعبة[٢] قال: دخلت مع أبي على معاوية ـ و كان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلي، فيذكر معاوية و عقله، و يُعجب بما يرى منه ـ إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، و رأيته مغتماً فانتظرته ساعة، و ظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني جئتُ من عند أكفر الناس و أخبثهم! قلت: و ما ذاك؟ قال: قلت له و قد خلوت به: إنك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا و بسطت خيراً، فإنك قد كبرت، و لو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، و إن ذلك مما يبقى لك ذكره و ثوابه.

---

(١) معجم رجال الحديث:٢٣٩/١٢ في ترجمة علي بن ابي حمزة البطائني عن رجال الكشي رقم ٣١٠.

(٢) المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وكان له دور خفي في الاحداث منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما بعده، وغلامه أبو لؤلؤة الفارسي هو من قتل عمر وقد ساعد معاوية في تشييد ملكه فكافئه بولاية الكوفة وتزلّف اليه بأن القى اليه بدعة استخلاف ولده يزيد .

فقال: هيهات هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه مَلكَ أخو تيم –أي أبو بكر– فعدل، و فعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي –أي عمر– فاجتهد و شمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر، و إن ابن أبي كبشة – أي النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فهو يستكبر عن الاعتراف بنبوته – ليُصاح به كل يوم خمس مرات " أشهد أن محمداً رسول الله، فأيُّ عمل يبقى و أيُّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك، لا والله إلاّ دفناً دفناً !! [١].

ومن هذا تبرز أهمية الحث على خير العمل بمعنى الدعاء الى ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وبيان فضائلهم ومحاسن كلامهم وسيرتهم المباركة (فأن الناس لو سمعوا محاسن كلامنا لأتبعونا)[٢] فبهم قوام الدين وديمومته وحفظه من التحريف والشبهات والتزييف والكذب والافتراء وإفشال هذه المحاولات الشيطانية الهدّامة ولولا وجود الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وقيامهم بأمر الدين لنُقِض بناؤه حجراً حجر من أول يوم كما دلَّت عليه الروايات المتقدمة وقد تواصوا بهذه الجريمة جيلاً بعد جيل وكان الأئمة (عليهم السلام) لهم بالمرصاد (كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ) (المائدة:٦٤) فوصف ولاية أهل البيت والدعوة اليها والتمسك بها بخير العمل في محله لان بها يُحفظ الدين وكل الطاعات والاعمال الصالحة، وهذا وجه ثالث.

والوجه الرابع: ما ورد في تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج٥ ص١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٠.

الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (البينة: ٧) من كتب الفريقين أنها نزلت في علي (عليه السلام) وشيعته، كالذي رواه الحسكاني في شواهد التنزيل وموفق بن أحمد في كتاب المناقب بالإسناد عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (حدثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا مسنده الى صدري، فقال: أي علي، ألم تسمع قول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جثت الأمم للحساب تدعون غرّا محجلين) وهي مما احتج بها أمير المؤمنين على أهل الشورى حينما عدَّد مناقبه وان النبي (صلى الله عليه وآله) قال للمسلمين (إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، فنزلت الآية (فكبرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكبرّتم وهنأتموني بأجمعكم فهل تعلمون أن ذلك كذلك؟ قالوا: اللهم نعم) [1].

ولكي يتم الاستدلال بالآية على ما نريد نضمّ اليها قوله تعالى (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) (الملك:٢) وقوله تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات:١٣) ونحوهما الدالة على ان معيار التفاضل وتفاوت المنزلة عند الله تعالى هو خير العمل وأحسنه فتتحقق النتيجة وهي أن أكرم الناس وخير البرية هم أهل خير العمل وأفضله وأحسنه وقد أفادت آية البينة أن خير البرية هم علي ومن تمسك بولايته وسار على منهجه، فالنتيجة أن أهل خير العمل هم علي وشيعته المتمسكون بولايته ولازمه ان خير العمل هو هذا.

اذن علينا أيها الاحبة أن نلبي – كل من موقعه: علماء وخطباء ومثقفين وكتّاب وشعراء وناشطين على مواقع التواصل وغير ذلك – هذا النداء (حيَّ على

(١) راجع مصادر الروايات في تفسير البرهان: ٢٠٦/١٠.

خير العمل) بعد أن نفهم معناه ونواظّب عليه ونبذل وسعنا في دعوة الناس كافة الى الاستجابة لهذا النداء لنكون من خير البرية الذين وصفتهم الآية الكريمة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (البينة: ٧)، وقد أتانا الله تعالى من آليات العمل ووسائل التواصل ما يغبطنا عليه سائر الأجيال لسعة الفرصة وقوة التأثير وحسن الاستجابة بتوفيق الله تعالى تمهيداً وتعجيلاً للظهور الميمون المبارك وإقامة دولة العدل الالهية .

خطاب المرحلة

(٤٩٨)

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ)[١]

(هل اتى: ٨)

الآية حلقة من سلسلة آيات نزلت في امير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم اجمعين) في حادثة مشهورة لدى الفريقين، وعدَّ المرحوم الاميني في كتاب الغدير[٢](٣٤) ممن أوردها من علماء السنة، والف الحافظ أبو محمد العاصمي كتاباً في مجلدين اسماه(زين الفتى في شرح سورة هل اتى) ووصف الالوسي في روح المعاني خبر الواقعة بانه مشهور.

وخلاصة الحادثة في مصادر العامة كما أوردها العلامة الاميني (قده) عن ابن عباس قال إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا:

يا أبا الحسن؟ لو نذرت على ولدك. فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام.

فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم

---

(١) كلمة سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في جمع من الزوّار يوم الأربعاء ٢٦/ ذي الحجة/ ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٩/٢٨ بمناسبة ذكرى نزول سورة (هل آتى) في حق أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) الغدير: ٣م١٠٧-١١١ من الطبعة الاصلية، و ١٥٤/٤-١٦١ من طبعة دار الغدير.

أهل بيت محمد؟ مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.

فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوئني ما أرى بكم؟! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فساء ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد؟ هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة.

وحاول البعض التشكيك في نزولها في علي واهل بيته (عليهم السلام) رغم شهرتها وكثرة مصادرها، ومما قالوه: ان السورة مكية والحادثة وقعت في المدينة بعد زواج امير المؤمنين وولادة الحسنين (عليهما السلام) وجوابه: عدم الوثوق بما دل على مكية السورة بل الدليل على العكس أي مدنية السورة، لوجود ذكر الأسير فيها، ولم يكن للمسلمين اسرى في مكة بل كانوا قلة مستضعفين وانما قويت شوكتهم واصبح لديهم اسرى في المدينة، ولو تنزلنا فان مكية السورة لا ينافي كون بعض آياتها مدنية وهي ١٨ اية من قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان : ٥] الى الآية ٢٢ (﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان : ٢٢].

وقد دلت عدة روايات من الفريقين على ان السورة مدنية ومنها ما دل على خصوص الآيات المذكورة كرواية للمفيد في الاختصاص بسنده الى

رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفيها قوله مخاطباً امير المؤمنين (عليه السلام) (هل عملت شيئا غير هذا فان الله قد انزل عليَّ سبع عشر اية يتلو بعضها بعضاً، من قوله (ان الابرار)الى قوله (وكان سعيكم مشكوراً)[1].

ولشهرة الخبر فقد نظمها الشعراء في قصائدهم، ومنها قول الوزير الصاحب بن عباد:

وسائلٍ هل أتى نص بحق علي قلت (هل أتى) نص بحق علي

ونحن لا نريد بهذا الحديث الاكتفاء بالتذكير بهذه المنقبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) واهل بيته في ذكرى نزول هذه السورة في ٢٥/ذي الحجة وانما نريد ان نستلهم بعض الدروس والعبر.

١- كرامة الانسان في الإسلام والإحسان اليه حتى لو كان مشركا محاربا كأسير الحرب مع الدولة النبوية الكريمة فلم يتخذ النبي (صلى الله عليه وآله) سجناً لاسراه وانما كان يوزّع الاسرى على المسلمين ليحافظوا عليهم ويحسنوا اليهم حتى يجعل الله تعالى لهم فرجاً وورد في ذلك قوله (صلى الله عليه وآله) (استوصوا بالأسرى خيراً)[2]، (وقد كان يؤتى الرسول (صلى الله عليه وآله) بالأسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول: احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه)[3] واذا لم يجد الأسير ما يحفظ كرامته عند مضيفه فتعطى حريته ويذهب لينال ما يريد، ويختار ومنها ما في هذه الحادثة لذا قصد هذا الأسير دار علي وفاطمة (عليهما السلام) لما

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٧٩/١٠ ح ٥ عن الاختصاص :١٥٠ .

(٢) الأمثل: ٥٢٤/١٤ عن الكامل لابن الاثير: ١٣١/٢.

(٣) روح المعاني للألوسي: ١٥٥/٢٩ عن الحسن .

بلغهُ من ايثارهما على انفسهما وتكريمهما السائل والمحتاج .

٢- الأولوية والاهمية التي يحظى بها اطعام المحتاجين والمعوزين من بين اعمال البر الكثيرة، وقد اشير اليه في الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة كثيرا، قال تعالى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) [البلد: ١١ - ١٦] روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (من اطعم ثلاث نفر من المسلمين اطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات) والحديث مطلق ولم يقيّد المدعوّين للطعام لكونهم فقراء أو محتاجين وهذا يعني أن الاطعام مستحب بغض النظر عن كون الاكلين ذوي حاجة لما فيه من تقوية أواصر المحبة والمودّة وانفتاح النفوس على بعضها وزوال ما بينها من شحناء وبغض.

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال : (من اطعم مؤمنا حتى يشبعه لم يدري احد من خلق الله ماله من الاجر في الاخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل الى الله رب العالمين)[١].

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال : (من افضل الاعمال عند الله ابراد الكباد الحارة واشباع الكباد الجائعة)[٢] وهو حديث مطلق يشمل كل ذي كبد حتى الحيوانات، وتعززه روايات أخرى ففي بعضها ان أمراءه فاسقة غفر لها لأنها سقت قطة عطشى ماءاً، تضمنت تتمة الحديث تهديد المقصر في ذلك قال (صلى الله عليه وآله) (والذي نفس محمد بيده لا يؤمن بي عبد يبت شبعاناً واخوه- او قال جاره- المسلم الجائع) .

---

(١) أصول الكافي: ٢/٢٠٠ – ٣٠٢ باب اطعام المؤمن .

(٢) بحار الانوار: ٣٦٩:٧٤.

ولو ألتزمت البشرية بهذه التوصيات لما مات ملايين البشر جوعاً بينما تتلف دول الغرب المترفة الاف الاطنان من الأغذية للمحافظة على الأسعار ونحو ذلك.

٣- ويمكن ان يتوسع معنى الأسير ليشمل كل محتاج الى رعاية غيره واعالته مادياً، كالمروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) في المديون لغيره: (غريمك اسيرك فأحسن الى اسيرك) [١] ومنهم عيال الرجل وأسرته عن الامام الكاظم (عليه السلام) (ينبغي للرجل ان يوسع على عياله لئلاّ يتمنوا موته وتلى هذه الآية ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال : الأسير عيال الرجل ينبغي له اذا زيد في النعمة ان يزيد اسراءه في السعة عليهم)، ثم قال (ان فلاناً انعم الله عليه بنعمة فمنعها اسرائه وجعلها عند فلان فذهب الله بها، قال الراوي : وكان فلان حاضرا)[٢].

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (اتقوا الله في النساء فأنهن عندكم أعوان)[٣] آي اسراؤه، وهكذا تشمل التوصية بالأسرى خيراً كل من كان راعياً لغيره في مؤسسة أو دائرة او كيان ونحو ذلك.

ويتوسع المعنى الى الحاجة المعنوية أيضاً فيشمل من هو في حاجة اليه فكرياً وعقائدياً واجتماعياً وهذا المعنى قد ورد في اليتيم في الاحاديث الشريفة وقد

---

(١) روح المعاني للألوسي: ١٥٦/٢٩

(٢) فروع الكافي: ١١/٤ كتاب الصدقة باب ٧: كفاية العيال والتوسيع عليهم، ح٣

(٣) الفرقان في تفسير القران: ٢٣٦/٢٩ عن تفسير الرازي :٢٤٥/٣٠

تناولناها في كلمة سابقة[١].

٤- ان الاطعام حصل (على حبّه) أي رغم وجود الحب للطعام لا من جهة نهم الاكولين والميّل الشهوي والتلذذ به فهم ابعد ما يكونون عن ذلك وهم المخلصون لله تبارك وتعالى، بل لحاجتهم اليه بحسب ما وصفتهم الروايات في الحادثة كما ذكرناها، ولأنهم يريدون التقّوي به على الصوم وسائر طاعة الله تعالى. ولكنهم آثروا الثلاثة على أنفسهم وقدّموا ما يريده الله تعالى على ما تريده نفوسهم لانهم يرون انفسهم عبيداً خالصين لله تبارك وتعالى ولا يملكون لها خيارا ولا إرادة ولا فعلاً الا لله تعالى فاخلصوا العبودية لله تعالى مما اكسب فعلهم قيمة اكبر.

ويمكن ان يكون معنى حبّه: حسنه وافضليته وطيبه ليكون ادعى للقبول قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أي من أفضل ما عندكم واحسنه الذين تحبّونه لأنفسكم.

وقد ارجع بعضهم الضمير في حبه الى الله تبارك وتعالى وكأنه لم يستسغ ارجاعه الى الطعام لكنه تصرف بعيد بحسب السياق ولان هذا المعنى سيأتي في الآيات اللاحقة ولان الضمير لو كان عائدا الى الله تعالى لكان الأولى التعبير (في حبّه) ولعدم الغرابة في عودة الضمير الى الطعام بعد الذي ذكرناه، وقد روى البرقي في المحاسن بسند صحيح عن الامام الرضا (عليه السلام) في هذه الآية

(١) خطاب المرحلة: (٢٥٠) ... هل تريد أن تكون مع الصديقة الزهراء (عليها السلام) في درجتها؟، أنظر: خطاب المرحلة: ٦/ ٢٥٨.

قال الراوي (قلت : حب الله او حب الطعام؟ قال : حب الطعام) [١]، فهذا الايثار الذي صاحب فعلهم (صلوات الله عليهم أجمعين) هو المنشأ الأول لإعطائه هذه القيمة الكبرى بحيث تنزّل فيهم سورة مباركة تتلّى الى نهاية الدنيا، مع أنه فعل بسيط في نفسه لا يعدو إنفاق خمسة أرغفة من شعير وليس من حنطة.

٥- والمنشأ الثاني والاهم الذي اعطى فعلهم (صلوات الله عليهم اجمعين) القيمة العظمى ان اطعامهم كان خالصاً لله تعالى ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] فهم لم يبتغوا شكر المعطى وثناءه ولا جزاء منه ولو كان العطاء مشروطاً بالجزاء لحرم كثيرُ من المحتاجين لعدم امتلاكهم الجزاء، ولو كان مشروطاً بالشكر للزم منه توهين المعطى واذلاله.

فلكي يكون الاطعام طيباً هنيئاً لابد ان يكون مجردا من طلب الجزاء او الشكر، كإطعام عليٌ (عليه السلام) واهل بيته فقد كان اطعامهم خالصا لوجه الله لا يبتغون عليه جزاء بجلب ثواب او دفع عقاب حتى من الله تبارك وتعالى. لان عبادتهم عبادة احرار وليست فعل التجار الذين يعبدون الله طمعاً في جنته ولا العبيد الذين يعبدون الله خوفاً من ناره بحسب تقسيم امير المؤمنين (عليه السلام) لعبادة الناس، ومن كلماته المشهورة (إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) [٢].

وقد حصر القصد بإرادة وجه الله تعالى خالصاً باستعمال أداة الحصر (انما) أما ما ورد في الآية التالية (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً) (الإنسان:١٠) فهو

(١) المحاسن: ٣٩٧ ح٧١

(٢) البحار:١٤/٤١.

لا ينافي قصد وجه الله تعالى لأنه خوف من آثاره ورشحاته وليس مستقلاً عنه حتى يدخل في عبادة العبيد، بل خوف البعد عنه تبارك وتعالى وعدم نيل رضاه وبلوغ كمال معرفته.

٦- لم يسبق قولهم (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً) (الإنسان:٩) بكلمة ((قالوا)) وهذا يعني أنهم لم يقولوا هذا الكلام للثلاثة المطعمين وهذا الاستظهار يناسب مقامهم السامي وكون إطعامهم لوجه الله، أما التفوّه بهذه الكلمات أمام المطعمين فأنه لا يخلو من توهين وترفّع عنهم، فالظاهر ان هذا التعبير من الله تبارك وتعالى لبيان حالهم ومقامهم الذي علمه الله تعالى منهم والروايات تدل على ذلك، فقد روى الشيخ المفيد في الاختصاص (عليهم السلام): (أما ان علياً لم يقل في موضع: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً، ولكن الله تعالى علم من قلبه أن ما أطعم لله، فأخبره بما يعلم من قلبه من غير أن ينطق به)[1].

٧- إن هذه القيمة الكبرى التي اكتسبها الاطعام بالإخلاص لله تعالى لا تختص به بل يمكن أن تكتسبها أي طاعة لله تعالى فالآية نموذج للتربية القرآنية للإنسان على ان يبادر الى فعل الخير ويسارع اليه لا لشيء إلا لأن فيه رضا الله تبارك وتعالى لا ينتظر جزاءاً ولا شكوراً من أي أحد ولا يثبطه ولا يشعره بالإحباط واليأس عدم حصوله على الثناء والشكر والإشادة بعمله بل ربما يتعرض للإساءة من نفس الذين يحسن اليهم لؤماً منهم وهو يمضي في معروفه

(١) البرهان في تفسير القران: ٧٩/١٠ ح ٦ عن الاختصاص :١٥١ ورواها الشيخ الصدوق في الامالي عن الامام الصادق عن ابيه (عليهم السلام)

وإحسانه متأسياً بربّه الذي يغدق على عباده بالنعم وهم يعصونه ويتمردون عليه ويشركون به ويعبدون غيره (مني ما يليق بلؤمي منك ما يليق بكرمك).

٨- وهذا السلوك القرآني والسير على منهجه ثابت في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) – وهم القرآن الناطق – فقد روت كتب التاريخ والمقاتل أن الحر الرياحي وكتيبته البالغة ألف فارس من جيش الأمويين لما خرجوا لاعتراض ركب الامام الحسين (عليه السلام) في الطريق بلغ بهم العطش والاعياء أقصاه فتلقاهم الامام (عليه السلام) وسقاهم ثم سقى خيولهم بيده الشريفة، ولما حاصره القوم في كربلاء ومنعوه واصحابه حتى الرضع من الماء حتى قضوا عطشى لم يروِ أحد أن الامام الحسين (عليه السلام) ذكرهم بموقفهم ذاك أو قال لهم اسقوني كما سقيتكم في الطريق، لأنه من أولئك الذين قال الله تعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً).

فسلام الله عليك يا أبا عبد الله يا رمز الإباء والسمو والإنسانية.

خطاب المرحلة

(٤٩٩)

[فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ][1] (الذاريات: ٥٠)

قال الله تعالى: [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] (الذاريات : ٥٠) في هذه الآية الشريفة عدة دلالات وإرشادات نهتدي بها في حياتنا العملية وفي طريق التكامل إن شاء الله تعالى:

١- إن الأمر بالفرار يعني التسليم بأننا في وضع يوجب الفرار منه؛ لأن الفرار والهرب لا يكون إلا من خطر وضيق وعسر ومشقة، فالأمر بالفرار يعني أننا واقعون فعلاً فيه أو أننا في معرض الوقوع فيه سواء التفتنا إليه أو لم نلتفت لغفلتنا وجهلنا بحقائق الأمور، وما يستوجب الفرار كثير مما نواجه في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا: الفرار من المشاكل والتعقيدات والأزمات والصعوبات والقلق والأخطار وقساوة الحياة، أما في الآخرة فالفرار من طول الموقف وسوء الحساب وشدة العقوبة والعذاب، وهذه كلها تلزم كل عاقل بأن يهرب منها إلى ملجأ يحميه ويوفر له الأمن والاستقرار والسعادة، وقد كرّر تعالى في هذه الآية والتي تليها [إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] للتنبيه من الغفلة وإيقاظ العقول والتأكيد على هذه المخاطر.

٢- إن الأمر بالفرار يستلزم من الآمر تحديد المهرب والملاذ الآمن كما أن

(١) ألقيت يوم الاثنين ٦ صفر ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١١/٧.

الدول حينما تقوم بعملية عسكرية لتطهير مدينة أو موضع من إرهابيين ومجرمين فإنها تحدد مسارات وملاجئ آمنة لخروج المدنيين الأبرياء، وقد حدّدت الآية الجهة التي نفرّ إليها وهي جهة النجاة الوحيدة إنه الله تبارك وتعالى ولا يوجد مفرّ إلا إليه [يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرّ، كَلا لا وَزَرَ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ، يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ] (القيامة : ١٠-١٣)، وهي بهذا المعنى تلتقي مع آيات عديدة [إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى] (العلق:٨) [وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى [النجم : ٤٢] (النجم:٤٢) [إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ] (البقرة : ١٥٦).

وهذا المعنى الذي عبّر عنه الإمام السجاد (عليه السلام) في العديد من الأدعية والمناجاة كقوله (عليه السلام) في مناجاة الراجين (يا من كل هارب إليه يلتجئ، وكل طالب إياه يرتجي) وفيها (كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك، وكيف أؤمل سواك والخلق والأمر لك) وفي مناجاة التائبين (إلهي هل يرجع العبد الآبق إلا إلى مولاه، أم هل يجيره من سخطه أحد سواه) وفي مناجاة المطيعين لله قال (عليه السلام): (فإنا بك ولك ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت) وفي مناجاة المفتقرين (إلهي كسري لا يجبره إلا لطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلا عطفك وإحسانك، وروعتي لا يسكّنها إلا أمانك، وذلّتي لا يعزها إلا سلطانك، وأمنيتي لا يبلغنيها إلا فضلك) إلى غيرها من الفقرات التي اغتنت بها الصحيفة السجادية المباركة وأدعية الإمام السجاد الأخرى الملحقة بها.

٣- ارتبطت الآية بفاء التفريع [فَفِرُّوا] فالأمر بالفرار إلى الله جاء تفريعاً ونتيجة على ما ذكر في الآيات السابقة التي ذكرت الأسباب الموجبة لكون الله

تعالى الجهة الوحيدة التي نفر إليها وهي ثلاثة.

فالآية (٤٧) بيّنت مثالاً لعظمة الله تعالى وقدرته [وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ] (الذاريات : ٤٧) التي تعني في بعض الوجوه استمرار توسع الكون وتمدده وقد اكتشف العلم الحديث التوسع الهائل الذي تتجه فيه النجوم والمجرّات بسرعة تصل إلى ٦٦ ألف كيلومتراً في الثانية[١].

والآية (٤٨) بيّنت رعاية الله لخلقه وإغداقه النعم عليهم [وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ] (الذاريات : ٤٨) فبسط لنا الأرض وجعل لها حركة هادئة مريحة وزودها بكل ما يوفر للإنسان السعادة والراحة والمتعة كما تفرش الأم مهد صغيرها وتجهّزه بكل وسائل الراحة والسعادة.

ثم عطفت الآية التالية على ذلك بيان شكل من أشكال فقر المخلوقات -كل المخلوقات - ونقصها الذاتي واحتياجها إلى ربها الغني من خلال إظهار حاجتها إلى غيرها ووجود ما يضادها، [وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] (الذاريات : ٤٩) إذ الزوجية هنا تعني أعم من الزوجية الجنسية كالذكر والأنثى، وزوجية السالب والموجب كشحنتي الإلكترون والبروتون في الذرة، وزوجية التضاد كالظلمة والنور أو زوجية الظاهر والباطن وغير ذلك؛ فالأشياء كلها إذن فقيرة ناقصة محتاجة في ذاتها.

فالفرار إلى الله تعالى لأن القدرة بيده والخير منه والسعادة عنده والكل محتاجون إليه.

فالآيات تقرر هذه الحقيقة وتدعو الناس إلى وعيها والالتفات إليها

---

(١) تفسير الأمثل: ٢٣٦/١٣ عن كتاب (حدود النجوم) لـ(فرد هويل).

وتذكّرها دائماً لترتيب الأثر عليها وأخذ العبرة منها [لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ] فمن الطبيعي أن تتفرع الآية التالية عليها [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] (الذاريات : ٥٠) فإن الله تعالى لشفقته على عباده وحبّه لهم ولطفه بهم لم يتركهم سدىً ولم يوكل أمورهم إلى الصدفة أو إلى حماقة الجهّال من البشر ولم يتركهم يجربون طريقة المحاولة والخطأ (tryial & error) للتوصل إلى القوانين التي تكفل سعادتهم في الدنيا والآخرة وإنما أرسل إليهم منه الأنبياء والرسل لينذروهم ويبينوا لهم هذه الحقائق والمعارف كرماً منه وفضلاً [إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ].

٤- ولما كان الله تعالى أجلّ من أن تكون له جهة أو مكان أو حيّز يشغله فالفرار إليه ليس كالفرار إلى حصن أو أي مكان آمن يتوجه إليه الهارب، وإنما الفرار إليه يعني التمسك بالوسائل الموصلة إليه تبارك وتعالى وفعل ما يوجب قربه ورضاه وتجنب ما يسخطه سبحانه ويوجب غضبه؛ لذلك كانت الآية التالية كالبيان لمعنى الفرار ووسيلته [وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] فالفرار إلى الله تعالى يستند إلى الإيمان به وتوحيده ويبدأ من نفي الشركاء عنه.

والفرار إلى الله يعني الهروب من المعاصي والذنوب وكل ما يسخط الله تبارك وتعالى إلى طاعته ورضاه، ويعني الهروب من عذاب الله تعالى وعقابه إلى رحمته ورضوانه، من مناجاة الراغبين للإمام السجّاد (عليه السلام): (وها أنا فارٌّ من سخطك إلى رضاك وهارب منك إليك).

والفرار إلى الله تعالى يعني الانقطاع عما سواه والتحرر من كل الآصار،

والأغلال التي تعيق حركته نحو التكامل وتثقله إلى الأرض وتوجب عبوديته وأسره [وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ] (الأعراف:١٥٧).

والفرار يعني الهروب والتحرر من ذل اتّباع كل الآلهة والمعبودات التي تطاع من دون الله سواء كانت بشرية أو أصناماً حجرية أو أهواء وشهوات وغرائز أو أنظمة وقوانين من صنع البشر أو أعراف وتقاليد اجتماعية أو عشائرية أو سلطات وزعامات تحكم بغير ما أنزل الله، أو ضلالات أو أفكار مبتدعة أو أوضاع اجتماعية خارجة عما يريده الله تعالى بحيث صارت الدول التي تصف نفسها بالتحضر والعظمة تبيح الشذوذ الجنسي بين المثليين بقوانين رسمية تحت عنوان الحرية والديمقراطية وأمثالها، فالفرار يعني الهروب من كل هذه المعبودات المطاعة إلى الإله الواحد القهار وهو الله تبارك وتعالى.

بل المطلوب أكثر من ذلك وهو السعي الحثيث لتحرير البشرية منها وإزالتها وليس الانعزال السلبي فضلاً عن مداهنة أتباعها ومسايرتهم كالذي حصل قبل أيام حينما نجح بعض الإخوة في استصدار قرار من البرلمان يحظر تجارة المسكرات[1] وتناولها في محلات علنية وهو موافق للدستور الذي يمنع من مخالفة ثوابت الإسلام، ومن ما يخالف الديمقراطية وقد نال القرار موافقة الأغلبية، فانبرت أصوات منبوذة لرفض القرار حتى قال أحدهم أن هذا القرار

(١) صوت الرلمان العراقي بأغلبية الحاضرين البالغين (٢٢٩) عضواً يوم السبت ٢٠/ محرم / ١٤٣٨ الموافق ٢٢/ ١٠/ ٢٠١٦ على قرار منع استيراد وصناعة وبيع المشروبات الكحولية وتغريم المخالفين وكان لكتلة الفضيلة دور في النجاح وحصل بعده جدل كثير واعتراض من العلمانيين متقوين بمطالبة المرجعية بدولة مدنية وليست دينية! فطمأنهم (الاسلاميون).

يثبّط عزائم الحشد الذي يقاتل داعش لأنهم يشربون الخمر وقاتلوا داعش لأنها منعتهم منها، ولم يمتلك أكثر مدعي الشعارات الإسلامية الشجاعة في نصرة الحق والإصلاح و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على نهج أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) فكانوا على عكس ما أرادت منهم الآية الكريمة فاريّن من الله تعالى وليس اليه سبحانه فبئست الصفقة.

٥- ولما كانت هذه الوسائل على درجات، فإن الفرار إلى الله تعالى له درجات متصاعدة في الكمال، كما أن الابتعاد عنه تعالى له دركات في الانحطاط، فأُولى درجات الفرار وأساسها توحيد الله تعالى ونبذ الشركاء عنه، وأرقاها الانقطاع عما سواه حتى عن نفسه فيصبح مخلَصاً لله تعالى فاراً مما سواه، مستقراً عنده عز وجل [إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ] (القيامة:١٢).

٦- ووسائل الفرار إلى الله تعالى غير منحصرة فالقيام بكل عمل صالح ومثمر ومفيد للشخص أو المجتمع هو فرار إلى الله تعالى واجتناب كل فعل سيئ مضرّ لا ينسجم مع التعاليم الإلهية هو فرار إلى الله تعالى، وأساس كل ذلك التوحيد كما في الآية أعلاه ومفتاحه ولاية أهل البيت (عليهم السلام) والأخذ عنهم والتمسّك بنهجهم قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ] (المائدة:٣٥) فهم (عليهم السلام) أوضح الوسائل إلى الله تعالى كما أفادت الروايات[1]، وقد ذكرت الروايات مصاديق أخرى، فقد روى الكليني في الكافي والصدوق في معاني الأخبار بالإسناد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الآية قال: (حجّوا إلى الله عز وجل) وهذا من باب ذكر

(١) راجع تفسير البرهان: ٢٣٢/٣.

بعض المصاديق وهي واسعة ولعل الحج هنا يراد به معناه اللغوي أي القصد إلى الله تعالى وتدل عليه رواية الشيخ الصدوق في (مَن لا يحضره الفقيه) بسنده عن زيد الشهيد عن أبيه الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (يعني حجّوا إلى بيت الله، يا بني إن الكعبة بيت الله، فمن حجّ بيت الله قصد إلى الله، والمساجد بيوت الله، فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه)[1].

وقد دلّت بعض المنقولات على أن أوسع وسائل النجاة والفرار إلى الله تعالى إحياء ذكر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) والعمل على تحقيق أهدافه المباركة في إصلاح الأمة وإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قال الشاعر الشعبي (غير حسين ما عدنا وسيلة) أي أنه (عليه السلام) أيسر وأسرع سفن النجاة.

(١) راجع مصادرها في تفسير البرهان: ١٣٤/٩.

خطاب المرحلة

(٥٠٠)

(وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ)[١] (الأحقاف:٣٥)

من كلمات الامام الحسن السبط الزكي المجتبى (صلوات الله عليه) في بيان أحد الأداب العامة لتنظيم العلاقة الإيجابية مع الآخرين خصوصاً للمربين وأولياء الأمور كالأب في البيت او معلم المدرسة أو مدير الدائرة أو رئيس العمال ونحو ذلك، قال (عليه السلام) (لا تعاجل الذنب بالعقوبة وأجعل بينهما للاعتذار طريقاً)[٢].

والمعنى واضح فالإمام (عليه السلام) ينهى عن المبادرة الى معاقبة من يخطأ أو يذنب أو يقصّر فهذا التريث والإمهال وغض النظر المؤقت يُعطي المذنب فرصة للتأمل والتفكير والمراجعة وسيدفعه ذلك إلى الاعتذار والاعتراف بالتقصير وتدارك التقصير وهذه نتيجة طيبة لجميع الأطراف، أما المبادرة الى المحاسبة والمعاقبة بغض النظر عن كون العقوبة بمستوى الذنب أو أقل أو أكثر فأنها تؤدي الى التشنج والتعصب وتأخذه العزة بالإثم.

وهذا الادب يندرج ضمن التأسي بالصفات الإلهية فأن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة بأن لا يُعاجل العباد العقوبة حتى الكفار والمتجبرين

---

(١) أُلقيت يوم الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١١/١٤ تزامناً مع ذكرى استشهاد الامام الحسن (عليه السلام).

(٢) المجالس السنية: ٣٤٨/٥، موسوعة المصطفى والعترة: ١٢٦/٥-١٢٨.

والمتمردين قال تعالى (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) (الأحقاف:٣٥) وقال تعالى (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) (يونس:١١) وقال تعالى (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) (الطارق:١٧) فإن ثابوا الى رشدهم وعادوا الى الطريق كان فيه خير الدنيا والاخرة للجميع ولا نفقد الامل بهداية أي أحد وهذا ما عبّر عنه بعض الربانيين لما قال لهم بعض اليائسين والمتقاعسين (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً) كان جوابهم الأمل والاندفاع (قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(الأعراف:١٦٤) حتى في مثل فرعون الذي كان يقول (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (النازعات:٢٤) و(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) (غافر:٢٩) فأن الله تعالى أبقى الامل في نفس موسى وهارون (عليهما السلام) قال تعالى (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى*فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه:٤٣-٤٤).

وإن استمروا بالعصيان والاستكبار كان أبلغ بالحجة عليهم وأقطع لعذرهم قال تعالى (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران:١٧٨).

ويتأكد هذا الادب كلما ازدادت أواصر القرب والعلاقة ويبلغ ذروته مع الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) فترى الامام الرضا (عليه السلام) يُعلل تريثه في اتخاذ الإجراءات ضد قيادات من أصحابه أنشقّوا عنه وخانوه في الأموال العظيمة التي أودعها عندهم بأنه (عليه السلام) يأمل منهم ان يتقدموا خطوة ليحظوا باللطف الالهي قال (عليه السلام): (ولولا ما قال أبو جعفر (عليه السلام) حين يقول: لا تعجلوا على شيعتنا إن تزلّ قدم تثبت أخرى، وقال: من لك بأخيك كله: لكان مني من القول في ابن

أبي حمزة وابن السراج وأصحاب ابن ابي حمزة)[١].

وهذه الميزة لشيعة أمير المؤمنين الموالين وردت في حديث سابق عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:(ما ثبتّ الله حب علي في قلب مؤمن فزلّت به قدمٌ إلا ثبت الله قدماً يوم القيامة على الصراط)[٢].

وقد جسّد الأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) هذا الادب في حياتهم بصوره المتنوعة، فقد انتظر أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يقارب السنة قبل ان يتوجه لمقاتلة الباغين معاوية وأصحابه وأكثر إرسال المواعظ اليهم لعلهم يعودون الى الهدى والرشد حتى بدأ المرجفون والمنافقون يشيعون أن علياً (عليه السلام) شاك في أمر أهل الشام ولا يجد مسوغاً لقتالهم فصعد الامام (عليه السلام) على المنبر وبيّن لهم انه لم يشكّ طرفة عين في ظلال معاوية واصحابه وكونهم بغاة يستحقون القتل والقتال وانما تأخّر إمهالاً لهم لعلهم يثوبوا الى رشدهم ويفيئوا الى أمر الله وليستضيئوا بنور أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (عليه السلام): (أما قولكم: أكلُّ ذلك كراهية الموت، فوالله ما أبالي، دخلتُ الى الموت أو خرج الموت إليَّ، وأما قولكم شكاً في أهل الشام! فوالله ما دفعتُ الحرب يوماً إلا وأنا أطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو الى ضوئي، وذلك أحبُّ إليَّ من أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها)[٣] ومن رسالة له (عليه السلام) بعثها الى معاوية قال:

(١) بحار الانوار: ٢٦٧/٤٩-٢٦٨ عن قرب الاسناد: ٣٤٨-٣٥٢/ ح ١٢٦٠.

(٢) كنز العمال: ١١/ ٦٢١/ ح ٣٣٠٢٢.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٥٤.

(وليس أبطأني عنك إلا ترقباً لما أنت له مكذب وأنا له مصدّق)[١] وقال (عليه السلام): (اني قلبت أمري وأمرهم ظهرا لبطن، فما وجدت إلا قتالهم أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله)[٢].

كما كان (عليه السلام) يمنع افراد جيشه من ان يدعو أحدهم للمبارزة، وكانوا لا يبدؤون اعداءهم بقتال ففي يوم عاشوراء حينما حاول بعض أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) أن يرمي شمراً أو بعض الأعداء أن يرميه بسهم فمنعه لهذا الغرض النبيل حتى رمى عمر بن سعد بسهم نحو معسكر الحسين (عليه السلام) وتبعه جيشه لهذا نادى الامام (عليه السلام) أصحابه قائلاً قوموا الى الموت الذي لابد منه فهذه رُسل القوم اليكم.

وقد أثمر هذا الادب عن توبة قائد كبير في جيش بني أمية وهو الحر الرياحي ولو استعجل الامام (عليه السلام) مواجهته في الطريق لما حظي بهذه السعادة الابدية.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٥٠/٤.

(٢)علل الشرائع: ٢٢٠ باب ١٦٠، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص٣٥.

خطاب المرحلة

(٥٠١)

الاذن للمؤمنين في الخليج بتوزيع حقوقهم الشرعية

بلغنا ان بعض حكومات دول الخليج تحاسب مواطنيها على إيصال الحقوق الشرعية الى مراجع تقليدهم خارج تلك الممالك في النجف الاشرف او قم المقدسة أو غيرهما، ونحن إذ نرفض هذا التدخل في الأمور الشخصية للناس خصوصاً فيما يتعلق بعقائدهم الدينية وأداء تكاليفهم الشرعية لأنه من أشنع التجاوزات على حقوق الانسان وحرياته الشخصية.

فأننا نلفت نظر أحبتنا المؤمنين (زادهم الله شرفاً) في تلك الدول والممالك الى أن الاصلح لهم شرعاً والاقرب الى رضا الله تبارك وتعالى والاوفق بسيرة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أن ينفقوا حقوقهم الشرعية في بلدانهم لتزويج الشباب المؤمنين وتهيئة السكن لهم ومساعدة المحتاجين في أمورهم المعاشية ومعالجة مرضاهم ونشر علوم ومعارف أهل البيت (عليهم السلام) بمساعدة علماء الدين الأفاضل والثقات لتعيين موارد الصرف وقد علمت من بعضهم ان مثل هذه الحالات كثيرة خصوصاً في مملكتي البحرين والسعودية، وان يتوقفوا عن إرسالها الى مكاتب المرجعيات الدينية لأنها في الغالب تقع تحت تصرف الأبناء والاصهار والحواشي واكثرهم غير مؤهلين لإدارة هذه الأموال الضخمة التي تبلغ مليارات الدولارات، وأنها تذهب غالباً في فيافي بني سعد – على تعبير استاذنا الشهيد الصدر قدس الله نفسه الزكية – والشواهد على ذلك كثيرة.

وبحسب مستوى الوعي والبصيرة الذي وصلت اليه مجتمعاتنا المؤمنة فان دافعي الحقوق الشرعية غير معذورين لو اوصلوها الى مكاتب بعض المتصدين وهم يعلمون جيداً ان نسبة ما يصرف منها في الموارد التي ترضي الامام (عليه السلام) لا تصل الى عشرة بالمئة من مجموع ما يصل الى تلك المكاتب بل نجزم بأن الكثير منها يذهب عبثاً وهدراً وإسرافاً وتضييعاً بسبب تصرف المتنفذين فيها بينما يتضور الكثير من المؤمنين جوعاً، وينحرف الكثير من الشباب أو يصابون بالكبت لعجزهم عن الزواج وتهيئة مستلزماته وتحبس الأموال الطائلة عن إنفاقها في الموارد التي أوصى بها الأئمة (عليهم السلام) وهي رعاية ايتام آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) المنقطعين عن إمامهم مادياً ومعنوياً وتقويتهم وإعانتهم وبالمقابل نجد أعداء الله تعالى واعداء أهل البيت (عليهم السلام) يبذلون بسخاء وينشطون في سعيهم لإنجاح مشاريعهم الخبيثة (وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة:٣٢).

إن هذه الرخصة بتوزيع الحقوق الشرعية لا تختص بمن يرجع اليَّ بالتقليد - وقد أبلغت وكلائي وثقاتي في تلك البلدان منذ مدة بها ووجهتهم بعدم إيصالها اليَّ في النجف الاشرف - وإنما هي رخصة شاملة لكل المؤمنين، لان جميع المجتهدين العدول وكلاء للإمام المهدي (عليه السلام) ولهم صلاحية إصدار الاذن بالتصرف ولا يختص الاذن بمرجع التقليد كما يصوِّر المنتفعون.

ولا أريد هنا أن أدخل في تفاصيل الاستدلال الفقهي على سريان هذا الإذن لغير المقلدين، إلا أنني أحاول فتح أذهان الفقهاء التقليديين على أنماط

من الاستدلال لم يألفوها كلما سنحت الفرصة لذلك، فأذكر هنا شاهداً على ذلك الرواية الصحيحة ذات السند الأعلائي التي رواها الصالح الثبت الشيخ عباس القمي (قدس سره) في مفاتيح الجنان عن شيخه الميرزا حسين النوري في كتاب (جنة المأوى والنجم الثاقب) عن الحاج علي البغدادي الذي وصفه بالسعيد الصالح والصفي المتقي عمّن تشير القرائن المطمئنة الى انه الامام المهدي (عليه السلام) أو على الاقل من ينطق عنه من خاصته وقال: (إنه لو لم يكن في هذا الكتاب سوى هذه القصة المتقنة الصحيحة الحاوية على فوائد جمّة الحادثة في عصرنا لكفاه شرفاً ونفساً) وعرض فيها الحاج البغدادي انه أوصل شيئاً من الحقوق الشرعية الى عدد من المجتهدين العظام، فتبسم (عليه السلام) في وجهه وقال (نعم قد أبلغت شطراً من حقنا الى وكلائنا في النجف الاشرف، فقلت: هل قُبل ما أدّيته ؟ قال : نعم)[1].

أأمل من اخواني المؤمنين أن يتصرفوا بحكمة وبصيرة ووعي كما قال تعالى (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) (الحاقة:١٢) ويحتاطوا في صرف أموالهم تحت نظرهم وأن يفهموا جيداً معنى المثل القائل (ذبّها – ألقها – برأس عالم واطلع – أي اخرج – منها سالم) فقد قلّ العلماء الديانون العاملون المخلصون وأن يبتعدوا عن الاهواء والتعصبات وأن لا يخذلهم المرجفون والذين يأكلون الدنيا

(١) مفاتيح الجنان: ٧٩٨ الفصل الثامن في زيارة الامامين الكاظمين (عليهما السلام).

بالدين فليس هؤلاء أهلاً بالاتباع والاستماع وإنما أدعوكم الى ان توصلوا الى الامام المنتظر حقه بأمانة (قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الأعراف:١٦٤) والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير.

محمد اليعقوبي – النجف الاشرف

١٢/صفر/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١١/١٣

خطاب المرحلة

(٥٠٢)

(فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ)
النبي (ﷺ) مكفور النعمة(١)

قال الله تبارك وتعالى (فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) (الأنبياء:٩٤) وتفسير الآية باختصار ان كل عمل يقوم به الانسان فيه رضا لله تعالى ونفع للخلق فإن الله تعالى يكتب ذلك العمل ويثبته لصاحبه بما لا نُحيط من أشكال الكتابة وأنواع الشهود لشكره عليه لأن الكفران هنا بمعنى الجحود والانكار وعدم الشكر، وأصل الكفر في اللغة سُتر الشيء، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك شكرها، فكفران السعي تغطيته وإهماله وعدم المجازاة عليه، ويقابله شكر العمل لذا عبّر تعالى عن نفس هذه الحقيقة في آية اخرى بقوله تعالى (وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً) (الإنسان:٢٢)، وقد ورد الشكر – كفعل وسلوك – مقابل الكفر في آيات عديدة كقوله تعالى (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم:٧) وقال تعالى (لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:٤٠).

ومعنى شكر العمل إثابة صاحبه عليه بالجزاء المناسب (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ

(١) كلمة ألقيت يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول ١٤٣٨ المصادف ٢٠١٦/١٢/١٦ بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف.

مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) (الكهف: ٣٠)، (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ) (الزلزلة:٧) لكن هذه الآية وغيرها كالآية ١١٢ من سورة طه الآتية تفيد أن قبول الاعمال مشروط بالإيمان بالله تعالى وسائر العقائد الحقة.

وقد أطلقت الآية (من الصالحات) لكي لا يقلّ الانسان من شأن أي طاعة فكل عمل صالح مهما ظن الانسان أنه لا قيمة له فأن الله تعالى سوف لا يكفره أي لا يهمله قال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (التوبة: ١٢٠) فليس من الضروري القيام بأعمال كبيرة حتى يكون مرضياً عند الله تعالى.

وما دام العمل مسجلاً عند الله تعالى ويُشكر عليه فلا يهمه (أولاً) إن كان له تأثير في المجتمع أو لا يكون لأن هذا شيء بيد الله وقد يأتي تأثيره بعد زمن أو ينضّم الى عمل غيره فيصنع التأثير، ولا يهمه (ثانياً) إن أطلع عليه أحد وعرف انه الفاعل أو لم يطلع لأن المهم انه بعين الله تعالى ومكتوب عنده تبارك وتعالى.

فاستحضار هذه المعاني يدفع الانسان الى العمل ويرفع الهمّة ويزيد من النشاط ويطرد الكسل والشعور بالإحباط.

فهذا تفسير مختصر للآية ككل أما غرضي هنا فهو الوقوف عند هذه الفقرة (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) إذ المفروض ان إثابة المحسن على إحسانه وعدم اهمال العمل الصالح بلا مكافأة قضية فطرية ومن الضروريات (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن: ٦٠) فلا تحتاج القضية الى بيان فلماذا يذكره

الله تعالى؟

والذي يزيد السؤال إلحاحاً ذكر هذه الحقيقة مراراً في القرآن الكريم بنفس التعبير – أي عدم الكفران – كقوله تعالى (وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ) (آل عمران:١١٥) أو بتعبير أخر كقوله تعالى (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً) (طه:١١٢) أو التعبير بما يقابله وهو الشكر كقوله تعالى (وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً) (الإنسان:٢٢) وقوله تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) (الإسراء:١٩) (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:٦٢).

يمكن القول أن الغرض هو لبيان وتقرير بعض تفاصيل عقيدة الايمان بالمعاد واليوم الآخر والحساب ومجازاة الاحسان والإساءة وهذا ظاهر من كثير من الآيات، والذي أُريد أن أضيفه أن الغرض هو لتطمين المحسنين وعاملي الصالحات مما يرونه من الحالة المؤسفة الغالبة لدى البشر وهي التنكر للمنعم وكفران النعمة على عكس ما هو المطلوب منهم الى حد احتاج عدم كفران الاحسان والعمل الصالح الى بيان وتبديد مخاوف حيث أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفاً.

وأول مكفور النعمة هو الله تبارك وتعالى قال سبحانه (وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف:١٧) وقال تعالى (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً) (الإسراء:٨٩) وقال تعالى (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ:١٣) حتى اصبح كفران النعمة صفة ملازمة لسلوك البشر إلا من عصم الله قال تعالى (فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ)

(الشورى:٤٨) والكفور هو المبالغ في كفران النعمة، وقد أكدّ الله تعالى هذه الحقيقة في آية أخرى باستعمال (إنَّ) وإدخال اللام قال تعالى (إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ) (الزخرف:١٥) مما أوجب حالة التأسف والاستغراب قال تعالى (قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (عبس:١٧) على خلاف الادب النبوي المبارك، روى السيد ابن طاووس في الاقبال كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقول - إذا أكل بعض اللقمة قبل تمامها - (اللهمَّ لك الحمد أطعمت وأسقيت وروَّيت، فلك الحمد غير مكفور ولا مودّع ولا مستغنىً عنك)[١].

ولرسول الله (صلى الله عليه وآله) أسوة بربه في كونه مكفور النعمة ومجحودها وهو أعظم النعم الإلهية على المخلوقات وقد قرن الله تعالى إنعامه بإنعام نبّيه تعظيماً له وتكريماً قال تعالى (إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ) (التوبة:٧٤) وقال تعالى (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) (الأحزاب:٣٧) ولأهل البيت (عليهم السلام) أسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكذلك اتباعهم من المؤمنين، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكفرا لا يشكر معروفه، ولقد كان معروفه على القرشي والعربي والعجمي، ومن كان أعظم معروفا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هذا الخلق وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكر معروفنا وكذلك خيار المؤمنين لا يشكر معروفهم)[٢] وهي حقيقة مرة تكشف عن بعض صور الانحطاط في الاخلاق والسلوك البشري.

ومظاهر كفر البشر نعمة النبي (صلى الله عليه وآله) عديدة :-

---

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس الحسني: ١١٦ س ٢٤، وروي في كتب العامة مثله.

(٢) بحار الانوار: ٧٥ / ٤٢ ح٣ عن علل الشرائع: ٥٦٠ باب ٣٥٣ ح٢.

(فمنهم) من لم يؤمن برسالته أصلاً وهم أكثرُ الناس قال تعالى (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف:١٠٣).

(ومنهم) من آمن ظاهراً بالرسالة إلا انه بعيد كل البعد عن مضمونها كالفاسقين والمنافقين ووصلت الجرأة بهم الى أن يقولوا له في وجهه الكريم وهو في اللحظات الأخيرة من حياته (ان الرجل ليهجر).

(ومنهم) من تنكر له في عترته ونصب لهم العداء حسداً وظلماً فأرتكبوا أعظم الكبائر حتى قتلوا أهل بيته وذريته وهم يشهدون ظاهراً لله تعالى بالتوحيد والى النبي (صلى الله عليه وآله) بالرسالة.

(ومنهم) ظاهره التدين والالتزام بالعبادات الفردية إلا انه يُقصي شريعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الحياة ويمنع من تطبيقها ويدعو الى تحكيم القوانين الوضعية بعنوان (الحكومة المدنية) وهل توجد مدنية وحضارة حقيقية بغير الإسلام والقرآن والسيرة النبوية المباركة.

(ومنهم) من يريد التخلي عن سنته الشريفة التي هي بيان كتاب الله تعالى تحت عنوان الحداثة والتجديد وإعادة قراءة النصوص الشرعية بما يناسب الثقافة المعاصرة وتمادى بعضهم فأسقط قدسية كلام المعصوم (عليه السلام) ونحو ذلك.

وبالأمس القريب حينما نجح بعض الإخوة في إقرار قانون بمنع تجارة الخمور وبيعها لم نجد مدافعاً عنه من الإسلاميين ومرجعياتهم إلا النادر فيبخلون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بهذه النصرة الضئيلة، أليس هذا من كفر النعمة؟!

وهكذا تجد صدق ما وصف به أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أنه مكفر لا يُشكر معروفه حتى من المنتسبين اليه، فعلينا ان ننتبه لأنفسنا ونكون من الشاكرين لنعمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (صلى الله عليهم اجمعين) بشكرهم والثناء عليهم والصلاة عليهم ونشر ذكرهم المبارك والدعوة اليهم وإتباع أقوالهم وأفعالهم.

ان خطورة هذا السلوك – كفران النعمة – لا يقتصر على العقوبة الوخيمة لصاحبه وقد أشرنا الى جانب من هذا الحديث في تفسير قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) (إبراهيم:٢٨-٢٩) حتى ورد في الحديث الشريف عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (أربعة أسرع شيء عقوبة رجل أحسنت اليه ويكافيك بالإحسان اليه إساءة)[١].

بل يكون له أثر اجتماعي وهو ما يعبر عنه بقطع سبيل المعروف، روي عن الامام الصادق قال: (لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعو سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره)[٢].

وإن كان المفروض بالإنسان أن لا يمنعه عدم شكر إحسانه على تقديم المزيد من عمل الخير طلباً لرضا الله تعالى وقد طمأنته الأحاديث الشريفة على حسن جزائه عند الله تعالى، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:(أفضل الناس عند الله

(١) بحار الانوار: ٤٢/٧٥ عن الخصال ٢٣٠/١ باب الأربعة ح ٧١.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٦، باب ٨ من أبواب فعل المعروف حديث ١.

منزلة وأقربهم من الله وسيلة المحسن يكفّر احسانه)[١] وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (يد الله فوق رؤوس المكفّرين ترفرف بالرحمة)[٢] وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (لاَ يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لاَ يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لاَ يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، (وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))[٣].

وقد فسّرت بعض الأحاديث معنى ان المؤمن مكفَّر النعمة، فقد روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (الْمُؤْمِنُ مُكَفَّرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرُوفَهُ يَصْعَدُ إِلَى الله عز وجل فَلا يُنْشَرُ فِي النَّاس، وَالْكَافِرُ مَشْهور وذلك ان معروفه للناس ينتشر في الناس ولا يصعد الى السماء)[٤].

أقول: مُكَفَّر على وزن مُعظَّم وهو مجحود النعمة مع إحسانه، وذلك إما لأنه يصنعه لدى الفقراء والضعفاء المحتاجين وهؤلاء ليس لهم جاه اجتماعي وكلام مسموع حتى ينتشر ذكره بينما الكافر والمنافق يجعل معروفه في المشاهير والمتصدرين ووسائل الاعلام (والملأ) بحسب التعبير القرآني فيروجون لمن أحسن إليهم.

(أو) لأن المؤمن يصنع معروفه خفية من دون رياء أو شهرة فلا يُعرف، والكافر يصنعه علانية لان غاية ما يطلب هو الرياء والسمعة بين الناس فتتحقق

---

(١) بحار الانوار: ٤٤/٧٥ عن نوادر الراوندي:٩.

(٢) علل الشرائع: ٥٦/٢ الباب ٣٥٣ ح٢.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٠٤.

(٤) بحار الانوار: ٢٦٠/٧٦ عن علل الشرائع: ٥٦٠/٢ باب ٣٥٣ ح١.

له.

(أو) ان الله تعالى يريد حماية المؤمن من الرياء وحبط العمل فلا ينشره وتكفر نعمته ليزيد من ثوابه في الآخرة بينما المنافق والكافر لا خلاق لهما في الآخرة فيأخذون جزاءهم في الدنيا.

وذكر ابن الأثير معنى آخر لقوله عليه السلام (المؤمن مكفَّر) قال: (أي مرزأ في نفسه وماله لتكفر خطاياه)[1] وهو معنى صحيح في نفسه ودلت عليه روايات اخرى إلا انه لا يناسب أحاديث المقام وربما أورده ابن الأثير لأنه لم ينظر في بقية الحديث.

(١) النهاية: ١٨٩/٤.

خطاب المرحلة

(٥٠٣)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) (الممتحنة:١)
درس نبوي في المصالحة المجتمعية(١)

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (الممتحنة:١).

هذه الآيات الأولى من سورة الممتحنة فيها بحوث مهمة تتعلق بالموالاة والبراءة لكننا نتحدث الآن عن درس مستفاد من الحادثة التي نزلت بسببها هذه الآيات وتصرف النبي (صلى الله عليه وآله) أزائها، فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره سبب نزول الآيات قال (نزلت في حاطب بن ابي بلتعة(٢)، ولفظ الآية عام

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع أساتذة وطلبة عدة مدارس قرآنية في بغداد والكوفة يوم السبت ٣/ع١٤٣٨/١ المصادف ٢٠١٦/١٢/٣.

(٢) حاطب بن بلتعة اللخمي من اليمن كان حليفاً لقريش، هاجر الى المدينة وشهد بدراً والحديبية والمشاهد كلها، وفي الإصابة (ج١/ص٣٠٠ رقم الترجمة ١٥٣٨) عن المرزباني في معجم الشعراء أنه كان أحد فرسان قريش في الجاهلية والإسلام، وقد يبعّد ذلك ما ذكره في الإصابة انه مات سنة ٣٠ وعمره ٦٥ عاماً وقد أسلم في مكة وهاجر فعمره في الجاهلية لا يسمح

ومعناه خاص، وكان سبب ذلك ان حاطب بن ابي بلتعة كان قد اسلم وهاجر إلى المدينة وكان عياله بمكة وكانت قريش تخاف ان يغزوهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فصاروا إلى عيال حاطب وسألوهم ان يكتبوا إلى حاطب يسألوه عن خبر محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهل يريد ان يغزو مكة؟ فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك فكتب اليهم حاطب ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى صفية[1]، فوضعته في قرنها ومرت، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاخبره بذلك فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) والزبير بن العوام في طلبها فلحقوها، فقال لها امير المؤمنين (عليه السلام): أين الكتاب؟ فقالت: ما معي، ففتشوها فلم يجدوا معها شيئا، فقال الزبير: ما نرى معها شيئا فقال امير المؤمنين: والله ما كذبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا كذب رسول الله (صلى الله عليه وآله) على جبرئيل (عليه السلام) ولا كذب جبرئيل على الله جل ثناؤه والله لتظهرن لي الكتاب او لأوردن رأسك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالت تنحيا حتى أخرجه فأخرجت الكتاب من قرنها فأخذه امير المؤمنين (عليه السلام) وجاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا حاطب ! ما هذا؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله ما نافقت ولا غيرت ولا بدلت واني أشهد أن لا إله إلا الله

باشتهار أمره، وفي الاستيعاب والموطأ انه كان شديداً على رقيقه وشكاه بعضهم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

(١) وفي (سيرة ابن هشام: ٢٩/٤) أن اسمها سارة مولاة لبني عبد المطلب وقال في موضع أخر كانت ممن يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مكة، وهي ممن أهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمها حين فتح مكة ثم توسطوا لها وطلبوا لها الأمان فآمنها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وانك رسول الله (صلى الله عليه وآله) حقا ولكن أهلي وعيالي كتبوا إلى بحسن صنيع قريش اليهم، فأحببت ان اجازي قريشا بحسن معاشرتهم فانزل الله جل ثناؤه على رسول الله (صلى الله عليه وآله) (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة - إلى قوله - لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة)[1].

أقول: تضافرت روايات العامة في نقل هذه الحادثة ايضاً كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والبيهقي وأبي نعيم وغيرهم[2] وفي هذا التصرف النبوي الشريف مثل أعلى يستحق ان يدرسه القادة والحكام في المصالحة المجتمعية والعفو عن الذين تزلّ أقدامهم من أبناء المجتمع ويخرجون على الدولة ويخرقون النظام بسبب ضعف النفس او الجهل او سوء التقدير أو أي سبب آخر، بينما الجرم الذي ارتكبه حاطب يدخل فيما يسمى بالخيانة العظمى لتسريبه اسراراً عسكرية تتعلق بأمن الدولة الى أعداء في حالة حرب مع الدولة، والقوانين المعاصرة تحكم على مرتكب هذا الجرم بالإعدام، لكن النبي (صلى الله عليه وآله) قبل عذره وزجر عمر بن الخطاب لأنه طلب من النبي(صلى الله عليه وآله) أن يأمر بقتله.

ولم يكتفي النبي (صلى الله عليه وآله) بل قام بما يسمى اليوم بإعادة تأهيله ودمجه في المجتمع وإزالة كل المضاعفات الاجتماعية التي حصلت له بسبب إرتكابه لهذه الجريمة فأرسله النبي (صلى الله عليه وآله) بكتابه الى المقوقس حاكم مصر في الإسكندرية حينما بعث برسائله الى ملوك العصر يدعوهم الى التوحيد وطاعة

(١) تفسير القمي: ٣٦١/٢، تفسير البرهان: ٢٧٩/٩.

(٢) الدر المنثور: ١٢٥/٨.

الله تعالى ومنهم: كسرى ملك الفرس وهرقل ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة وملوك اليمن وعمان والبحرين وغيرهم، وعاد الى النبي (صلى الله عليه وآله) ومعه هدايا ومارية القبطية التي تزوجّها وولدت أبنه الوحيد إبراهيم.

وفي كتاب الاستيعاب[1] ان بعثه كان في السنة السادسة من الهجرة بعد صلح الحديبية أي قبل أحداث فتح مكة وربما يظهر ذلك ايضاً من سياق حديث ابن هشام في السيرة[2].

فعلينا ان نبرز هذه الصور المشرقة من رسالة الإسلام وقادته العظام لنعرف العالم بهذا الدين الرباني الذي هو أعظم هدية من الله تعالى خالق البشرية الى الانسان ليسعده.

ومضافاً الى هذا فأننا يمكن ان نستخلص عدة دروس أخرى من الآية الكريمة:

١- الانصاف والموضوعية حينما بدأ الخطاب بـ(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) والخطاب وإن كان عاماً إلا انه نزل في حادثة حاطب فلم يخرجه عن الايمان بارتكاب هذه الجريمة الكبرى فالذين يكفرّون الناس لاختلافهم معهم في بعض الاحكام أو في فهم بعض العقائد الدينية مخالفون لمنهج القرآن وأدبه.

٢- الطاعة والتسليم التام للقائد الذي تجلى في إصرار أمير المؤمنين (عليه السلام) على تنفيذ أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعدم التهاون فيه كما حصل للزبير.

---

(١) المطبوع بهامش الإصابة: ٣٥٠/١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٨/٤.

خطاب المرحلة

(٥٠٤)

الزيارات المليونية تحديث بنعمة الولاية[١]

في نهاية كل موسم او فعالية لابد أن نتوقف لتقييم هذا العمل ونجاحه في تحقيق الأهداف المرجّوة كما علينا أن نفكر ونتأمل قبل العمل لوضع الخطط والبرامج الكفيلة بنجاحه، وإنما يعرف النجاح بمقدار تحقيقه للأغراض المطلوبة منه، ونحن الان في نهاية موسم الزيارات والشعائر المليونية في شهري محرم وصفر فلابد أن نجري الدراسة المذكورة.

ومن المعلوم ان تعظيم المشاعر المقدسة واحياء الشعائر الدينية التي تبلغ ذروتها في الزيارات المليونية تحمل دلالات ومعاني عديدة أشرت اليها في مناسبات سابقة وأضيف اليها أن هذا التعظيم للشعائر فيه إمتثال واستجابة لدعوته تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى:١١) وقد دلت الروايات على ان النعمة التي يجب التحديث بها هي ولاية أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) فهذه المسيرات المليونية تحديث عملي بنعمة الولاية وإن كانت صامتة إلا انها توصل صوتها بوضوح وقوة.

وقد وصل هذا الصوت الى انحاء العالم رغم محاولات التعتيم

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع وفود من وكالتي فارس وقدس الايرانيتين والاتحاد الدولي للناشطين في العالم الافتراضي يوم الثلاثاء ١٤/صفر/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١١/١٥.

واللامبالاة إلا ان الكثير منهم اضطروا لإبراز الحقيقة التي تلقفتها الشعوب وتفاعلت معها وتأثرت بها واهتدت بنورها، حتى إن زواراً من ثمانين دولة حضروا في زيارة الأربعين هذا العام، والأعداد تتزايد باطرّاد سنوياً بفضل الله تعالى.

وقد علمت ان هوليوود خصصت (٢٠٠) مليون دولار لإنتاج فيلم عن زيارة الأربعين وقد وصلت مخرجة الفلم الى البصرة في موسم الزيارة هذا العام للاطلاع على ساحة الحدث ووضع خطة العمل.

ولما كان المقياس في قبول الاعمال وزيادة ثوابها هو إحسان العمل وإتقانه ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك:٢) فأننا نتوقع من المؤمنين إبراز هذه الشعائر الدينية بأبهى صوره وأحسن مضمون واوفر ثمرة ولا يكون همّنا فقط زيادة العدد، ونحن نشهد بفضل الله تعالى كل عام تقدماً في حسن الأداء وكانت مواكب الوعي والإصلاح التي انتشرت على طرق المشاة علامة بارزة هذا العام بما تضمنته من إرشادات وتوجيهات وأجوبة الاستفتاءات وإلقاء المحاضرات وتوزيع النشرات وإقامة الصلوات جماعة للرجال والنساء ومعارض الصور والكتب وعُرض في الكثير منها رسوم كاريكاتيرية تلفت النظر الى قضايا أخلاقية وإجتماعية ودينية بأسلوب جذاب ونقد بنّاء وكان الاقبال عليها كبيراً بفضل الله تعالى.

وتولدّت من هذه المشاريع والابداعات مقترحات وأفكار مثمرة آخرى نأمل أن تأخذ طريقها للتنفيذ باذن الله تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥).

خطاب المرحلة

(٥٠٥)

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) [١]
(الأنفال:٦٠)
إعداد القوة في السيرة النبوية المباركة

(وَأَعِدُّواْ) صيغة أمر وإلزام مثل (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ) وغيرها، والإعداد للشيء تهيئة المقدمات واللوازم التي يتطلبها تحقيق ذلك الشيء، كإعداد السلّم للصعود و الماء للغسل وإعداد لوازم السفر قبل الشروع فيه وهكذا.

(لَهُم) مجملة فلم يحدّد الذين يتم الاعداد والاستعداد لهم بغض النظر عن إعادة الضمير لسياق الآيات السابقة لإمكان النظر الى الآية مستقلاً، و بذلك ترك الأمر مفتوحاً لكل من بينت الآيات الكريمة و الاحاديث الشريفة انه عدو تلزم مواجهته والاستعداد له سواء كان عدواً مادياً محسوساً كالمجرمين و الطواغيت و المفسدين و كالقوى الظالمة المعتدية أو غير محسوس لكنه يدرك بالوجدان والبصيرة كالشيطان والنفس الأمارة بالسوء، والعدو الاول قد يكون معروفاً معلوماً معلناً بعداوته وقد يكون متخفياً كما في بقية الآية (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ) مثل المنافقين المتظاهرين بلباس الدين، وقد لا يكون عدواً فعلياً الآن ولكنه سيكون كذلك لاحقاً لان الاختلاف في الافكار و الايدولوجيات والطبائع وتعارض المصالح سنة جارية بين بني البشر فيؤدي

(١) ألقيت بتاريخ ٣٠/ربيع الأول/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١٢/٣٠

ذلك الى الصراع والتنازع إلا ما رحم ربي، فالأمر في الآية واسع و شامل إذ يجب أن يكون الاستعداد تاماً بلحاظ كل هذه الاحتمالات.

(مَّا اسْتَطَعْتُم) أي بكل ما تستطيعون من الإعداد وكل ما تسمح به قدراتكم وقد يكون شيء الآن فوق طاقتكم لكنكم إذا عملتم بكل ما تستطيعون الآن فستصبح لكم القدرة حينئذٍ على إعداد ما لم تكن تستطيعونه اليوم، نظير ما ورد في تحصيل التقوى قال تعالى (اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) (آل عمران:١٠٢) وهو أمر متعذر على الناس فجاء قوله تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن:١٦) ليبين وسيلة الوصول الى تلك النتيجة فالآية الأولى استراتيجية تبين الهدف الذي يراد الوصول اليه والثانية تكتيكية في المصطلح تبين كيفية الوصول إلى ذلك الهدف عبر مراحل، فإذا عملت الآن بما تستطيع من التقوى رزقك الله تعالى درجة أعلى منها وصرت تستطيعها بعد إن لم تكن، فإذا عملت بها وهبك الله تعالى أعلى منها حتى تصل الى نتيجة (حق تقاته).

(مِّن قُوَّةٍ) من بيانية وأطلقت كلمة (قُوَّةٍ) لتشمل كل أشكال ومصاديق القوى فهي لا تختص بالقوة العسكرية بل تشمل القوة الاقتصادية والسياسية والبشرية والعلمية والإعلامية والاجتماعية والتنظيمية وتشمل أيضاً ما يسمى بالقوى الناعمة التي تناولناها في عدة احاديث، حتى ان بعض الروايات جعلت من مصاديق القوة صبغ اللحية بالسواد لإظهار الشباب و الفتوة امام الاعداء فيحصل لديهم الخوف و الرعب ففي الكافي ان الحسين بن علي (عليهما السلام) أختضب بالسواد فسألوه عن ذلك فقال (أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في

غزاة غزاها أن يختضبوا بالسواد ليقووا به على المشركين)[١].

وعلى رأس هذه القوى، القوة المعنوية والروحية التي هي أصل القوى كالإيمان و الصبر و المجاهدة و التوكل و الدعاء و التوسل و (خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) (البقرة١٩٧) و أنما كانت أصل القوى لأن بها مواجهة أصل الاعداء النفس الامارة بالسوء و الشيطان (اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك)[٢] (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً) (الإسراء٥٣) حتى سّمى النبي (صلى الله عليه وآله) هذه المواجهة بالجهاد الأكبر [٣].

كما إن كل من هذه القوى لها مصاديق تتناسب مع كل زمان فالقوة العسكرية في زمان نزول الآية كان يراد بها السيف والقوس والرمح ونحو ذلك، لذلك وردت عدة روايات تطبق القوة في الآية على رمي السهام و ركوب الخيل، واليوم تشمل الطائرات المقاتلة والسفن الحربية والصواريخ العابرة وتأسيس الأكاديميات العسكرية التي تخرج القادة و مراكز تدريب الجنود وغير ذلك.

والخطاب واضح في الآية انه يطالب الامة بأن تقوم هي بإعداد القوة و ليس بأن تستوردها من الغير و تدّعي إنها تمتلك القوة ، أما إذا لم يعدّوا هذه

---

(١) الكافي: ٤٨١/٦ ح٤.

(٢) المجلسي- محمد باقر- بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة- ج٦٧ ص٣٦.

(٣) عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث سرية فلما رجعوا قال :مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. الكافي : وجوب جهاد النفس، وقد وردت بسند اخر عن امير المؤمنين علي (عليه السلام).

القوى و لم يجهزوا انفسهم بها ولم يتمتعوا بالاكتفاء الذاتي فأنهم سيبقون تابعين لمن يزودهم بها و تمهّد الطريق لاستعبادهم. و ستكون قراراتهم مرتهنة لأولئك الذين يستضعفونهم ويملون عليهم ارادتهم.

واختيار هذه التعابير المطلقة القابلة للانطباق على كل زمان مظهر من مظاهر الاعجاز القرآني و قدرته على مخاطبة كل الأجيال حيث ينسجم مع آليات عصر النزول ويفهمه أهله وبنفس الوقت ينسجم مع معطيات القرن الواحد والعشرين والمستقبل ليكون شاهداً على خلود القرآن وملائمته لكل زمان ومكان.

ومن الواضح ان هذا الأمر بالإعداد عام بجميع الاتجاهات ،فهو عام بلحاظ الافراد لانه موجه لجميع الناس لأن المشكلة التي يراد معالجتها بهذا الأعداد – و هي مواجهة عدو الله وعدوكم – يعاني منها كل الناس، و الثمرات المرجوّة منه تكون في مصلحتهم جميعاً، و الأمر عام أيضاً بلحاظ الأزمان ومصاديق القوة فأهل كل زمان مطالبون بإعداد كل ما يستطيعون من أشكال القوة التي تناسب زمانهم و أوضاعهم مما أشرنا اليها لتحقيق العدالة في الأرض وإقامة دولة الانسان التي تحفظ فيها حقوق كل الناس بصفتهم الانسانية وليس حكومة الاهواء والشهوات والنزوات المليئة بالظلم والفساد الذي يعمّ كل الناس وهذه كلها اهداف انسانية يسعى كل الناس لتحصيلها، لذا كان الخطاب عاماً للجميع كما ان البدن إذا داهمه عدو استعد بتمامه لمواجهته كما في الحديث الشريف (مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد

إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)[1].

والغرض من إعداد القوة ليس العدوان على الناس ونهب ثرواتهم واستعبادهم كما يفعل الغرب اليوم و سائر القوى الطاغوتية المتفرعنة عبر التاريخ ولا للظلم ولا الفساد ولا البغي و الاستعلاء في الأرض وإنما (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ) لإخافة أعداء الله والإنسانية الذين يعتدون على كرامة الانسان ومقدساته ويحرمونه من حقوقه ويمنعون الناس من اعتناق العقيدة الحقة بحرية، وهذه الاخافة لردعهم عن التفكير بالعدوان على الناس الآمنين وإنتهاك حرماتهم، فهو إعداد دفاعي وإحترازي: لأن كثيراً من الناس المتجبرين والطواغيت لا يردعهم عن ظلمهم وطغيانهم إلا إعداد القوة التي تخيفهم وترعبهم، وبنفس الوقت تشعر هذه القوة الاتباع بالأمن وحرية ممارسة إقامة النظام الإسلامي في حياتهم وشعائرهم الدينية، وتفتح الطريق واسعاً لمن يريد أن يتعرف على هذا الدين او يعتنقه من دون أن يمنعه أحد، وبنفس الوقت هو إعداد حركي فهذه القوة تُعدُّ لتحرير الإنسان لإنها ترفع العوائق عن حركة نشر الإسلام وإيصاله الى كل الناس، فهذه كلها من ثمرات قوة ومنعة وعزة المجتمع الإسلامي.

ومن هذا يظهر ما في التعبير (وَأَعِدُّواْ لَهُم) من لمسة وجدانية عاطفية رقيقة مليئة بالرحمة فهذا الاعداد (لَهُم) أي لمصلحة الأعداء وليس (عليهم) كما في الآية (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(آل عمران/١٣٣) تقول أعددت لك كذا فهذا فضل وإحسان تقدّمه للآخر، فهذا الاعداد للقوى هو لمصلحة الأعداء لأنه

(١) بحار الأنوار: ج٥٨، ص١٥٠.

يردعهم عن المضي في تنفيذ النوايا والمشاريع السيئة التي يريدونها فهو يحميهم من أنفسهم الأمارة بالسوء و من كيد الشيطان الرجيم الذي يريد ان يزيدهم ذنوباً الى ذنوبهم و يغرقهم في دركات الجحيم.

اعداد القوة في السيرة النبوية المباركة:

ولنأخذ تطبيقات لهذه الآية من سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ولو باختصار بحسب ما يناسب الوقت.

فأول إعداد كان لشخصية القائد وصناعته على نحو يفي بمتطلبات أداء الرسالة العظيمة الخالدة وليكون مؤثراً في الاتباع والاعداء على حد سواء والشواهد كثيرة في حياته الشريفة، وهذا الاعداد تولاه الله تبارك وتعالى (ادبني ربي فاحسن تأديبي)[1] **(إن الله أدب نبيه ثم فوض اليه أمر الخلق)**[2] وهو (صلى الله عليه وآله) أولى بخطاب (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه:٤١) (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه:٣٩)

والاعداد الثاني للمال اللازم للتحرك بالرسالة ورعاية الاتباع وكفالتهم مع عوائلهم بكافة احتياجاتهم ومواجهة مؤامرات الاعداد وحصارهم و مقاطعتهم وهذا ما قامت به أم المؤمنين خديجة (عليها السلام) زوج النبي (صلى الله عليه وآله) فصرفت كل أموالها العظيمة في سبيل الله.

والاعداد الثالث للسند القوي الذي يحميه ويأوي اليه إذا تكالب

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٠.

(٢) الكافي: ٢٦٦/١، ح٤.

الأعداء (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (هود:٨٠) وتكفل به عمه أبو طالب رضوان الله تعالى عليه.

و الإعداد الإلهي الآخر كان بإيجاد الذراع القوي الشجاع و الجندي المتفاني في طاعة ربه تعالى ونبيه (صلى الله عليه وآله) و الذبّ عنه و إرعاب الأعداء و منعهم من الوصول اليه و هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ، قال الشاعر :

فلولا أبو طالب و ابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما.

فهذا كله كان قبل إعلان الرسالة، ثم ركزّ بعد إعلانها على إعداد الاتباع عقائدياً بحيث يذوبوا في عقيدة التوحيد والرسالة النبوية المباركة ويندكوا فيها واستمر هذا الاعداد طيلة عمر الدعوة الإسلامية في مكة التي استمرت ثلاث عشرة سنة وكان غذاء هذا الاعداد القران المكي أي السور والآيات القرآنية التي نزلت في مكة وسياقاتها شاهدة على ذلك.

ثم تحرك النبي (صلى الله عليه وآله) لإعداد الوطن و الحاضنة لهذه الدعوة الجديدة لان البقاء طويلاً في ضمن المجتمع المعادي يؤدي الى ذوبان العقيدة في النفوس وتشتت الاتباع واستضعافهم خصوصاً بعد رحيل القائد العظيم، و لما يأس من تحقيق ذلك في مكة توجّه إلى الطائف اولاً ولم تفلح المحاولة ثم قيض الله تعالى له اهل يثرب فآمنوا به وبايعوه على النصرة بالنفس و المال و الولد في العقبة الأولى و الثانية حتى هاجر (صلى الله عليه وآله) اليها واقام مجتمعه الايماني هناك وأصبحت المدينة المنورة وطن الدعوة الجديدة وعاصمتها وحضنها ومنطلق حركتها.

وتلاه اعداد المجتمع لحمل الرسالة وتأسيس امة قوية متحدة فآخى بين المهاجرين اولاً ثم اخى بين المهاجرين والانصار وقضى على أسباب النزاع التي كانت داخل مجتمع يثرب بين الاوس والخزرج (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) (آل عمران:١٠٣).

ومن ثم الاعداد السياسي للدولة الجديدة من خلال عقد المعاهدات والاتفاقات التي تكسب بعض الجهات الى جانبه او تحّيدهم على الأقل ولو لفترة لتجنب فتح عدة جبهات عليه في آن واحد، وهو في بداية تأسيس دولته المباركة .

ورافق ذلك الاعداد العسكري والتعبئة الميدانية ((والمعروف ان النبي (صلى الله عليه وآله) بلغه ان سلاحاً جديداً مؤثراً صنع في اليمن أيام معركة حنين، فأرسل النبي (صلى الله عليه وآله) جماعة الى اليمن لشرائه فوراً))[1] .

وكان ذلك كله مقترناً بالتربية الروحية من خلال الآيات القرآنية التي كانت تنزل تباعاً بحسب الحكمة الالهية و استعداد الأمة ليكون أجدى و أقوى تأثيراً (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) الفرقان٣٢ .

ان بعض المبهورين بالغرب والذين يريدون الانفلات واتباع الشهوات يقرنون بين الدين والتخلف او يعدّون الالتزام بالدين سبباً للتأخر ويقولون ان اوربا ما تقدمت الا حين انسلخت عن الدين، وهذا نابع من الجهل فان المسلمين لم ينهزموا و لم يتخلفوا وتستعبدهم الأمم الأخرى الا حينما تركوا

(١) تفسير الأمثل :١٠٤/٤.

اسلامهم وتخلوا عن العمل بتعاليمه ومنها هذه الآية الشريفة ولو عملوا بهذه الآية الكريمة لسادوا العالم كما قدّر لهم وكما وعد الله تعالى بذلك وسيتحقق على يد الامام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه).

خطاب المرحلة

(٥٠٦)

الممارسات التعبوية مظهر لقوة الأمة وحيويتها[١]

كان لي حديث أمس عن تفسير قوله تعالى (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) (الأنفال:٦٠) و تطبيقاتها و قلنا فيها ان لفظ القوة مطلق فيشمل كل مصاديقها ، وأريد ان اضيف اليوم ان من مصاديق القوة : الممارسات التعبوية و نعني بها الفعاليات التي تفجّر طاقات اللأمة خصوصا الشباب و تجعلها في حركة دائمه ، لان في هذه الحركة حفظ هويتها و تجديد قواها المعنوية و حفظ وحدتها و تماسكها و حمايتها من الإنحراف و التشتت و الضياع.

و خير مثال عله هذه الممارسات زيارة الأربعين و مشاركة الملايين من المؤمنين في اضخم و أوسع خلية عمل تعبوي بين سائر على قدميه و مواكب خدمة و اطعام ودعم لوجستي و توفير الأمن و الخدمات الطبية و البلدية و النقل وغير ذلك.

و ما يحصل في الزيارة الفاطمية بعد ان لم تكن شيئاً مذكورا و اذا ينهض مارد الامة و يكشف عن عشرات الاف الكنوز من شباب الامة و فتيانها الموالين حتى عمّت ببركة نهضتهم الشعائر الفاطمية العالم بأسره.

---

(١) من حديث لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع عشرات الشباب من محافظة واسط الذين أنهوا دورة لتأهيل قادة المستقبل يوم السبت ١/ع١٤٣٨/٢ المصادف ٢٠١٦/١٢/٣١

او تعبئة الحشد الشعبي التي انطلقت ردا على العدوان الغاشم الذي شنته القوى المستكبرة و الحاقدة و اتخذت من داعش و امثالها أداة لتنفيذ مشاريعها الشيطانية فساهم هؤلاء الحمقى في تكوين هذا التشكيل المبارك .

فالآية تامرنا بأعداد و تهيئة القوة -كل قوة- و منها الفعاليات التعبوية فتنظيم هذه الفعاليات و التفكير في تأسيس المزيد منها التزام بهذا الآية الشريفة، وبالأمس القريب كانت لكم ممارسة تعبوية رائعة نالت اعجاب الجميع وهي سد النقص في المناهج الدراسية للطلبة[1] فنهض اهل الهمة والضمير الحي في مختلف المدن لطبع وتوزيع الكتب الدراسية مجاناً من دون كلل او ملل بل كان يملأهم السرور والانشراح والشعور بلذة الإنجاز الإنساني المثمر.

واذكر مزيدا من الأمثلة للإشادة بهذا النهضة التعبوية ولإلفات نظركم الى التنوع الكبير في هذه الفعاليات، فبعض الاخوة في الكوت أسسّوا جمعية لإصلاح ذات البين بين المتخاصمين خصوصاً بين الأزواج ونجحوا في اصلاح العشرات من الحالات بمساعدة مجموعة من الفضلاء واستعان بهم القضاة في المحاكم لمساعدة الباحث الاجتماعي الذي يُطلب منه محاولة الإصلاح قبل النظر في طلب الطلاق، وصارت تأتيهم طلبات عبر الهاتف لحل مشاكل في مدن أخرى فشجعتهم على انشاء فروع للجمعية في المحافظات.

وفعالية أخرى بدأت من كربلاء لوضع برنامج فاعل وشامل لتوزيع أمثل لصحيفة الصادقين حتى تصل الى أوسع قاعدة من المجتمع ونجحوا في

(١) راجع تفاصيل مبادرة (الحسين (ع) بسمة تلميذ).

ذلك ثم توسعوا الى المحافظات وأصبحت لهم ممثليات فيها ويستفيد اليوم عشرات الالاف من هذه الصحيفة المباركة.

ونشيد أيضا بمشروع (هويتنا العراق) الذي يسعى لترسيخ مبدأ المواطنة واعتماده كأساس في التعامل مع أبناء الوطن الواحد في منح الحقوق والقيام بالواجبات، وانطلق المشروع من لوحة رسم رائعة جسّدت تنوع المجتمع العراقي الموحّد والمتأخي.

ومن امثلتها أيضا السفرات التي ينظمها بعض الاخوة للطلبة والشباب والفتيان الى العتبات المقدسة برفقة عدد من المبلغّين ليستثمروا السفرة في التوعية والإرشاد والتوجيه.

ومنها أيضا الدورات الصيفية التي تنظَّم للطلبة والشباب في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة الى جوار الائمة المعصومين (عليهم السلام) لتعليمهم القرآن والفقه والأخلاق والعقائد وسيرة المعصومين مع برامج عبادية وتوعوية متنوعة .

ومنها أيضا الأرصفة المعرفية التي تقام في الشوارع الثقافية في عدة محافظات.

ومن هذه الفعاليات التي نبني عليها كثيرا من الآمال دورات التنمية البشرية وتأهيل القادة والتدريب على العمل المؤسساتي التي ينظمها المعهد الإسلامي للتطوير و الدراسات في مقره المركزي في كربلاء ومقراته الفرعية في المحافظات ونأمل ان تحظى مخرجات هذا المعهد بالدور المؤثر في بناء الدول واصلاح المجتمع، وانتم ثمرة من ثمرات هذا العطاء.

وهكذا اذن علينا ان نديم هذه الفعاليات التي تقوم بها الكثير من مؤسسات المجتمع المدني وعلينا أيضا ان نفكر بالمزيد مما هو نافع ومؤثر في خير الأمة وصلاحها بأذن الله تعالى.

وأود هنا ان ادعوكم الى جعل يوم نحتفل به سنوياً باسم (يوم العفاف) واخترنا له ذكرى ميلاد العقيلة زينب بنت امير المؤمنين (عليهما السلام) في الخامس من جمادي الأولى فهذه مناسبة جليلة تصلح للاحتفال فيها ببيان معنى العفاف وحدوده والتمييع الذي حصل له والأثار المباركة المترتبة على العفاف حتى ورد عن امير المؤمنين (عليه السلام) قوله (العفة رأس كل خير) وقوله (عليه السلام) (افضل العبادة العفاف)[1].

وأحاديث جليلة أخرى، وامامكم وقت كافٍ لوضع برامج تناسب الاحتفال بهذه الذكرى المباركة والفات الأنظار الى هذا المبدأ السامي الذي لا يخص المرأة فقط وانما هو يعني الرجال ايضاً لانه جاري في كل مظاهر السلوك فالعفة في العلاقة مع الجنس الاخر والعفة في اكتساب المال والعفة في الكلام والاكل والنظر وغير ذلك.

(١) ميزان الحكمة: ٧٢/٦

خطاب المرحلة

(٥٠٧)

تصحيح الأفكار وسيلة إصلاح الأفعال [١]

روي عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قوله (العقول أئمة الأفكار ، و الأفكار أئمة القلوب ، و القلوب أئمة الحواس ، و الحواس أئمة الأعضاء) [٢].

وهذه حقيقة مهمة يجب ان يلتفت اليها المهتمون بالتربية والإصلاح الاجتماعي ومكافحة الفساد والانحراف، خلاصتها ان من يريد إصلاح الأفعال والسلوكيات المنحرفة في المجتمع فلابد ان يفكر في اصلاح مناشئها ومحركاتها، فإن هذه الأعضاء كاليد التي تسرق وتقتل والرجل التي تسعى الى المعصية و العين التي تخون بنظراتها و اللسان الذي يلوك بالباطل ما تحركت إلا بأمر انعقد عليه القلب ومالت إليه النفس، و هذا لا يحصل الا بعد أن انقدحت فكرته في العقل أو القاها إليه أحد فاقتنع بها، فجذور الأفعال تبدأ من هنا و تمر بهذه المراحل.

خذ مثلاً ما يرتكبه المجرمون من الدواعش وغيرهم من قتل وتدمير وتشريد فإن اعضائهم ما سعت الى هذه الأفعال الشريرة الا عبر خطوات ومراحل سبقتها، خطّط لها شياطين الجن والإنس من الاولين والآخرين وزينوها لهم فتراهم يصرون على تسمية شيعة اهل البيت (عليهم السلام) بالرافضة ليغروا

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من فضلاء جامعة الصدر الدينية في النجف الاشرف. يوم الثلاثاء ١١/ع٢ /١٤٣٨ المصادف ٢٠١٧/١/١٠.

(٢) مستدرك وسائل الشيعة :٢٠٦/١١ح١٢٧٥١.

المخدوعين بقتل الشيعة وتفجير مساجدهم وتجمعات اسواقهم حيث وضع لهم اسلافهم حديث كذب و زور ونسبوا روايته الى علي عليه السلام و انه قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): سيأتي بعدي قومٌ لهم نبز يقال لهم الرافضة، إن لقيتهم فأقتلهم! فإنهم مشركون، قلت: يا نبي الله! ما العلامة فيهم؟ قال: يقرظونك بما ليس فيك ويطعنون على اصحابي ويشتمونهم)[1].

ورووا عن ابن عباس قال (كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله) و عنده علي (عليه السلام) فقال النبي (صلى الله عليه وآله) يا علي: سيكون في امتي قومٌ ينتحلون حب أهل البيت، لهم نبز يسمون الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون)[2] وأكثر منها ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول).

وهذه كلها أحاديث مخالفة للقرآن الذي أمر بولاية أهل البيت (عليهم السلام) و مودتهم (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى:٢٣) فهي مكذوبة و مفتراة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكن أعداء أهل البيت (عليهم السلام) استطاعوا بها سلّ سيوف البغي والظلم والعدوان على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، روى أبو بصير قال (قلت لأبي جعفر (عليه السلام) جُعلتُ فداك اسم سُمّينا به استحلّت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا قال: ما هو؟ قال الرافضة فأجابه الإمام (عليه السلام) بما يطيّب خاطره ويخفّف عنهم آلامهم وقال (عليه السلام) (ذلك اسم قد نحلكموه الله) وشرح له منشأ التسمية فقال (عليه السلام) (إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى (عليه السلام) فلم يكن في قوم موسى

(١) كنز العمال، الحديث: ٣١٦٣٤

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: ٢٥/١٠

(عليه السلام) أحد أشدّ اجتهاداً ولا أشدّ حباً لهارون منهم فسماهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى أن ثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد نحلتهم)[1].

فإذا اردنا لم شمل المسلمين حقاً و القضاء على الإرهاب فلابد أن نزيل هذه الأفكار الضّالة من كتبهم التي يتدارسونها وقد يكون العمل عبثياً و استنزافياً اذا شُغلنا بمكافحة الإرهاب و الفساد من دون اصلاح جذوره، ولاشك ان الحوزات و المؤسسات الدينية هي المعنيّة اولاً قبل غيرها بتصحيح هذه الأصول التي بنيت عليها العقيدة والسلوك، وقد تناولنا في مناسبات مختلفة تصحيح الفهم لعدد من المصطلحات والمفاهيم كالجاهلية في كتاب شكوى القرآن.

تصحيح فكرتنا عن معنى الدين و المرجعية الدينية:

حتى ان نفس مصطلح الدين تعرض للتحجيم والتقزيم تبعاً لإقصاء الدين عن شؤون الحياة العامة للمجتمع ليصبح مقتصراً على أداء العبادات الفردية فيوصف الشخص بأنه متدين اذا أطال لحيته و تختم في يمينه و امسك بسبحة وقد يكون ظالماً في معاملاته و قاسياً في علاقاته مع الاخرين و حقودا وحسودا وانانيا و متعاليا ونحو ذلك ، وهذا لا ينسجم مع مفاد الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فإنها تعطي للدين معاني إنسانية نبيلة أوسع مما يفهمه المتدينون فضلا عن غيرهم تبدأ من معناه اللغوي و يعني الطاعة والتسليم

(١) المحاسن للبرقي ١١٩ كتاب الصفوة والنور- باب٢٤: ح٩٢.

والانقياد لله تبارك وتعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) (آل عمران:١٩) ويمتد الى العلاقات الاجتماعية و النزعات النفسية والمنظومة المعرفية، كقوله (عليه السلام) (اصل الدين أداء الأمانة و الوفاء بالعهود) وقوله (غاية الدين الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و إقامة الحدود) و قوله(عليه السلام) (الصدق رأس الدين) و قوله (عليه السلام) (نظام الدين خصلتان : انصافك من نفسك و مواساة اخوانك) وقوله(عليه السلام) (ثلاث هنّ جماع الدين : العفة والورع والحياء)[١]

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلا الحب ؟ إن الله يقول: (إن كنتم تحبون الله فا تبعوني يحببكم الله) ، وقال: (يحبون من هاجر إليهم) وهل الدين إلا الحب)[٢]. وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (الدين النصيحة)[٣] ونحو ذلك من الأمور المفقودة في المجتمع الموصوف بالمتديّن فضلاً عن غيره.

هذا التقزيم والتحجيم في فهم معنى الدين ساهم في خلق مفهوم ضيق لدور المؤسسة الدينية في الحياة وانحسار دور علماء الدين و الحوزة الدينية بل المرجعية الدينية ليقتصر على طبع الرسالة العملية و الاكتفاء بإلقائها الى المكلفين و عدم السعي لإقامة دين الله تعالى كما أمر الله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) (الشورى:١٣) وإقناع البشرية به ليدخلوا في دين الله افواجا.

فوصف المرجع بأنه(مرجع ديني) يلزمه بالقيام بكل مسؤوليات الدين و

---

(١) راجع مصادر هذه الاحاديث في ميزان الحكمة:٣١٦/٣

(٢) البحار : ٢٧ / ٩٥

(٣) مستدرك الوسائل ١٣ ص٣٢٧ و روضة الواعظين ٢/ ٤٢٥.

تفاصيله، والدين عقيدة و سلوك و احكام و اخلاق و ادارة لشؤون الامة ورعاية لمصالحها و مقاومة للظلم و الفساد و الانحراف و سعي دؤوب لإعمار الحياة وغير ذلك، و الا كان مقصراً، فتصحيح فهم الدين و المؤسسة الدينية و المرجعية الدينية بشكل واقعي و حقيقي يقود الى تفّهم المسؤوليات و الوظائف، ومن هنا تبرز اهمية تصحيح الأفكار و المصطلحات.

وهذه المنظومة من الأفكار و المعارف الحقيقية المستندة الى ادلة و حجج صحيحة و ليس الى أوهام و تسويلات النفوس الأمارة بالسوء هي المعبّر عنها في الآيات الكريمة و الاحاديث الشريفة بالبصيرة التي تقود سلوك عباد الله الصالحين و يسيرون بهداها ، قال تعالى (قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف:١٠٨).

خطاب المرحلة

(٥٠٨)

(لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) (الكهف/١٠٩)[1] معاني القرآن لا تنتهي

قال تعالى (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) (الكهف/١٠٩) (المداد) هو الحبر الذي يُمَّد القلم بقابلية الاستمرار على الكتابة و (النفاد) هو الفناء والانتهاء، فمعنى الآية أن البحر لو تحوّل الى مداد وصنعت أشجار الأرض كلها أقلاماً لكتابة كلمات الرب فأن البحر سيفنى قبل ان تنتهي كلمات الرب حتى لو أمددنا هذا البحر ببحر آخر.

والظاهر ان (البحر) و(المثل) هنا أُريد به اسم الجنس وليس الوحدة فالمثال شامل لكل البحار والمحيطات بقرينة قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (لقمان/٢٧) والسبعة هنا رمز للكثرة وهذا مثال لسعة كلمات الله تعالى إذ ان محبرة صغيرة سعة ٥٠ ميللتر تكفي لكتابة آلاف الكلمات، فكيف لو تحولّت كل البحار والمحيطات التي تغطي ثلاثة ارباع سطح الكرة الأرضية وبعمق يصل أحياناً عدة كيلومترات الى حبر، واشجار الأرض الى أقلام، إنه تصوير رهيب لسعة كلمات الله تبارك وتعالى، مع ان العدد ذكر هنا لتصوير

(١) القيت بتاريخ ١٦/جمادي الأولى/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٢/١٤.

الكثرة بحسب فهم البشر وليس للتحديد.

ولم تتعرض الآيتان لذكر الكاتب او المكتوب عليه لاطلاق الخيال في تصوره وانه حتى لو كان الكاتب الجن والانس أجمعين وكانت الواح الكتاب كل ما يمكن أن يكون كذلك.

وقد يقال ان الآية الثانية لا تصلح للقرينيه، لأن الاولى ذكرت كلمات الرب والثانية كلمات الله، والربوبية صفة فعل يمكن ان تكون محدودة بمحدودية المربوب وإن كانت لا تحصى بينما صفات الله تعالى اوسع من صفة الربوبية لانها تشمل صفاته الذاتية والفعلية فهذا وجه زيادة الابحر، ونجيب بأن هذا التفريق لا يضرّ لان صفات الله عين ذاته، ولان عدم النفاد أمر حق بغضّ النظر عن القرينة.

وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) تعليل لعدم نفاد الكلمات، فأنه كما لا يغلب في ذاته كذلك لا يغلب في كلماته وحكيم لا يفوّض التدبير الى غيره.

ومن لطائف هذه الآية ورود الشجرة بصيغة المفرد والاقلام بصيغة الجمع وفيه إشارة لكثرة الأقلام المتخذة من شجرة واحدة.

والتعبير بالبحر الدال على الجنس ليشمل كل البحار والمحيطات وانه ذكر إمداد البحار بسبعة أخرى لان الحبر يستهلك اثناء الكتابة ولم يذكر امداداً للأشجار في صنع الأقلام لأنها لا تستهلك بالكتابة.

وهنا قد يثار سؤال بأننا لو حسبنا رياضياً عدد الكلمات التي يمكن كتابتها بهذه الابحر والاقلام لوجدناها تفوق عدد احتمالات ما يمكن انتاجه من ترتيب الحروف المعروفة في اللغة حتى لو لم يوضع بإزائها معنى، فكيف نفهم

الآية.

ونذكر في الجواب أكثر من وجه:

الأول: ان الكلمة هي كل ما دّل على معنى وبيّن مراداً سواء كانت مكتوبة أو موجوداً خارجياً أو حادثة واقعة أو حقيقة علمية فكلمات الله هي كل ما دل على الله تبارك وتعالى، ولذا فهي لا تنتهي، كما قيل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فكلمات الله تعالى هي كل احكامه وقضاياه وسننه وآياته وليس فقط الكلمات المكتوبة، قال تعالى (لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ) (يونس٦٤) وقال تعالى (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) (البقرة١٢٤) وقال تعالى (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ) (الأنعام١١٥) وقال تعالى (وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا) (التوبة٤٠) وغيرها بالعشرات.

وإذا كان جانب من آياته لا تُعد ولا تحصى (وهي نعمه) قال تعالى (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا) (إبراهيم/٣٤) مع انها في نفسها قابلة للعد والاحصاء لأنها محدودة فمن الأولى أن لا تعدّ آيات الله وكلماته، لان نفس اتخاذ الأشجار أقلاماً والبحر مداداً وكتابة الكلمات هي كلمات جديدة وآيات حادثة، فهي سلسلة فوق حد الاحصاء والعد فضلاً عن النفاد كما في الرواية عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث (قلت: قوله عز وجل (لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي) قال (عليه السلام): قد أخبرك ان كلام الله عز وجل ليس له آخر ولا غاية لا ينقطع أبداً)[1] وإن كان ظاهر قوله تعالى (قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ

(١) تفسير البرهان: ٦/ ١٨٣ ح١.

ربِّي) انها قابلة للنفاد.

وقد استعمل لفظ الكلمة بهذا المعنى في الموجودات العظيمة التي لها أوضح دلالة على الله تعالى كقوله عز وجل (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ) (النساء/١٧١).

ووردت روايات عن الكافي ومعاني الاخبار وعلل الشرائع وغيرها في تفسير قوله تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) (البقرة/٣٧) أنه (عليه السلام) (سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم))[1] فهم (عليهم السلام) من أتم كلمات الله تعالى الدالة عليه تبارك وتعالى.

الثاني: ان هذه الكلمات بوجودها اللفظي يمكن ان تنتهي، لكن معانيها والعلوم والمعارف المودعة فيها – حيث اللفظ كالوعاء للمعنى – لا تنتهي فتكون الآية تعبيراً عن سعة علم الله تعالى - بتقدير المضاف - وتدل على ان معاني كلمات الله تعالى لا تنتهي، ولعل الحادثة في سبب نزول الآية تدل على هذا المعنى، فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره (أن اليهود سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الروح، فقال (الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قالوا نحن خاصة قال بل الناس عامة قالوا فكيف يجتمع هذان يا محمد تزعم إنك لم تؤت من العلم إلا قليلا وقد أوتيت القرآن وأوتينا التوراة وقد قرأت (ومن يؤت الحكمة) وهي التوراة (فقد أوتي خيرا كثيرا) فأنزل الله تعالى (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)

(١) تفسير البرهان: ١٥٣/١.

يقول: علم الله أكثر من ذلك، وما أوتيتم كثير فيكم قليل عند الله)[١].

وتماشياً مع هذا الجواب نقول ان الكلمات المكتوبة في القرآن محدودة ومعدودة لكن المعاني المودعة فيها لا تنفد، فقد أودع الله تعالى هذه المعاني اللامتناهية في كتابه الكريم، ففي أصول الكافي عن الامام الصادق عن ابائه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث قال عن القرآن (ظاهره انيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه)(٢).

تصوروا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) في علمه الذي هو باب[٣] مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وان رسول الله (صلى الله عليه وآله) علمه[٤] ألف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب من العلم، وانه لو كُشِفَ له الغطاء ما ازداد يقينا[٥] وغير ذلك قيل له : (هل عندكم شيء من الوحي؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ

(١) تفسير البرهان: ٢٩٣/٧ ح٢ الآية ٢٧ من سورة لقمان.

(٢) أصول الكافي: ج٢ / كتاب فضل القرآن، باب ١ ح ٢.

(٣) اللئالئ المصنوعة: ج ١، ص ٣٢٩. ورواه الحاكم في المستدرك (ج ٣، ص ١٢٦) .

(٤) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم وتشعب لي من كل باب ألف باب) تفسير الرازي ٨: ٢١، عند تفسير قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم . .) " آل عمران : ٢٣ ". ورواه ابن عساكر في تاريخه كما في ترجمة الإمام علي منه ٢ : ٤٨٥ / ١٠١٢ ، والجويني في فرائد السمطين ١ ٧٠/١٠١ ، والمتقي في كنز العمال ١٣ : ١١٤ / ٣٦٣٧٢ ، والحافظ المغربي في (فتح الملك العلي: ٤٨٨.

(٥) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً) كشف الغمة: ج١ ص١٧٠ في وصف زهده (عليه السلام) في الدنيا..

النسمــة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه)[١]

وعن إبراهيم بن العباس قال: (ما رأيت الرضا (عليه السلام) سئل عن شيء قط إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول الى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن)[٢].

أقول: فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لأهل البيت (عليهم السلام) غنية بالمعاني وعميقة الفهم، وهي متجدّدة ومفتوحة لا تنتهي، وكل جيل من العلماء يأتي يبين شيئاً يسيراً منها وما يخفى عليه أكثر بكثير، ويأتي الجيل الآخر ويغترف منها شيئاً وهكذا من دون أن تنتهي تلك المعاني.

وقد يستغرب البعض كيف يكون لكلام مؤلف من هذه الحروف الثمانية والعشرين في اللغة العربية التي نتداولها يمكن أن تكون لها هذه السعة من المعاني، وهذا الاستغراب منشأه القصور والتقصير في معرفة معاني القرآن الكريم وعدم الالتفات إلى من أودعها في هذه القوالب اللفظية وقدرته وعظمته وعلمه.

واضرب لكم مثالاً قد يعرفه طلبة الحوزة العلمية أكثر من غيرهم وهي ما يعرف بقاعدة الاستصحاب التي هي من أهم الأبحاث المعمّقة في علم الأصول وكتبت فيها مجلدات ولا زال البحث فيها مستمراً والتفريعات تتكثر،

---

(١) تفسير الصافي: ٣٩/١.

(٢) بحار الانوار: ٩٠/٤٩ ح٣ عن أمالي الصدوق:٧٥٨ مجلس ٩٤ ح ١٠٢٣ وعيون اخبار الرضا: ١٠٨/٢

واصلها حديث من ثلاث كلمات للمعصوم (عليه السلام) (لا تنقض اليقين بالشك)، أي إذا كنت على يقين من حالة معينة ككونك على طهارة أو أن زيداً حيّ، فتبني على هذا اليقين بالطهارة وحياة زيد وترتّب آثاره حتى لو حصل لك شك فيها ولا تنقض حالة اليقين إلا بيقين مثله، هذه الكلمات أصبحت محوراً لإبحاث معمّقة تملأ مجلدات ولازال البحث فيها مفتوحاً، فإذا كانت ثلاث كلمات في علم ظاهري تفتح هذه الآفاق الواسعة للبحث، فماذا سينفتح من علوم ومعارف إلهية من كلمات القرآن الكريم وانى للبشر استيعابها وبلوغ كنهها؟

لذلك تجد العلماء لا يتوقفون عن التدبر في آيات القرآن الكريم واكتشاف ما يهتدون إليه من معانيها وإيداعها في التفاسير، ومع ذلك لا زالت حقائقه كثيرة خافية على العلماء فضلاً عن غيرهم، وحكي عن السيد الطباطبائي (قده) صاحب تفسير الميزان قوله اننا نحتاج في كل سنتين إلى تفسير، وقد أنهى (قده) تفسيره في عشرين عاماً فهذا يعني أن محاولات التفسير لابد أن تكون متعدّدة ومتواصلة في الجيل الواحد فضلاً عن الأجيال المتتالية.

إننا نشهد في هذا العصر نهضة قرآنية محمودة ونسأل الله تعالى ان يوسّعها ويزيدها، لكنها غالباً تقتصر على التجويد وتحسين الصوت ومخارج الحروف والنغمات ونحوها، وهذا شيء جيدٌ في نفسه لأن حلية القرآن الصوت الحسن، ونشجّع عليه لانه يحّبب القرآن الى النفوس ويحصل انس به لكن الاقتصار عليه والوقوف عنده من دون الانطلاق إلى فهم معاني القرآن الكريم واكتشاف أسراره ومعرفة حدوده يكون خطوة ناقصة نحو الكمال المنشود، بل

لابد أن يدفع الانس بالقرآن والتلذذ باستماعه الى حب التعرف على معارفه واسراره ومكنوناته ولتحقيق ذلك ينبغي نشر المؤسسات والمدارس والمراكز القرآنية لتقود هذه النهضة المباركة بأذن الله تعالى.

روى السيد الحكيم (قدس سره) في كتابه حقائق الأصول حادثة تحكي جانباً مما يلطف به الله تعالى بعض عباده من سعة الفهم لمعاني القرآن الكريم، قال (قدس سره) تحت عنوان (فائدة) ألحقها ببحث استعمال اللفظ في أكثر من معنى (حدَّث بعض الاعاظم دام تأييده – أنه حضر يوماً منزل الآخوند (ملا فتح علي[1] (قدس سره)) مع جماعة من الاعيان منهم السيد إسماعيل الصدر (قده) والحاج الميرزا حسين نوري صاحب المستدرك (قده) والسيد حسن الصدر (قده) فتلا الآخوند (قده) قوله تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) (الحجرات/٧) ثم شرع في تفسير قوله تعالى فيها : حبب اليكم الايمان من الآية وبعد بيان طويل فسرها بمعنى لما سمعوه منه استوضحوه واستغربوا من عدم انتقالهم اليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنى آخر غير الأول فاستوضحوه أيضا وتعجبوا من عدم انتقالهم اليه قبل بيانه، ثم حضروا

(١) الظاهر بملاحظة القرائن انه الشيخ المولى علي محمد النجف آبادي من اعاظم العلماء له ترجمة في كتاب (نقباء البشر: ١٦٢٢/١٦)، لازم المجدد السيد الشيرازي في النجف والسامراء واختص لاحقاً بالمعقول والحكمة الإلهية وصفه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء – وهو من تلاميذه – بانه (اعلى من حضرت عليه في الحكمة والعرفان العارف الإلهي الذي كان من اكابر أساتذة الحكمة والعرفان وكان درسه في الاسفار ولكنه يتفّجر بينابيع الحكمة) (عقود حياتي:٥٩) توفي سنة ١٣٣٢ وصلى عليه السيد أحمد الكربلائي أستاذ السيد علي القاضي (رحمه الله)

عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين ولم يزالوا على هذه الحال كلما حضروا عنده يوما ذكر لهم معنى الى ما يقرب من ثلاثين يوماً فذكر لهم ما يقرب من ثلاثين معنى وكلما سمعوا منه معنى استوضحوه، وقد نقل الثقات لهذا المفسر كرامات قدس الله روحه)(١) .

أقول: هذا غير مستغرب من أمثاله (قده) فانه كان من العارفين وأهل الصفاء والطهارة وإن من ثمرات سلوك طريق تهذيب النفس وتطهير القلب فهم معاني متعددة لآيات القرآن الكريم والروايات الشريفة كما افاد استاذنا الشهيد السيد محمد الصدر (قدس سره) في احدى رسائله التي نشرتها في كتاب (قناديل العارفين).

(١) حقائق الأصول: ٩٥/١-٩٦.

خطاب المرحلة

(٥٠٩)

(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً) (النور:٣٣) العفّة رأس كل خير[١]

(العفّة) ملكة وصفة نفسية كسائر الملكات النفسية مثل الشجاعة والكرم والحلم والرحمة: تحصّن صاحبها من الإنقياد للشهوة وإتباع الهوى والوقوع في القبيح، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لمحمد ابن أبي بكر لما ولاه مصر (اعلم ان افضل العفّة الورع في دين الله والعمل بطاعته) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (العفاف يصون النفس وينزهّها عن الدنايا)[٢]، فالعفّة كالتقوى من هذه الناحية ويمكن ان يكون الفرق بينهما ان العفّة صفة ذات والتقوى صفة فعل والمتعفّف من تحلى بتلك الملكة عن طريق الترويض ومجاهدة النفس، والاستعفاف طلب العفّة.

واذا اطلق لفظ (العفّة) فان الذهن العرفي ينصرف الى حفظ النفس من السقوط في اتباع الشهوة الجنسية بغير ما أحلّ الله تعالى ومخالفة احكامه في هذا المجال سواء على مستوى المظهر الخارجي كسفور المرأة او ميوعتها او عدم غض النظر الى غير ما أحلّ الله تعالى او العلاقات الجنسية غير المشروعة

(١) كلمة القيت يوم الجمعة ٥/ج ١٤٣٨/١ المصادف ٢٠١٧/٢/٣ بمناسبة ميلاد العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام) الذي أعلنه سماحة المرجع يوماً (راجع خبر الإعلان ص٣٨٩).

(٢) الروايات المذكورة أوردها في ميزان الحكمة: ٧٢/٦ عن مصادرها

او أي انحراف في توظيف الحاجة الجنسية وإثارتها ونحو ذلك فهذا كله ينافي العفاف، وقد جاء الامر الإلهي صريحاً بتنزيه النفس في هذا المجال قال تعالى (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) (النور:٣٣) والخطاب موجّه الى كلا الجنسين فأمروا بالتعفف وحفظ النفس من الحرام بالتزويج إن كانوا قادرين عليه ومؤهلين له، وإن لم تكن عندهم القدرة على التزويج فليتعففوا بالصبر والانشغال بالطاعات والاعمال المفيدة المثمرة والابتعاد عن المثيرات الجنسية وبمساعدة التذكر والالتفات الى ان الإنسان في محضر الله تبارك وتعالى وتحت نظره وفي رقابة الملائكة (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق:١٨)، ومفتاح هذه الحصانة عملياً يتحقق بغض البصر (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) (النور: ٣٠-٣١).

وهذا الامر الشرعي لغض البصر ليس مختصاً بشريعة الإسلام وإنما هو موجود في الشرائع السماوية الاخرى، ففي أنجيل (متى: ٢٧/٥-٢٩) ((قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن، واما أنا أقول لكم إن كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فأقلعها وألقها عنك، لانه خير لك أن يهلك احد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم))[1]

وقد بلغ التأديب الشرعي حداً دقيقاً في مجال العفاف لكلا الجنسين كقوله تعالى (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ) (النور:٣١)

(١) نقله عنه في تفسير الفرقان:٢٣٨/٢٠.

ويكره للرجل ان يقعد في مكان قامت عنه المرأة حتى تذهب حرارة بدنها عنه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إذا جلست المرأة مجلساً فقامت عنه، فلا يجلس في مجلسها رجل حتى يبرد)[1].

فالآية الكريمة تدعو الرجال والنساء الذين لم يتيّسر لهم تلبية شهواتهم الجنسية بالزواج الى التعفف وحفظ النفس من الوقوع في الحرام الى ان يغنيهم الله من فضله ويهيئ لهم أسباب الزواج السعيد المبارك، وروى في صحيح البخاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فانه له وجاء).

هذا على صعيد تفسير الآية الكريمة والمعنى المتبادر من العفاف، لكننا ذكرنا في اول الحديث ان العفّة جارية في كل انحاء السلوك ولا تقتصر على ما يتعلق بالشهوة الجنسية والعلاقة مع الجنس الاخر، وقد ورد لفظ العفاف بهذا المعنى في القرآن الكريم وبغيره أيضاً، فعلى صعيد التعفف من أي انحراف في توظيف الحاجة الجنسية قال الله تبارك وتعالى (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) (النور:٣٣) وقال تعالى (وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور:٦٠) بحفظ نفوسهن عمّا تشتهي من التبرجّ والظهور للأجنبي وإبداء الزينة.

وعلى صعيد عفّة اليد من التجاوز على أموال الاخرين بغير حق قال تعالى (وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ) (النساء:٦) وعلى صعيد عفّة النفس واستغنائها

(١) الوسائل ، ج ٢٠ كتاب النكاح ، أبواب مقدمات النكاح ، ب ١٤٥ ح ١.

عن الطلب من الناس قال تعالى (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً) (البقرة:٢٧٣) وفي عفّة اللسان ورد قوله تعالى (لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ) (النساء:١٤٨) وفي عفّة البطن ورد قوله تعالى (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (عبس:٢٤) وقوله تعالى (وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) (الأنعام:١٢١) وجمعت آية أخرى كل معاني العفاف، قال تعالى (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)(الأعراف:٨٢) أي يتعففون وينزهون أنفسهم عن فعل القبيح في كل شؤون حياتهم.

وهكذا تنوعت الاحاديث الشريفة أيضاً فورد في عفّة البطن عن أكل الحرام بسبب حرمة نفس الطعام والشراب كالخمر ولحم الخنزير واللحوم غير المذبوحة بطريقة شرعية او الأطعمة المتنجسة او بسبب حرمة المكسب او حرمة المال، قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (اذا أراد الله بعبد خيراً أعفّ بطنه وفرجه) وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال (ما عُبد الله بشيء أفضل من عفّة بطنّ وفرج).

و ورد في عفّة المعاملة مع الناس قولاً وفعلاً قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) (من طالب حقاً فليطلبه في عفاف) أي بوسائل مشروعة ولأغراض صحيحة.

ويبلغ العفاف اسمى مراتبه في عفّة القلب وطهارته من كل الرذائل الخُلقية كالحقد والحسد والانانية والعصبية والرياء والعجب وغيرها ويتسامى اكثر فلا يسكن فيه غير محبة الله تبارك وتعالى (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء:٨٨ – ٨٩) وسلامة القلب تعني طهارته وتعفّفه عن التعلق بما سوى الله تعالى، لما سُئِل الامام الصادق (عليه السلام) عمّا يسمونه

بالعشق بين الجنسين قال (عليه السلام): (قلوبٌ خلت من ذكر الله فاذاقها الله حب غيره)[١]

وعلى هذا يكون من الطبيعي ما ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:(العفّة رأس كل خير) لان حصول ملكة العفّة في النفس تجعل الإنسان صالحاً مؤهلاً لاستقبال الالطاف والتوفيقات الإلهية كما ورد في القرآن الكريم في حق مريم عليها السلام (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء:٩١) والفاء هنا للتفريع فعفتها واحصانها كان سبباً لنيل هذه الكرامة، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (اذا أراد الله بعبد خيراً أعفّ بطنه وفرجه).

وتحصل ملكة العفاف بعلاجين: نظري وعملي:

اما النظري فمن خلال الالتفات الى أهمية العفّة في استقامة الانسان وعظيم بركاتها في الدنيا والآخرة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أفضل العبادة العفاف) وورد عنه (عليه السلام) في فضل من له القدرة على ارتكاب ما ينافي العفاف سواء في العلاقة مع الجنس الاخر أو أكل الحرام أو الظلم أو النيل من الآخرين بلسانه ونحو ذلك لكنه يمنع نفسه عن ذلك تعففاً قال (ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم اجراً ممن قدر فعفَّ، لكاد العفيف ان يكون ملكاً من الملائكة) وعنه (عليه السلام) قال (من عفَّ خفَّ وزره وعظم عند الله قدره) وجعل (عليه السلام) في حديث آخر من ثمراتها قلة الاحزان.

ومن العلاج النظري: ان يلتفت الإنسان الى قدر نفسه وعظيم ثمنها

(١) أمالي الصدوق: ٧٦٥ح١٠٢٩.

وحينئذ لا يرضى لها بغير العفاف والترفع عن اتباع الاهواء والشهوات والخوض في الأمور الدنية، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (ينبغي لمن عرف نفسه ان يلزم القناعة والعفَّة) وعنه (عليه السلام) قال: (من عقل عفَّ).

اما العلاج العملي: فنعني به ترويض النفس ومجاهدتها وتدريبها على القناعة بالقليل من الحلال اذا وجد، او الصبر اذا لم يحصل على القليل، ولذا يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) من يريد التأسي به بقوله (الا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد) وفي حديث مروي عنه (عليه السلام) قال (أصل العفاف القناعة) وعنه (عليه السلام): (من قنعت نفسه اعانته على النزاهة والعفاف).

وهذا واضح من أصل اشتقاق الكلمة لغوياً فقد قيل انها من (العُفّة) وهي بقية اللبن في الضرع فكأن الضرع يعف بها عن الخروج ويحفظها فيه او ان هذه البقية من اللبن تعف عن ميل اللبن الى الخروج وتُسمى (العُفافة) ايضاً فيقال عففت فلاناً أي سقيته العُفافة وهو (الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العُفافة، والعُفّة: أي البقية من الشيء)[1] .

والحياء و العفّة توأمان، فالحياء ينتج العفّة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سبب العفّة الحياء)[2] وعنه (عليه السلام) قال (على قدر الحياء تكون العفّة) وفي رسالة الامام الصادق (عليه السلام) الى شيعته التي امرهم بمدارستها والنظر فيها يومياً (عليكم بالحياء، والتنزه عما تنّزه عنه الصالحون قبلكم).

---

(١) مفردات القرآن للراغب الاصفهاني، مادة (عف)

(٢) هذه الاحاديث عن الحياء نقلها عن مصادرها في ميزان الحكمة : ٥٠٩/٢

اننا اليوم احوج ما يكون الى إشاعة ثقافة العفّة في جميع المجالات حيث تعاني المجتمعات من الانحراف الأخلاقي والاجتماعي والفكري والفساد المالي والإداري والكل يتحدث عن النزاهة والمبادئ العليا والاخلاق الكريمة وحقوق الانسان ولا نجدها على الواقع بينما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (النزاهة آية العفّة).

وتحقيق العفاف مسؤولية اجتماعية تضامنية يشترك فيها الجميع، فالشاب الذي يريد ان يتعفف ويحصّن نفسه بالزواج ولا يجد الى ذلك سبيلاً يتحمل مسؤولية تزويجه القادرون على ذلك، وعفّة اليد تتطلب مؤسسات فاعلة تثقف المجتمع بحرمة التجاوز على المال العام وتكافح الفساد، وعفّة البطن تدعو الى مراقبة السوق وأنواع الكسب الموجودة لمنع الكسب الحرام وهكذا بقية المجالات.

وفي يوم العفاف الذي اختير له ذكرى ميلاد سيدة العفاف العقيلة زينب الكبرى (عليها السلام) نقف إجلالاً ونقدّم اسمى تحيات الاكبار والتعظيم للسيدات العفيفات على مر التاريخ وقدواتهن المباركات السيدة مريم ابنة عمران وآمنة بنت وهب أم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين التي كانت تُسّمى (الطاهرة) في الجاهلية التي عم فيها الفساد، وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) التي كانت عابدة موّحدة في الجاهلية الوثنية وفاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين وزينب بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام) عقيلة آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللواتي يفتخر الامام المعصوم زين العابدين (عليه السلام) بالانتساب لهن ويقف فى مجلس الطاغية يزيد ويقول (أنا ابن نقيات الجيوب،

أنا ابن عديمات العيوب)، ومن سار على نهجهن من النساء المؤمنات.

ونستذكر في هذه المناسبة المؤمنات العفيفات اللواتي مضين الى ربهّن شهيدات صابرات صامدات في سجون الانظمة الطاغوتية الجائرة قديماً وحديثاً ولم يتنازلن عن شرف المبادئ السامية رغم التعذيب الوحشي فطوبى لهن وحسن مآب، واشكر الاخوة الذين وفّقوا لإحياء ذكراهن واستعادة كلماتهن والتذكير بمواقفهن ضمن فعاليات هذا اليوم الشريف.

خطاب المرحلة

(٥١٠)

المسلمون تعرّفوا على أمريكا قبل كولومبس بعدة قرون

المعروف إن كريستوفر كولومبس (١٤٥١-١٥٠٦) أول من تعرّف على أرض الولايات المتحدة الأمريكية-وليس اكتشف كما هو المتداول لأنها أرض مكتشفة ومسكونة من أهلها الأصليين- سنة ١٤٩٢ ميلادية. وحينما وطأت قدماه تلك الأرض كان يظن أنها جزر الهند الغربية التي كانت وجهته عندما تحرك من إسبانيا عن طريق الغرب ولم يدرِ أنه عالم جديد. وبعد سنوات وصلها الإيطالي أميركوفسبوشيو (١٤٥١-١٥١٢)، وعرف أن هذا عالم جديد ليس جزءاً من العالم القديم المعروف لديهم وباسمه سميت أميركا[١].

هذا هو المشهور والمعروف، ولكن انقدح في ذهني ان الحقيقة ليست كذلك وان المسلمين قد تعرفوا على الأراضي الامريكية قبل كولومبس بثلاثة قرون على الأقل وان اسمها كان أمريكا قبل ذلك.

والذي قدح هذا الاحتمال في ذهني أنني وجدت خلال مطالعتي للكتب المعجمية التي ضبطت أسماء علمائنا ان عدة علماء كان اسمهم (أميركا) قبل كولومبس بأكثر من ثلاثمائة عام فقد أورد الشيخ منتجب الدين[٢] (٥٠٤-٥٨٥

(١) المنجد في الأعلام.

(٢) من أحفاد الشيخ الصدوق الأب ووصف بأنه حسن الضبط كثير الرواية واسع الطرق عن آبائه وأقربائه وأسلافه، ووصفه أحد علماء الشافعية بأنه: شيخ ديّان من علماء علم الحديث سماعاً وضبطاً وحفظاً وجمعاً وقلَّ من يدانيه في هذه الأعصار في كثرة الجمع والسماع (راجع: أمل

هجرية) (١١١٠-١١٨٩ ميلادية) هذا الاسم في عدة مواضع من كتابه الفهرست الذي ذكر فيه العلماء والمشايخ الذين سبقوه بجيل أو جيلين أو ثلاثة أي في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

فمنهم اسمه أميركا مثل (أميركا بن أبي اللجيم) ووصفه بأنه ((الفقيه الثقة: مناظر حاذق وجه))[١] وهو يسبقه بجيلين.

ومنهم اسم أبيه مثل (السيد إسحاق بن أميركا بن كرامي الجعفري)[٢] ووصفه بأنه عالم صالح، والسيد الرضا بن أميركا وقال إنه عالم زاهد[٣].

ومنهم اسم جدّه مثل (الشيخ أحمد بن علي بن أميركا)[٤] ووصفه بأنه فاضل ورع وهو من شيوخ المؤلف.

والشيخ محمد بن أبي جعفر بن الفقيه أميركا[٥]، وآخرون غيرهم.

وهؤلاء عاشوا في القرن الحادي عشر الميلادي أي قبل كولومبس بأربعة قرون.

وهذا يعني أن هذا الاسم كان معروفاً في بلاد المسلمين وهو لفظ غير عربي حتى يمكن أن نفسّر التسمية به ولا معنى له في اللغة الفارسية أيضاً حيث

الآمل للحر العاملي: ١٩٤/٢، الرقم ٥٨٣، روضات الجنتات: ٣١٦/٤، رقم ٤٠٣، الكنى والألقاب: ٦٧٥/٢).

(١) معجم رجال الحديث: ١٤٣/٤، الرقم ١٥٤٤.

(٢) نفس المصدر: ١٩٨/٣، رقم ١١٢٧.

(٣) نفس المصدر: ٢٠٠/٨، رقم ٤٦٠٤.

(٤) نفس المصدر: ١٧٧/٢، رقم ٦٨٧.

(٥) نفس المصدر: ٢٤٦/١٥، رقم ٩٩٩٤.

تسمّى به بعض العلماء الايرانيين، فأمامنا احتمالان لتداول هذا الاسم عندنا:

١- أن يكون المسلمون قد وصلوا إلى تلك الأرض وعرفوا الاسم من أهلها الساكنين فيها[١] ولما عادوا نقلوا المعلومة إلى مجتمعهم وعلى هذا فاسم أمريكا معروف قبل وصول الإيطالي أمريكانو[٢].

٢- أن يكون الأئمة المعصومون (عليهم السلام) من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) الذين يأخذون علمهم عن جدهم النبي عن الله تعالى قد أخبروا أصحابهم بوجود أراضي في الجانب الآخر من الأرض لا يعرفونها ويفصل بيننا وبينهم بحر عظيم -وهو المحيط الأطلسي- وان اسمها أمريكا كما أخبر الإمام الصادق (عليه السلام) أن النجوم هي شموس مثل شمسنا، وأن قبل سلالتنا البشرية التي تبدأ بآدم النبي توجد الف او مليون سلالة بشرية أي الف الف ادم ، وغيرها من الحقائق العلمية التي كشفت عنها الروايات الموجودة في كتب الحديث على اختلاف في أسانيدها، والذي يقوّي هذا الاحتمال على الأول أن أكثر العلماء الذين حملوا هذا الاسم هم من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وأوردت معاجم[٣] رواة أهل السنة عدداً أقل.

وعلى أي حال فإن الخبر بعد أن عرف لدى المسلمين سواء بالطريق الأول أو الثاني واخذوا يتداولونه ومن عادة البعض ان يسمي أولاده بالأسماء الغريبة أو

---

(١) هذا يحتاج إلى نصوص أقدم من كولومبس.

(٢) ولعل اسم أمريكانو مأخوذ من اسم القارة الجديدة التي كانت مسماة بهذا الاسم كما يسمى الشخص الإيراني الذي يأتي للدراسة في النجف بالنجفي أو العراقي إذا رجع إلى أهله.

(٣) راجع مثلاً سير أعلام النبلاء والوافي بالوفيات وطبقات الشافعية الكبرى.

المأخوذة من اللغات الأخرى فانتشر هذا الاسم كما سمّى البعض عندنا (جزائر) و(باريس) و(نجف) ونحو ذلك.

قد يقال: إذن لماذا لم تصلنا رواية عن المعصومين (عليهم السلام) يذكرون فيها اسم أمريكا؟ وجوابه ببساطة: أن الشيعة عموماً تعرضوا إلى حملات إبادة وسجن ومصادرة الأموال وحرق المكتبات على مدى الأجيال مما تسبب في إضاعة الكثير من آثارهم وهذا واضح عند المطّلع على التأريخ.

فالنتيجة أن انتشار هذا الاسم في أوساط المسلمين يكشف عن معرفتهم بهذه الأرض قبل كولومبس بعدة قرون.

والسؤال: إنه إذا تعرف المسلمون على هذا العالم الجديد قبل كولومبس فلماذا لم ينقل تأريخياً أو يكون لهم حضور في تلك الأرض كالمهاجرين الأوربيين؟

والجواب: إن الأوربيين حينما وصلوا إلى هناك أبادوا أكثر أهلها الأصليين من الملونين الحمر واستوطنوا أرضهم فعرف وجودهم وتاريخهم، وهذا لم يفعله المسلمون للفارق بين هدفي الأمتين فالمسلمون يذهبون لتحرير الإنسان واحترامه وتكريمه وتعريفه بالخالق العظيم والرسالة المحمدية وليسوا محتلين يفرضون وجودهم على السكان الأصليين.

والفرق الثاني أن المسلمين لم تتواصل رحلاتهم لأن ثقافتهم الدينية تمنع من الهجرة إلى بلاد غير المسلمين إذا تسببت في نقصان في دينهم بينما توالت هجرة الأوربيين بشكل موجات بشرية هائلة.

ومع ذلك فإن بعض الوثائق التي ترجع إلى العهد الأندلسي الإسلامي

(انتهى بسقوط غرناطة عام ١٤٩٢ ميلادية) ومكتوبة باللغة العربية فيها وصف كامل لأمريكا والمسلمين فيها عثرت عليها دوقة مدينة سيدونسا وهي لويزا إيزابيل كان قد خبأها أجدادها من حكام إسبانيا في القصر الذي ورثته ونشرتها على صفحتها الإلكترونية، وتوجد دلائل أخرى من الاثار الموجودة هناك ووثائق ذكرتها بعض المدوّنات على صفحات النت لسنا بصدد عرضها هنا فلعل المسلمين الموجودين ابيدوا مع السكان الأصليين، وكانت الأحقاد الاوربية يومئذ في ذروتها

وهنا قد يتساءل البعض بأنه حتى لو ثبت أن المسلمين سبقوا في الوصول إلى الأرض الأمريكية فماذا نستفيد من ذلك في حاضرنا المتخلف المهزوم والمأزوم؟

والجواب: أن المعرفة أثمن شيء في الوجود بغض النظر عن اثارها المنظورة وأن هذه الحقيقة تبين عظمة تأثير الدين الإسلامي في نفوس أتباعه ودفعهم للرقي والازدهار والحضارة، وما تخلّف المسلمون إلا عندما تخلفوا عن دينهم وتعاليمه النبيلة السامية، فهذه الحقائق تعيد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم وتحفّزهم على العودة إلى دينهم.

خطاب المرحلة

(٥١١)

[وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ]
الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين (١)

قال الله تبارك وتعالى: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] (النور : ٥٥).

يتعرّض المؤمنون في حياتهم إلى ضغوط عديدة من قبل أعدائهم وخصومهم في الفكر والعقيدة، وهذه الضغوط قد تكون على نحو الاستهداف بالقتل والتشريد والسجن والإرهاب، وقد تكون على نحو صناعة المشاكل الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية والشبهات العقائدية، وقد تكون على نحو التجويع والحصار الاقتصادي وحرمان الإنسان من حقه في حياة حرة كريمة، وغير ذلك.

ولا يتوقف الخصوم والأعداء عن هذه الممارسات التي تأخذ أشكالاً متعددة قوية عنيفة تارة وناعمة خفية تارة أخرى؛ حتى يهيمنوا على المؤمنين

(١) الخطاب الفاطمي السنوي الذي القاه سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على عشرات الآلآف من الزوار المحتشدين في ساحة ثورة العشرين لاحياء مراسيم استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم الخميس ٣/ج١٤٣٨/٢ المصادف ٢٠١٧/٣/٢

ويتسلّطوا عليهم ويجرّدوهم من عقيدتهم وأخلاقهم ويحبطوا مشروعهم الإصلاحي ويذوّبوا هويّتهم على طريقة العولمة التي يتحدثون اليوم عنها، قال تعالى: [وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ] (البقرة:٢١٧) وقال تعالى: [وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] (البقرة:١٢٠) وهم ينطلقون في ذلك من أنانيتهم واستكبارهم وحبهم للدنيا واتباعهم للشهوات وحسداً للمؤمنين على طهارتهم وسموّهم عن الرذائل والموبقات، قال تعالى: [وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ] (البقرة:١٠٩).

ويساعد على نجاح خطط هؤلاء الأعداء الخارجيين من داخل المجتمع المسلم حمقى ومنافقون وجهلة وطلاب الدنيا وعُبّاد الشهوات.

وفي ظل هذه الضغوط يعيش المؤمنون حالة من الضيق والقلق والخوف واليأس من نجاح مشروع الهداية والإصلاح فيأتي هذا الوعد الإلهي المذكور في الآية ليطمْئنهم ويعيد إليهم الثقة بالنفس ويزرع في قلوبهم التفاؤل والأمل حتى يثبتوا على إيمانهم ويستمروا في أداء رسالتهم، ولا شك أن هذا الوعد حق لا يمكن أن يتخلف [وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً] (النساء : ١٢٢) [لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ] (الروم:٦) [إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ] (آل عمران : ٩) (الرعد:٢١).

نعم قد تطول المدة حتى يتحقق هذا الوعد الإلهي ولو في بعض مراتبه؛ لأن بناء المجتمع الصالح يحتاج إلى جهود مضنية وعمل دؤب مع صبر ومصابرة ومرابطة وإلى زمن لتتحقق شروطه وظروفه ومقوماته، فعلى المؤمنين

أن يستمروا بعملهم والقيام بمسؤولياتهم وليس عليهم توقيت النتائج أو استعجال حصولها.

والوعد الذي تشير إليه هذه الآية التي نزلت في المدينة ذكرته آيات سبق نزولها في مكة[1] كالذي تضمنه قوله تعالى: [وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ] (القصص:٥-٦) وقد كان المسلمون يومئذٍ قلة معدمين تلاحقهم قريش فتعذبهم وتحاصرهم وتصادر أموالهم وتقتلهم [وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] (الأنفال: ٢٦)، فوعد الله تعالى المؤمنين بالأمور التي ذكرتها الآية:

١- الاستخلاف في الأرض بأن تكون بأيدي المؤمنين الصالحين العاملين الإمكانيات المادية والمعنوية التي يستطيعون بها إعمار الأرض وتوفير الحياة الكريمة للبشرية جمعاء.

٢- تمكين الدين الذي ارتضاه تعالى لهم وهو الإسلام والانقياد لله تعالى: [وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً] (المائدة:٣) ويتحقق تمكين الدين بثباته واستقراره في القلوب والنفوس وعندما تكون له القيمومة والسيادة على الأنظمة والقوانين والدساتير التي وضعها البشر بقصورهم وتقصيرهم.

---

(١) كقوله تعالى: [وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] (الأنبياء: ١٠٥) وقوله تعالى: [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ] (الصافات: ١٧١-١٧٣).

٣- الحرية في الإيمان بالعقائد الحقة وممارسة العبادة الخالصة لله تعالى ونبذ الشركاء جميعاً سواء كانوا أصناماً حجرية أو بشرية أو طواغيت أو أهواء أو عصبيات أو تقاليد، ويقترن ذلك بالأمن من الخوف وزوال الضغط والإرهاب عنهم وتأثير الشبهات والضلالات عليهم.

هذا في الدنيا أما في الآخرة فينبئك الله بتحقق وعده [وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ] (الزمر:٧٤).

لكن الوعد الإلهي بتحقيق هذه الأمور لا يتم بمجرد ادعاء الإيمان أو الاكتفاء بممارسة العبادات والشعائر الظاهرية من دون أن يتحول إلى حركة فاعلة دائبة تنطلق من منهج متكامل للحياة فيجعل المرجعية للدين الحق في كل شؤون الحياة وتفاصيلها وفي كل عوالم الإنسان وسلوكه حتى في مشاعره وعواطفه وميوله فيجعل الله تعالى نصب عينيه ويجعل هدفه الوحيد تحقيق مرضاة الله تعالى وتجنب معصيته وغضبه سبحانه، لذا ذكرت الآية [منكم] أي ليس كلكم وإنما بعضكم الذي توفّرت فيه هذه الصفات.

أما من ينتسب إلى الإسلام وربما الانتماء لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وربما يقيم الصلوات ويشارك في إحياء الشعائر الدينية لكنه يظلم الناس ويتجاوز على حقوقهم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يطبق أحكام الله تعالى في القضايا والوقائع فإنه ليس مشمولاً بهذا الوعد الإلهي لأن الخطاب موجّه إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر [قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ]

(الحجرات:٤).

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه كان جالساً مع أصحابه فجاء خبر إلى أحدهم بأن امرأته قد ولدت فتغيّر وجه الرجل فسأله النبي (صلى الله عليه وآله): عما أصابه، فقال: خرجتُ والمرأة في حالة مخاض وولادة وأخبرت الآن أنها ولدت أنثى، فسأله النبي (صلى الله عليه وآله): كم سنة مضت عليك في الإسلام، قال: سبع عشرة سنة، فقال (صلى الله عليه وآله): كل هذه المدة ولم يدخل الإيمان قلبك[1].

فهذا الرجل رغم أنه من السابقين إلى الإسلام والمهاجرين الذين تحملوا الأخطار والمشاق، إلا أن هذه المشاعر القلبية منه سلبته حقيقة الإيمان وإن كان مؤمناً بحسب الظاهر.

أيها الأحبة:

إن هذا الاستخلاف والتمكين ليس من الضروري أن يكون مقترناً بالوصول إلى السلطة والحكم[2]، وإن كانت السلطة والحكم من العناصر المساعدة على الوصول إلى الهدف الأسمى أي تكون وسيلة وليست غاية وهي من مصاديق القوة التي أمر الله تعالى بإعدادها [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ] (الأنفال:٦٠).

فالملحوظ في تحقق الوعد الإلهي هو حصول النتائج التي ذكرتها الآية

---

(١) الحادثة مروية في المصادر مثل وسائل الشيعة: ١٠١/١٥ ح٢ لكن ذيلها لم نعثر عليه في حدود البحث الذي أجريناه.

(٢) بل قد تكون السلطة وبالاً على أصحابها عندما ينظرون اليها على انها غنيمة يحوزونها بجشع واستئثار.

الكريمة، فبالرغم من أن السيدة الزهراء (عليها السلام) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) كانوا في مظلومية دائمة ومستمرة وإقصاء كامل إلا أنهم كانوا القدر المتيقن من المقصودين بآية الوعد الإلهي، وقد أكد النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الحقيقة بصراحة ووضوح حينما جمع أهل بيته (عليهم السلام) قبيل وفاته وقال لهم: (أنتم المستضعفون بعدي) وهي تعني فيما تعنيه أنتم المقصودون بالوعد الإلهي للمستضعفين بالاستخلاف والتمكين ووراثة الأرض ولو على يد حفيدهم المهدي الموعود (عجل الله فرجه الشريف) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض كلماته: (ونحن على موعود من الله تعالى حيث قال عز اسمه [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)[1].

لقد كانت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على ثقة تامة بهذا الوعد الإلهي رغم أنها بحسب الظاهر كانت امرأة مستضعفة ومسلوبة الحقوق وزوجها مكبّل وقد فقدت الناصر والمعين وهي تواجه خصماً بيده السلطة مدججاً بالسلاح ومحفوفاً بالأعوان المتأهبين لفعل كل شيء بلا رادع لكنها تخاطبهم بكل شجاعة وثبات وثقة بالنفس واطمئنان بالنتائج بقولها (عليها السلام): (وأبشروا بسيف صارم يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنّى بكم وقد عميت عليكم! [أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ] (هود:٢٨))[2].

(١) نهج البلاغة، من كلمته (عليه السلام) لعمر بن الخطاب لما استشاره في الخروج إلى العراق لقتال الفرس.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١٤٠/١.

إنها ليست لغة الأسير المستضعف بل لغة الواثق بالنصر والذي يرى هزيمة خصمه عين اليقين، فتحذّرهم من سوء العاقبة والمصير.

وقد ورثت ابنتها العقيلة زينب (عليها السلام) هذه الثقة بالوعد الإلهي فقالت مخاطبة يزيد الطاغية المتفرعن المغرور بالنصر الذي توهّمه: (فكِد كيدك واسعَ سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحونَّ ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحَضُ عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي [أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ] (هود : ١٨))[1].

أيها الإخوة والأخوات:

إننا نتلمّس اليوم بوضوح جملة من علامات تحقق هذا الوعد الإلهي بإظهار الدين الذي ارتضاه على كل الأنظمة الوضعية المصطنعة وتمكين المؤمنين الصالحين من أخذ دورهم في إعمار الأرض بما ينفع البشرية كلها ويعبّد لها طريق الهداية والصلاح، ومن تلك العلامات:

١- وصول صوت أهل البيت (عليهم السلام) إلى جميع الشعوب حتى تتعرف على المبادئ الإنسانية السامية التي يريدون إقامتها مما ولّد مقبولية واسعة لهذه المدرسة المباركة لدى الشعوب وإقبالاً متزايداً على الانتماء لها.

٢- تصاعد مستوى الشجاعة والتضحية في سبيل الله وحماية المقدسات وامتلاك المبادرة والإقدام والشعور بالمسؤولية لدى المستضعفين، وقد تجلّى كل ذلك في العمليات التي تخوضها قواتنا المسلّحة بكل صنوفها وأبطال الحشد الشعبي وقوافل الدعم اللوجستي خصوصاً في معارك

(١) راجع مصادر الخطبة في كتاب الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه: ١١٢٥.

الموصل الأخيرة حيث اعترف قادة جيش أقوى دولة في العصر الحديث بأن هذه المعركة تصعب على أي جيش في العالم مع ما رافقها من النبل وسمو الأخلاق والتضحية من أجل الإنسان أي إنسان بغضّ النظر عن دينه وطائفته وقوميته.

٣- تنامي حالة الوعي واليقظة لدى الأمة وإدراك تحديات المرحلة ومتطلباتها وهذه الحالة وإن كانت في بداياتها إلا أنها تبشّر بخير بإذن الله تعالى.

٤- ظهور علامات الضعف والضمور والتفكك عند الدول المستكبرة وازدياد مشاكلها التي تعجز عن حلّها فتحاول التخلص منها بتصديرها إلى الخارج.

أيها المؤمنون:

لكي نساهم في تحقق هذا الوعد الإلهي واكتماله بظهور منقذ البشرية بقية الله في أرضه وحجته على خلقه إمامنا المهدي الموعود (أرواحنا له الفداء) فعلينا أن نبذل قصارى جهودنا في إدامة وتعزيز هذه العلامات المذكورة، وقد ذكرت آية كريمة أخرى صفات وأعمال الذين يُمكَّنُ لهم في الأرض، قال تعالى: [الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ] (الحج:٤١).

وعلينا أيضاً أن نتجنب كل ما يعرقل هذه الحركة المباركة نحو التكامل من عصيان وتمزق وتشتت وصراعات وخوض في الباطل واتباع للشهوات والأهواء وأن نعي مؤامرات الأعداء ونحذر منها وهي كثيرة وخطيرة ومعقدة لكنها لا تخفى على القيادة الرشيدة وأهل البصائر، تبدأ من نشر مظاهر الفسق والفساد وتجريد المسلمين من عناصر هويتهم العقائدية والأخلاقية، وتنتهي

بانقلاب القيم والأفكار حتى يستحي المسلم من إعلان هويته والدعوة إلى مشروعه ويتباهى بتبعيته وذوبانه في المشروع المعادي[١].

وهذا مما حذّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمته منه في الحديث المشهور (كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون هذا يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرٌ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)[٢].

إن هذه التحديات الهائلة تضاعف علينا المسؤولية، فليستمد المؤمنون من هذا الوعد الإلهي العزيمة والهمّة والقدرة غير المحدودة على مواصلة

(١) وننقل هنا نموذجاً مما يريدون فعله أنقله من قراءة وترجمة أحد الإخوة -وهو المغترب العراقي المقيم في هولندا عزيز الدفاعي- لكتاب (محو العراق: خطة متكاملة لاقتلاع عراق وزرع آخر) ووصفه الكاتب بأنه تطبيق لكتاب سابق بعنوان (فهم الشر: دروس من البوسنة) من خلال مصطلح (إبادة الشر) جاء فيه (هدم كل قيم التضامن وعلاقات الجوار والأحياء السكنية وبناء نظام الحواجز المادية والنفسية والدينية وسيطرة الارتياب والخوف من الآخر، والأخطر انقلاب المقاييس حيث يصبح المتشاطر ذكياً، والنبيل العفيف غبياً لأنه لا يشارك في الوليمة العامة والنهب، ويصبح اللص سوياً والشريف منحرفاً وغيرها من التناقضات التي تقلب منظومة القيم الأخلاقية والسياسية السوية لصالح نقيضها من خلال خطة منسقة لأعمال مختلفة تهدف إلى تدمير الأسس الأساسية للمجتمع).

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح١٢.

العمل الرسالي حتى تحقيقه بإذن الله [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] (محمد:٧) [إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً، وَنَرَاهُ قَرِيباً] (المعارج: ٦-٧).

خطاب المرحلة

(٥١٢)

(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ)[١]

(مريم:٥٩)

قال الله تبارك وتعالى (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً) (مريم:٥٩) أي جاء من بعد (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) (مريم:٥٨) أجيال غير صالحين لذا قرأت (خَلْفٌ) بالسكون اما الذريات الصالحة فتقرأ بالتحريك (خَلَفَ) كما عن المشهور.

وذكرت الآية صفتين لهم وعلامتين لانحرافهم عن خط اسلافهم الصالحين بينهما ارتباط وثيق وهما ((إضاعة الصلاة)) و ((اتباع الشهوات)) وقد ترجعان الى واحدة أي ان كلاً منهما تؤدي الى الأخرى، فقد يكون الأصل في الانحراف إضاعة الصلاة، اما الثانية وهي اتباع الشهوات فهي نتيجة للاولى لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فاذا اضاعوها فقدوا المناعة التي تحصّنهم فوقعوا فريسة تزيين الشيطان واغرائه وسقطوا في اتباع الشهوات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (لا يزال الشيطان يرعبُ من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس، فاذا ضيعّهن تجرأ عليه واوقعه في العظائم)[٢] وعن أمير

(١) القيت بتاريخ الجمعة ٢٥/ج١٤٣٨/٢ الموافق ٢١٠٧/٣/٢٤

(٢) راجع مصادر الاحاديث المذكورة هنا في ميزان الحكمة:١٠٧/٥ وما بعدها.

المؤمنين (عليهم السلام) قال: (الصلاة حصن من سطوات الشيطان) فذكر تضييع الصلاة دون غيرها من الواجبات لأنها عمود الدين وعنوان صحيفة المؤمن والعاصمة للإنسان من الانجرار نحو التسافل.

لذا ورد في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (ما بين المسلم وبين الكافر الا ان يترك الصلاة الفريضة متعمداً أو يتهاون بها فلا يصليها) لانه بترك الصلاة يبقى مكشوفاً للاعداء ـ وهم شياطين الجن والانس والشهوات واهواء النفس ـ لا يملك ما يحميه منهم فيبدأ سلوكه بالانحدار ولا يقف السقوط الى حد معين حتى يستقر في قعر جهنم، وهذا مجّرب وله أمثلة كثيرة في الواقع لا تخفى عليكم لأشخاص تركوا الصلاة اولاً ثم انحدروا و أوغلوا في الموبقات.

وعلى العكس من الانحدار فان الترقي في درجات الكمال يبدأ من هذه الصلاة وعن طريق هذه الصلاة بحسب مراتب أدائها، ففي الحديث النبوي الشريف قال (صلى الله عليه وآله): (إن الصلاة قربان المؤمن)وفي تعبير اخر (الصلاة معراج المؤمن) وفي آخر (الصلاة قربان كل تقي)

و(إضاعة الصلاة) لها مراتب عديدة، اوضحها تركها من اصلها وهي المرتبة التي جعلتها الاحاديث الشريفة المتقدمة قرينة لبعض مراتب الكفر.

وتليها حالة عدم الالتزام بتأديتها في اوقاتها المخصّصة لإدائها أي عدم الاكتراث بفواتها، وفي مجمع البيان عن أبي عبدالله (عليه السلام) في تفسير الآية قال: (اضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير ان تركوها اصلاً). وروي عنه (عليه السلام) قوله في الصلاة: (واذا لم يصلِّها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة

تقول: ضيّعتني ضيّعك الله)

وفي الكافي بسنده عن داود بن فرقد قال: (قلت لأبي عبدالله عليه السلام قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً) (النساء:١٠٣) قال (عليه السلام): (كتاباً ثابتاً وليس أن عجلت قليلاً أو أُخّرت قليلاً بالذي يضُّرك ما لم تضّيع تلك الاضاعة فان الله عز وجّل يقول لقوم (أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً) (مريم:٥٩).

وتليها حالة اتيانه بالصلاة لكن ليس على وجهها الصحيح من حيث اجزائها وشرائطها واقوالها وافعالها فلا يتم له ركوع أو سجود أو طهور أو قراءة واشباه ذلك من الصلاة التي وصفها النبي (صلى الله عليه وآله)بأنها نقر كنقر الغراب، وقال البعض بأن الآية تنطبق على أهل هذه المرتبة اكثر من المرتبتين السابقتين لان معنى ضياع الشيء تلفه و خرابه أو افتقاده بسبب سوء تدبير الذي بيده ذلك الشيء فوضعه في غير موضعه، فالإضاعة لا تصدُق الا مع التفريط بالشيء بعد وجوده اما من لا يوجد عنده الشيء اصلاً فقد لا تصدق عليه الاضاعة، فهذا الخلْف المُضّيع للصلاة ورث الصلاة من اسلافه الصالحين الا انه فرّط فيها وضّيعها ولم يعتن بها وغيَّر فيها واستهان بها فلم يحسنوا الخلافة فيها كما سيأتي ان شاء الله في رواية البخاري، ولا أرى مانعاً من دخول جميع المراتب المتقدمة في عنوان إضاعة الصلاة فأن من تركها اصلاً يصدق عليه التضييع لأنه اعطي هذه الصلاة لكنه لم يؤّدِها.

وتوجد مرتبة أخرى لإضاعة الصلاة تخفى الا عن أهل المعرفة وهي إضاعة حقيقتها وجوهرها وثمرتها وهي المعراجية الى الله تبارك وتعالى والنهي

عن الفحشاء والمنكر فهو يؤدي الصلاة في اوقاتها ويدقق في الاتيان بأجزائها وشرائطها الا انه لا يتكامل بها ولا ترتقي احواله وعلاقاته بربه بها. عن النبي (صلى الله عليه وآله): (لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر) وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (اعلم ان الصلاة حجزة الله في الأرض، فمن أحَّب أن يعلم ما ادرك من نفع صلاته، فلينظر: فان كانت حجزته عن الفواحش والمنكر فانما ادرك من نفعها بقدر ما احتجز).

وقد يؤدي الإنسان خلال عمره آلاف الصلوات[1] من دون ان تحصل له حالة الارتقاء والسمو في درجات المعرفة والكمال، روى الشيخ الصدوق بسنده عن حّماد بن عيسى ـ ويعلم اهل الاختصاص أن حّماد من ثقات الرواة عن الصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام) ـ قال: (قال لي أبوعبدالله (عليه السلام) يوماً تُحسن أن تصلّي يا حّماد؟قال: قلت: يا سيدي أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة،قال: فقال (عليه السلام) لا عليك قم فصلِّ قال فقمت بين يديه متوجهاً الى القبلة فاستفتحت الصلاة وركعت وسجدت فقال: يا حّماد لا تحسن ان تصلّي؟! ما أقبح بالرجل أن تأتي عليه ستون سنة او سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة؟!)[2] ثم قام الامام (عليه السلام) وصلى أمامه الصلاة القربانية الخاشعة فالتوبيخ لم يصدر لترك الصلاة أو عدم الالتزام بها وإنما لعدم الوصول الى حقيقتها، ولعدم تحقق الاستفادة التامة من ثمرتها.

---

(١) الصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمسة غير المستحبات ففي السنة ١٨٠٠ وفي عشر سنوات ثمانية عشر الف صلاة

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١/ح٩١٥/باب وصف الصلاة

والصفة الثانية للخلَّف غير الصالح ((اتباع الشهوات)) وهو له صور عديدة بحسب عمر الانسان وعمله وموقعه الاجتماعي والسياسي والديني وغير ذلك من المؤثرات، فالشباب يغريهم اللهو واللعب والمتعة الجنسية وهوس المودة في الملبس والمظهر الخارجي وتقليد الأجانب ولربما الانخراط في جماعات العنف والقتل والابتزاز والاختطاف.

والسياسيون تسكرهم السلطة والنفوذ والاستيلاء على المال العام وكثرة المؤيدين وتسليط الاعلام. والنساء يستهويهنَّ التجمل وإظهار الزينة حتى لغير من أحلّ الله تعالى ونصب الفخوخ للرجال. والتجار في السوق يلهثون وراء الأموال باي طريقة حصلت ولو كانت عن طريق الغش والظلم والبخس والتطفيف وغير ذلك كثير من اشكال اتباع الشهوات.

وتذكر الآية الكريمة العاقبة الوخيمة لإضاعة الصلاة واتباع الشهوات (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً) والغي مقابل الرشد الذي هو إصابة الحق قال الله تعالى: (قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة:٢٥٦) كالضلال في مقابل الهدى الذي يعني الوصول الى الغاية المقصودة ، فهؤلاء سوف يلاقون الغي، وقد اطلق لفظ الغي أي سواء في الحياة الدنيا وحين الموت وما بعده وفي الآخرة، ففي الدنيا يقعون في الجهل والضلال ويفقدون البصيرة والرشد والحكمة وفي الآخرة يلقون جزاء ذلك (وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً) (الفرقان:٦٨) لأنهم اوقعوا انفسهم في الغي والضلال فيلاقون جزاءه (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (النمل:٩٠).

لكن لا ينبغي لمن اغراه الشيطان وغلبته اهواؤه وشهواته أن ييأس من روح الله تعالى ورحمته والرجوع اليه لذا جاءت الآية التالية مباشرة لتزرع هذا

الأمل (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً) (مريم:٦٠).

والآية تبين بوضوح ظاهرة اجتماعية وسلوكاً عاماً يحصل عند غياب كل القادة العظام من الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) أو قادة الثورات الإصلاحية وهو الانقلاب على التعاليم الإلهية ووصايا الأنبياء والرسل والرجوع الى حالة الانحطاط من خلال إضاعة حقيقة الصلاة واتباع الشهوات والانخداع بالدنيا.

فلم يكن ما حصل بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله)من انقلاب بدعاً من السلوك وانما هي نسخة متكررة من الأمم السابقة، تلك الحالة التي يبدي الله تعالى آسفه عليها (يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) (يس ٣٠) وكأن هذه الآية المكية وامثالها تنبه الامة الى هذا الخطر المترقب لئلا يقعوا فيه، وليس لهم عذر في ذلك لان النبي(صلى الله عليه وآله) حذرهم منه في مناسبات عديدة كقوله (صلى الله عليه وآله): فيما رواه عنه الامام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ) (الانشقاق:١٩) قال (صلى الله عليه وآله) (لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقُذَّة بالقُذَّة ولا تخطئون طريقهم قال (عليه السلام) قالوا: اليهود والنصارى تعني يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): فمن أعني؟ لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الامامة و اخره الصلاة)[1].

روى البخاري في صحيحه عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (أنا فرطكم على

(١)- تفسير القمي:٤١٢/٢.

الحوض ليُرفعنَّ إليَّ رجالٌ منكم حتى إذا أهويتُ لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربِّ أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)

وفي نفس المصدر بسنده عن الزهري قال: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركتُ إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضُيِّعت)

ويبدو ان هذه الظاهرة متكررة في جميع الأجيال وعند كل انعطافة تاريخية ومفترق طريق يحصل عند غياب أصحاب الرسالات والمشاريع الإلهية، او عند اقبال الدنيا وتوسع خيراتها كما حصل للمسلمين الأوائل عند نجاح الفتوحات الإسلامية وهزيمة الامبراطوريتين الفارسية والرومية، أو ما حصل لساسة العراق الجدد بعد عام ٢٠٠٣، فكم من القادة العظام يتعبون ويضحون وقد يستشهدون ثم ترثهم وتخلفهم جماعات تدعي الانتساب اليهم وترث الامتيازات عنهم لكنها تضيّع مشروعهم العظيم، قال تعالى في موضع آخر (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأعراف :١٦٩)

امام هذه الحقيقة التي يكشف عنها القرآن الكريم ويؤكد تكرارها عبر الأجيال لا يحقّ للمؤمنين الرساليين ان يكتفوا بتحريك السنتهم بقول انا لله وانا اليه راجعون أو لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم ونحو ذلك بل لابد من العمل بما تقتضيه هذه الكلمات المباركة و التحرك لحث الناس على إقامة

الصلاة ووعي حقيقتها والاستفادة من آثارها المباركة في الدنيا و الآخرة وتعليمهم احكامها التفصيلية ومقدماتها وسننها وآدابها وغير ذلك وتحذّر الناس في جميع مستوياتهم وعلى اختلاف مواقعهم من الانخداع بالدنيا والاغترار بمظاهرها البرّاقة الخادعة واتباع الشهوات والتأثر باهل المعاصي.

ولكي تحقق الحركة أفضل النتائج ينبغي ان تقوم بهذه المسؤولية مؤسسة وجماعة تأخذ على عاتقها احداث هذه النهضة المباركة بأذن الله تعالى قال تعالى (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (آل عمران١٠٤) وهذه دعوة صريحة لإقامة مثل هذه المؤسسات و الجماعات لكل باب من أبواب الخير ولكل مورد من موارد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلاقامة الصلاة مؤسسة ولايتاء الزكاة مؤسسة ولتشجيع الزواج وتكثير النسل مؤسسة ولاصلاح ذات البين ورفض الطلاق مؤسسة وللعفاف مؤسسة وللتشجيع على القراءة ونشر الكتاب مؤسسة وللشعائر الدينية مؤسسة وغير ذلك كثير (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل :١٢٨).

خطاب المرحلة

(٥١٣)

مسؤوليتنا عن رعاية عوائل الشهداء وايتامهم (١)

نقل ابن شهر اشوب في كتابه (مناقب آل أبي طالب) رواية نذكرها ونمزج معها بعض الشرح للإيضاح، قال (نظر علي (عليه السلام) الى امرأة على كتفها قربة ماء) فكأنه استصعب هذه الحالة وان غيرته لم تسمح بأن يرى امرأة ضعيفة تحمل ثقلاً، (فاخذ منها القربة فحملها الى موضعها، وسألها عن حالها) أي سبب تصدّيها لهذا العمل، الا يوجد عندها رجل ليقوم بهذا العمل (فقالت: بعث علي ابن أبي طالب صاحبي - أي زوجي- الى بعض الثغور) أي بعض مناطق القتال والجهاد (فقتل، وترك عليَّ صبيانا يتامى، وليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة الى خدمة الناس) والتكسب بهذا العمل لإعالة نفسها واليتامى. (فأنصرف (عليه السلام) وبات ليلته قلقاً) لوجود مثل هذه الحالة في رعيته وهو المسؤول الأعلى عنهم وبأمره حصل ما حصل وإن كان هو الحق بعينه (فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام) وهو رئيس دولة مترامية الأطراف وأمير المؤمنين (فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال: من يحمل وزري عني يوم القيامة؟)

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) يوم ١١/رجب/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٤/٩ مع حشد المواكب الزينبية التي تحيي ذكرى وفاة العقيلة زينب (عليها السلام) وزيارة النصف من رجب عند الامام الحسين(عليه السلام) وتجتمع في النجف الاشرف وتنطلق مشياً على الاقدام الى كربلاء.

وليس في صحيفة علي (عليه السلام) أي وزر لأنه من أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهو عليه السلام مع الحق والحق معه ولكنه يعتبر نفسه مسؤولاً عن هذا الواقع ويّحب ان يعتذر الى ربه بهذا التواضع وحمل المواد الغذائية وهو شيخ تجاوز الستين من العمر قد أثقلته الهموم والمصائب (فأتى وقرع الباب، فقالت: من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد) لله تعالى وهي اشرف الاوصاف (الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئاً للصبيان) ففتحت الباب وهي لا تشك أنه عبد مملوك لانها لا تتصور أن سيداً وجيهاً يمكن ان يقوم بهذا الفعل فضلاً عن كونه أمير المؤمنين وهي لا تعرفه (فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب. فدخل وقال: إني أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين ان تعجنين وتخبزين وبين أن تعللين الصبيان - أي تلعبينهم وتلهيهم – لأخبز أنا، فقالت: انا بالخبز أبصر وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان، فعللهم حتى أفرغ من الخبز. قال: فعمدت الى الدقيق فعجنته، وعمد علي (عليه السلام) إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل مما أمر في أمرك) فهو عليه السلام يطلب منهم براءة الذمة مما سبب لهم (فلما اختمر العجين فقالت: يا عبد الله أسجر التنور فبادر لسجره فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الأرامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه فقالت - لأم الايتام – ويحكِ هذا أمير المؤمنين، فقال: فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال: بل واحيائي منكِ يا أمة

الله فيما قصّرتُ في أمركِ.)[١]

وبقي هاجس وجود الأرامل والايتام وشعوره بمسؤولية رعايتهم والشفقة عليهم واللوعة مما حلَّ بهم يؤرق علياً الى آخر حياته فكان في وصيته عند استشهاده لولديه الحسنين (عليهما السلام) (الله الله في الايتام فلا تغبَّوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم)[٢].

وواصل الامام الحسن (عليه السلام) تحمّل هذه المسؤولية من بعد أبيه وكان من شروطه على معاوية أن يوفر له مبلغاً ضخماً حدده له كل عام ليكفل به عوائل الشهداء مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

ثم ورثت العقيلة زينب (عليها السلام) هذا الشعور النبيل فبالرغم من عظم المصاب الذي حلّ بها من قتل أخيها الامام الحسين (عليه السلام) وبقية اخوتها واحبّتها وويلات السبي والأسر وشماتة الاعداء وقطع المسافات الطويلة، الا ان كل ذلك لم يشغلها عن مسؤوليتها الجسيمة في رعاية عوائل الشهداء وحفظ الايتام ومداراتهم، وقد تجاوز عددهم الثمانين، وهذا المعنى ضمّنه المرحوم السيد رضا الهندي في قوله:

لم تلهو عن جمع العيال وحفظهم بفراق اخوتها وفقد بنيها

من هذه الذكرى المشتركة لأمير المؤمنين وابنته العقيلة زينب (عليهما السلام) نريد أن نثير الانتباه الى هذه القضية الخطيرة فقد كثرت في مجتمعاتنا الأرامل والايتام وعوائل الشهداء بسبب الارهاب وظلم الطواغيت ومؤامرات

(١) بحار الانوار:٥٢/٤١ عن مناقب آل أبي طالب: ١١٤/٢ فصل في حلمه وشفقته

(٢) بحار الانوار: ١٣/٧٥

المستكبرين وقد تصدى أبناؤنا لكل هؤلاء الأعداء فضحّوا بأرواحهم من أجل حفظ كرامتنا وعزتنا ومقدساتنا ((والجود بالنفس اقصى غاية الجود)) الا انهم خلّفوا أعزة مفجوعين بحاجة الى الرعاية، فعلينا جميعاً ان نتأسى بأمير المؤمنين (عليه السلام) ونستشعر كلماته وزفراته وانّاته في الرواية المتقدمة ونتصدى لهذه المسؤولية.

ولا يكفي ان نواسي ذوي الشهيد بالمصاب ونقف معهم في المناسبة ونقدّم له دعماً مالياً ومعنوياً بل علينا مواصلة هذه الرعاية من جميع الجهات الى ان يبلغ الايتام سن الرشد ويستقلوا بأنفسهم فنتابع سيرتهم واخلاقهم ونحل مشاكلهم ونسعى بقضاء حوائجهم ونثقفهم ونعلمهم ونجعلهم من المتفوقين على اقرانهم، ففي الروايات أن أصحاب أمير المؤمنين كانوا يتمنون ان يكونوا أيتاماً ليحظوا بما حظي به هؤلاء الايتام من رعايته الكريمة.

ولا شك ان هذا عمل ضخم واسع يحتاج الى انشاء مؤسسات تقوم به في جميع المدن ولا تكفي فيه الجهود الفردية، وان المسؤولية تتعاظم على الشخص كلما ازداد موقعه نفوذاً وتأثيراً سواء على المستوى الديني او السياسي او الاجتماعي.

يروي[1] العالم الجليل السيد هبة الدين الشهرستاني الذي كان ملازماً للمرحوم الشيخ محمد تقي الشيرازي وهو المرجع صاحب الفتوى التي أعطت الضوء الأخضر لجهاد الإنكليز في ثورة العشرين وكان مقره في كربلاء ويقيم صلاة الجماعة في الحرم الحسيني الشريف، وفي احد الايام خرج الى الصلاة

(١) تجارب العلماء في عصر الغيبة، ترجمة واعداد كمال السيد: ٣٩٠/٢

كعادته فرأى عدة نعوش يطاف بها فسأل عنها فقيل له انهم شهداء في الجهاد، فلما سمع ذلك اعتراه همّ شديد وقلق ولم يخرج الى الصلاة ثم سقط مريضاً في الفراش وتدهورت صحته سريعاً حتى مات (رضوان الله تعالى عليه) لأنه أحس بنفس آلام أمير المؤمنين وقلقه المذكور في الرواية المتقدمة.

إن هؤلاء الايتام اذا لم نحسن رعايتهم وتربيتهم وتعويضهم فانهم سيمتلئون احتقاناً ونقّمة على المجتمع ويكونون قنبلة موقوته يمكن تفجيرها في أي وقت ويصبحون لقمة سائغة للإرهابين والمنافقين والاعداء ليجنّدونهم في عصابات تحرق الأخضر واليابس.

فلنستشعر هذه المسؤولية الدينية والأخلاقية والوطنية والاجتماعية والله المستعان.

خطاب المرحلة

(٥١٤)

من مظاهر الكرم الالهي
دعاء (اللهم لقنّي حجتي يوم القاك) (١)

من الاذكار المصاحبة لأفعال الوضوء الدعاء عند المضمضة (اللهم لقِّني حجتي يوم القاك) أي اللهم علّمني وعرفّني بالحجة التي انتفع بها وادافع بها عن نفسي يوم القيامة حين القاك وحين اقف للحساب على كل ما صدر مني في حياتي، والحاكم المطلق يومئذٍ هو الله تبارك وتعالى (مالك يوم الدين)، فالله تعالى يعلمنا أن نسأله تزويدنا بالحجج والاعذار والأدلة التي نقدّمها بين يديه تبارك وتعالى لنتخلص من التبعات والاوزار التي جنيناها على أنفسنا.

إنه مظهر من مظاهر الرحمة والكرم الإلهي، فأيُّ قاضٍ وأيُّ خصم يعلّم خصمه الجاني الظالم ما يخلصّه من صاحب الحق، واذكر لكم بعض ما علمنا الله تعالى من هذه الحجج.

منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)(٢) (الانفطار:٦)، ففي الوقت الذي يعاتب الانسان بما هو انسان عاقل مدرك قد أختاره الله تعالى

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الفضلاء وطلبة الحوزة العلمية يوم ١٥/ج١٤٣٨/٢ الموافق ٢٠١٧/٣/١٤

(٢) سيأتي خطاب مفصل في تفسير هذه الآية إن شاء الله تعالى.

لخلافته وأكرمه وفضّله على كثير ممن خلق وأغدق عليه ما لا يعدُّ ولا يحصى من النعم، ويسأله ما الذي دعاك أيها الانسان الى العصيان والتمرد وتجاوز الحدود، وما الذي اغراك بمخالفة ما أمرك به ربّك الذي توّلى تربيتك ورعايتك وصنعك بأحسن تقويم، في نفس الوقت يعلّمه العذر لأنه تعالى يعلم ان الانسان لا يملك حجة يدافع بها عن نفسه وهو في حالة ذهول وخوف فعلمه الجواب الذي يعتذر به بان يطلق على نفسه سبحان وصف (الكريم) ليجيب الانسان على الفور (غرّني كرمك يا الهي) وسترك المرخى عليَّ وحلمك الطويل عني وعدم مؤاخذتي، ولو كانت العقوبة تأتي مباشرةً لارتدع الناس، فالله تعالى يعلم أن العبد لا عذر له ولا حجة (فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) (الأنعام:١٤٩) وفي دعاء امير المؤمنين (عليه السلام) المعروف بدعاء كميل (فَلَكَ اَلْحُجَّةُ عَلي فـي جَميعِ ذلِكَ وَلا حُجَّةَ لي فيما جَرى عَلَيَّ فيهِ قَضاؤُكَ وَاَلْزَمَني حُكْمُكَ وَبَلاؤُكَ)[1].

(ومنها) ما في دعاء الامام السجاد (عليه السلام) المعروف بدعاء أبي حمزة بقوله (إلهي ان ادخلتني الجنة ففيه سرور نبيك(صلى الله عليه وآله) وان أدخلتني النار ففيه سرور عدوّك، وانا اعلم ان سرور نبيك (صلى الله عليه وآله) أحبُّ اليك من سرور عدوّك) لاحظ كيف يعلّمك ماذا تقول بين يدي الله تعالى لتشملك الرحمة الإلهية لان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة، فإنني يا الهي وان كنت مثقلاً باوزاري وذنوبي التي احتطبتها على ظهري الا انني محسوب على نبيك (صلى الله عليه وآله) لأنني مسلم وموحّد فان أدخلتني النار سيشمت بي الكافر والمشرك ويقولان ما فرقك عنا وماذا نفعك اسلامك وتوحيدك الذي كنت تدعونا اليه وأنت معنا في النار

(١) مفاتيح الجنان.

وان الله تعالى لا يرضى ان يسبّب الحرج والذلة والاهانة لعبد آمن به.

(ومنها) البيتان اللذان روي ان أمير المؤمنين (عليه السلام) كتبهما على كفن سلمان الفارسي عند وفاته في المدائن من المدينة المنورة وهما:

وفدتُ على الكريم بغير زاد ... من الحسنات والقلب السليم

فحمل الزاد اقبح كل شيء ... اذا كان الوفود على الكريمِ

فهذا هو ما تقدمه بين يدي الله تعالى الاعتراف بتضييع العمر بتوافه الأمور والالتهاء بشواغل الدنيا الفانية، حتى وهو في عبادته تراه لاهياً عابثاً مشغول البال وربما غير مخلص النية، ولم تتزود بما ينفعك ودلَّك عليه الله تبارك وتعالى (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) (البقرة:١٩٧).

عجزك عن تقديم أي شيء سوى حسن ظنّك بالله تعالى وانه كريم ويقبح أصطحاب الزاد عند النزول ضيفاً على الكريم، (اِلهى، ها اَنَا اَتَوَسَّلُ اِلَيْكَ بِفَقْري اِلَيْكَ، وَكَيْفَ اَتَوَسَّلُ اِلَيْكَ بِما هُوَ مَحالٌ اَنْ يَصِلَ اِلَيْكَ)[1].

وورد في الروايات: ان الانسان يحاسب يوم القيامة فتترّجح سيئاته ويؤمر به الى جهنم فيسوقه الملائكة وهو لا يقدر ان يدفع عن نفسه لكنه يلتفت الى وراءه حيث يجري الحساب فينادى لماذا تلتفت فيقول ربي اني كنت احسن الظن بك ان ترحمني وتجيرني من عذابك فيقول الله تعالى للملائكة انفذوا حسن ظنه بي ولا ترموه في النار وروي في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) (رأيت رجلاً من أمتي على الصراط يرتعد كما ترتعد السعفة في يوم ريح

(١) من دعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله فسكّن رعدته)[١].

بأمثال هذه الحجج تستدرّ عطف ورحمة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) فانهم مظاهر رحمة الله تعالى وكرمه، روي ان النبي (صلى الله عليه وآله) لما دخل مكة فاتحاً منتصراً، ومعه جيش ضخم، ومشركوا قريش اذلاء مهزومون قد طأطأوا رؤوسهم خجلاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث عذبّوه وشرّدوه واتباعه وحاربوه وقتلوا أعزّته وكان (صلى الله عليه وآله) مالكاً لاعناقهم ومقتدراً على فعل ما يشاء بهم، ولو حكم عليهم بالاعدام لكان حكمه حقاً وعدلاً بجرائمهم الكبيرة والكثيرة، فسألهم: ما تظنون انني فاعل بكم؟ قالوا: اخ كريم وابن عم، فليس لهم شفيع عنده الا كرمه وانه وصول للرحم فقال (صلى الله عليه وآله): اذهبوا فانتم الطلقاء فعفا عنهم وأعاد اليهم مراكزهم التي كانوا فيها.

ويجب الالتفات اكيداً الى ان حسن الظن يجب ان يكون تأثيره ايجابياً بمعنى زرع الأمل والاندفاع في العمل وتجاوز الإحباط واليأس، وليس سلبياً بأن يكون سبباً للتمادي في العصيان والوقوع في السيئات نعوذ بالله تعالى.

بهذه المعاني نحبّب الله تعالى الى الناس حتى يتعلقوا به تبارك وتعالى وهذا من أحبّ الاعمال الى الله تعالى، وان اثارة هذه المعاني تدعونا الى الاتصاف بها والعمل بموجبها تأسياً بالله تعالى (وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ) (النحل:٦٠) وآخذ بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين:٢٦).

(١) الامالي للصدوق: ٣٠٢/ح ٣٤٢.

خصوصاً نحن الحوزة العلمية وأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، بأن نتحلى بكرم الاخلاق وسمو النفس حتى مع الخصم المتعدي نعّلمه ما يحتج به علينا ويعتذر به الينا ولاينال ذلك الا بلطف الله تعالى وفضله.

خطاب المرحلة

(٥١٥)

ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويّها بلا تردد[١]

روى جابر قال: (رجعت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مهاجرة البحر) وهم المسلمون الذين أمرهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالهجرة الى الحبشة تخلصاً من تعذيب قريش وملاحقتهم برئاسة جعفر بن أبي طالب ومكثوا هناك أكثر من عشر سنوات وعادوا في السنة السابعة من الهجرة الى المدينة (قال: (الا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟) قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس، مرّت بنا عجوز من عجائز رهابينهم - أي رجال الدين المسيحيين - تحمل على رأسها قلّة من ماء، فمرّت بفتى منهم) وهو طائش ومغرور بشبابه وقوته قد أسكره الشباب والقدرة ونسي قدرة الله عليه، وبدل ان يشكر الله تعالى على هذه النعم فانه يستعملها في المعصية والظلم وهكذا يغتر الكثير بقوتهم وقدرتهم ويظهرونها على ضعاف الناس ومن لا حول لهم ولا قوة (فجعل احدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرَّت على ركبتيها، فانكسرت قُلّتها، فلما ارتفعت، التفتت اليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَر! - يوم القيامة - اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً) فتأثر النبي (صلى الله عليه وآله) ورقّ

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الطلبة والشباب العاملين في المنظمات الإنسانية يوم ١٧/رجب/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٤/١٥

لحال العجوز وهي ليست على دينه وغضب من فعل الشاب الظالم (قال: يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (صَدَقَت صَدَقَت، كيف يُقدِّس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم)[١] .

والحديث مروي في كتبنا عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويِّها غير متعتع)[٢].

فاذا أرادت الأمة أن تحيا كريمة عزيزة قوية مهابة فلابد ان تنتصف للمظلوم وتأخذ بحقه من الظالم، ولكي تصل الأمة الى هذا المستوى لابد ان تكون القوانين السائدة عادلة منصفة والجهة التي تشرّعها خبيرة تراعي المصالح العليا للعباد والبلاد وتعمل ضمن الشريعة الإلهية، وأن تكون السلطة التنفيذية مهنية مخلصة نزيهة كفوءة يكون همها وهدفها خدمة الانسان وسعادته وكرامته.

وأن تكون السلطة القضائية حافظة للحقوق العامة والخاصة لا تفرط فيها تحت ضغط التهديد او الترغيب او الميل او الهوى او المجاملة والمداهنة والصفقات المتبادلة ولا غير ذلك.

وان يكون الاعلام بصيراً دقيقاً متابعاً يرشّد العمل ويشخص الخلل ويثني على الاحسان، فكم من قضية إنسانية او مظلومية او فساد غضّ المسؤولون الطرف عنه وعقدوا الصفقات لتقاسم الكعكة لكن الاعلام لما فضحهم اضطروا لأنصاف المظلوم وتقويم الاعوجاج بمقدار ما.

---

(١) سنن ابن ماجة: ١٨٦/٤، كتاب الفتن باب ٢٠ ح ٤٠١٠ ، ٤٠١١ ،٤٠١٢.

(٢) وسائل الشيعة: ١٢٠/١٦ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب وجوبهما، ح٩.

وقبل هذا وذاك لابد ان تسود المجتمع ثقافة نصرة المظلوم والضرب على يد الظالم لتشكل هذه الثقافة حصانة من الانحراف ولان السلطات المذكورة نتاج هذا المجتمع وثقافتها وسلوكها منه، وأهم قنوات هذه الثقافة والمعرفة: الدين الذي هو منظومة من العقائد والأخلاق والاحكام والسنن التي تعصم الانسان من الوقوع في الخطأ والخطيئة والضلالة والانحراف والظلم.

ولا نقصد بالدين مجرد الشكليات الظاهرية بل حقيقته وجوهره الذي يظهر على شكل سلوك عفيف وقلب سليم ونظرة بصيرة وحكيمة، والا فان كثيراً من الموصوفين بالتدين الظاهري على مستوى المظاهر وإقامة الشعائر الدينية الا انه في سلوكه ابعد ما يكون عن الدين، سواء في علاقته مع أهله او في عشيرته او في وظيفته او في عمله او علاقاته وغير ذلك، ولا يكون محضره خيراً ولا يأمر بمعروف ولا ينهي عن منكر بل يجامل ويداهن على حساب الحق.

روى صاحب كتاب المناقب انه (رجع علي عليه السلام الى داره في وقت القيظ – والصيف حار شديد الحر في الكوفة والامام عليه السلام شيخ تجاوز الستين من العمر وقد أثقلته الهموم والمسؤولية – فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى علي وحلف ليضربني، فقال: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم اذهب معك إن شاء الله، فقالت: يشتد غضبه وحرده علي، فطأطأ رأسه – وكأنه يفكّر في إيجاد سعة ومخرج لنفسه – ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع – فلا مجال للصبر على الظلم الا بالسعي لإزالته – اين منزلك؟ فمضى الى بابه فوقف فقال: السلام عليكم، فخرج شاب)

وهو لا يعرف علياً وتعجب من مثل هذا الشاب يسكن الكوفة ولا يعرف علياً ويعني ذلك انه لم يصل خلف علي ولا استمع الى شيء من خطبه ولا خرج تحت امرته للجهاد (فقال علي عليه السلام: يا عبدالله اتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها) وبدل ان يقبل النصيحة ويشكر الناصح على سعيه في الإصلاح استكبر وطغى (فقال الفتى: وما أنت وذاك؟) فأنكر تدخل أمير المؤمنين وكأنه لا يعرف وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقابله بالتهديد (والله لأحرقنها لكلامك) وتمادى في غيّه وزاد من تهديداته (فقال أمير المؤمنين عليه السلام:) وهو مغضب وقد استّل سيف (آمرك بالمعروف وانهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟ قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين) وهنا عرف الشاب ان المتكلم هو أمير المؤمنين ورئيس الدولة فخاف من عقوبته (فسقط الرجل في يديه فقال: يا أمير المؤمنين أقلني - في - عثرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني) ومثل هذا كثيرون يخافون من العقوبات الدنيوية المعّجلة ولا يتقون الله تعالى في أفعالهم ولا يخشونه (فأغمد علي عليه السلام سيفه) ثم توجّه الى المرأة وأمرها بحسن التصرف والصبر وعدم استفزاز الرجل (فقال: يا أمة الله ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك الى مثل هذا وشبهه.)[1]

فتلاحظ ان امير المؤمنين (عليه السلام) استحضر نفس كلمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذا الامام الصادق (عليه السلام) في حديثه السابق.

(١) بحار الانوار: ٥٧/٤١ ح٧ عن مناقب آل أبي طالب: ١٠٦/٢ فصل: السابقة بالتواضع .

خطاب المرحلة

(٥١٦)

(وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) إنبعاث الحياة المعنوية(١)

قال الله تبارك وتعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج:٥)

صورة طبيعية محسوسة للإنسان تكرّر ذكرها في القرآن الكريم، وهي واحدة من الآيات الإلهية الدالة على قدرة الله تعالى ككثير من الآيات الأخرى التي لا تعدّ ولا تحصى، ولكن عامة الناس يغفلون عنها ولا تمثّل لهم شيئاً ملفتاً للنظر او ابداعاً يحفزهم على التأمل والتفكير بسبب طول الفتهم معها وتكرّرها عليهم في حياتهم، والشيء اذا أصبح مألوفاً فقد بريق اعجازه وابهاره لدى عامة الناس الا من اعطاه الله البصيرة والفهم.

وهذه واحدة من تلك الآيات حيث ترى الأرض قاحلة جرداء لا حياة على ظاهرها فينزل الله تعالى عليها الماء فتتحرك فيها الحياة وتنبت انواعاً من الأشجار والنباتات المختلفة في الاشكال والاثمار والفوائد، فمن الذي وهبها الحياة وهيأها لهذا العطاء غير الله تعالى.

ومثلها قوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ

(١) القيت يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ المصادف ٢٠١٧/٥/١٩ بمناسبة النصف من شعبان واستقبال شهر رمضان

بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) (السجدة:٢٧) والجرز: الأرض التي لا نبات فيها من الأصل، وغيرها من الآيات التي سنذكر بعضها وهي تركز على هذا المشهد لانه محسوس ومدرك بالوجدان ولا يصعب على المتلقي فهمه، وينتقل ذهنه بسهولة الى الغرض من التذكير بهذه الآية الإلهية لأخذ الدروس والعبر، كما تضرب الأمثال لتوضيح مقصود المتكلم، قال تعالى (وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (إبراهيم:٢٥) وقال تعالى (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنكبوت:٤٣) وقال تعالى (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر:٢١).

وسيق هذا المشهد الطبيعي مثالاً لإيصال اكثر من معنى ظاهري وباطني.

الأول/ معنى ظاهري مصرّح به في الآيات القرآنية وهو جواب الكفار والملحدين والمنكرين للمعاد الذين يرفضون الايمان ببعث الانسان من قبره وتعرضه للحساب على اعماله ويعتبرون ذلك مستحيلاً، وقد حكى القران الكريم جملة من تشكيكاتهم، قال تعالى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (يس:٧٨-٧٩) وقال تعالى (وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً) (مريم:٦٦-٦٧)

ويصورون للعامة ان ما يذكره الأنبياء أوهام وخرافات فيحرضون الغوغاء ضدّهم قال تعالى حاكياً مقالتهم (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا

نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) (المؤمنون:٣٥- ٣٨) .

بمثل هذا الصخب والتضليل واجهوا دعوات الأنبياء (عليهم السلام) فيأتي الله تعالى بهذا المثال لتقريب الجواب والقاء الحجة عليهم ضمن عدة حجج لاثبات المعاد ولم تقتصر على هذه في حوار عقائدي طويل استغرق آيات كثيرة خصوصاً في القرآن المكي، قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فصلت:٣٩).

وقال تعالى (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) (فاطر:٩)

وقال تعالى (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الروم:٥٠)

وقال تعالى (فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأعراف:٥٧)

وفحوى هذه الحجة: انه اذا جاز احياء الأرض الميته بإخراج النبات منها بعد سقيها الماء، جاز احياء الأجساد الميتة بقدرة الله تعالى، لان حكم الامثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد فكما الأرض الميتة توضع فيها النواة او البذرة التي فيها حقيقة النبات وشفرته الحياتية، وتسقى بماء انزله الله تعالى من السماء، كذلك الابدان الميتة المتأكلة يرسل اليها حقيقة الحياة المتمثلة بالروح ويسقيها بماء الرحمة واللطف والعدالة ليعيد اليها الحياة.

وفي كلتا الحالتين فان البدن مادة مضافة لأصل الحقيقة ومهما بليت

وتلا شت فأنه يمكن تجميعها وإعادة تشكيلها، كما لو بردت قطعة من الحديد وتحولّت الى ذرات متناثرة فانه من السهل تجميعها من جديد بواسطة قطعة مغناطيس فلماذا يستكثرون ذلك على الخالق العظيم، لهذا كان الرد في بعض الآيات بسيطاً وواضحاً ومخجلاً للمنكر كقوله تعالى فيما نقلناه من سورة يس آنفا (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) فهو لم يكن الا كروموسومات في حيمن وبيضة الوالدين واكتسب مادة من غيره ليصبح هذا المخلوق العظيم.

ويلاحظ أن نسبة الحياة الى الأرض مجازاً والا فانها تنسب الى النبات حقيقة كقولنا جرى الميزاب ونعني الماء النازل منه بعلاقة الحالّ والمحل.

على ان احياء الأموات وبعثهم من القبور اقوى ملاكاً واشد حاجة لإقامة العدل ومكافأة المحسن ومعاقبة المسيء وإنصاف المظلوم من الظالم وإعادة الحقوق الى أهلها، اما تزيين الأرض بأنواع النباتات فانه فضل وكرم وإحسان من الله تعالى.

الثاني: معنى خفي يلتفت اليه أهل المعرفة وهو ضرب المثال للنفس الامارة بالسوء التي غلبت عليها الذنوب، وللقلب الذي أماتته الشهوات وران عليه صدأ الغفلة والمعاصي (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين:١٤) فانها كالإرض الميتة القاحلة الجرداء ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) (ومن قلّ ورعه مات قلبه)[1] وفي دعاء للإمام السجاد (عليه السلام) (وأمات قلبي عظيم جنايتي)، فاذا سقاها الله تعالى بنور المعرفة والبصيرة وامطر عليها ماء الرحمة واللطف انبعثت فيها حياة الايمان وانجذبت الى عالم المعنى واستيقظت

(١) نهج البلاغة: من قصار الكلمات، رقم ٣٤٩.

من غفلتها (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) فتدفقت منها الآثار الصالحة على الجوارح وشملت بركاتها الآخرين.

ورمزية الأرض للنفس والماء للمعرفة تشبيه معروف لدى أهل المعنى، ولذا حملنا في بعض خطاباتنا[1] مضمون الخبر الشريف عن عصر الظهور بأن (الأرض تخرج كنوزها وانها ليست من الذهب أو الفضة)[2] على هذا المعنى أي ان النفوس تطهر وتزكو حتى تبرز معادنها العلوية الأصيلة.

وهذه الرمزية لها شواهدها في القران الكريم كقوله تعالى (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (عبس:٢٤) حيث فسّرتها الروايات بالعلم والمعرفة ممن يأخذها[3] وهكذا بقية الآيات.

وهذا المعنى واضح الانطباق على المثل المذكور فعندما تقرأ قصة توبة بشر الحافي على يد الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) تستحضر هذه الصورة القرآنية بوضوح حيث تجد قلب بشر ونفسه كأرض قاحلة خالية من الحياة المعنوية لانها مهملة متروكة فعبثت بها العاديات فانغمس صاحبها في المعاصي

---

(١) خطاب المرحلة: ٢٩٠/٧ بعنوان (كونوا من الكنوز التي يكشف عنها الامام (عليه السلام).

(٢) بحار الانوار ج٥٢/ح ٨٣/ ص ٣٤٤ (قال الامام الصادق (عليه السلام): إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور ، وأمنت به السبل ، وأخرجت الارض بركاتها ، ورد كل حق إلى أهله ، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الاسلام ، ويعترفوا بالايمان ، أما سمعت الله سبحانه يقول : (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها و إليه يرجعون) (آل عمران:٨٣) وحكم بين الناس بحكم داود ، وحكم محمد صلى الله عليه وآله فحينئذ تظهر الارض كنوزها وتبدي بركاتها ، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعا لصدقته ولا لبره ، لشمول الغنى جميع المؤمنين).

(٣) راجع الروايات في تفسير البرهان: ١٠٧/١٠.

والملاهي والفجور، ولكن الغارس الماهر عرف انها أرض صالحة للزراعة وانبعاث الحياة فيها، فلما وضع البذرة الطيبة فيها بقوله(لو كان سيدكِ عبداً لاستحيا من مولاه) وسقاها بألطافه المعنوية دبّت الحياة في تلك الأرض الهامدة وانقلب بشر اللاهي العابث العاكف على المعاصي المغتّر بالدنيا الميّت معنوياً الى بشر العارف البصير الزاهد في هذه الدنيا الزائفة، الحي اليقظ بالمعارف الإلهية.

وعلى العكس من هذا فان قلب البعض يكون (كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) (البقرة:٧٤) فلا ينبت فيها زرع، بحيث ان نفس الآيات المباركات تنزل على الأول فيزداد ايماناً وتسليماً وتنزل على الثاني فيزداد عتّواً واستكباراً (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً) (الإسراء:٨٢).

وضرب الله تعالى لهذين بنفس مثال الارض فوصف الاول (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة:٢٦٥) اما الثاني (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (البقرة:٢٦٤) والصفوان: الحجر الاملس، والوابل: المطر عظيم القطر، والطل: المطر صغير القطر، والجنة: البستان، والربوة: المكان المرتفع يكون شجره انضر وثمره اكثر.

هذه الانبعاثة للحياة المعنوية هي وظيفتنا في عصر الانتظار والترقب بأن نجعل أنفسنا ارضاً صالحة للحياة عندما تتلقى النبتة الطيبة وينزل الله تعالى عليها

ماء الرحمة، فاذا تحققت فانها الفرج الحقيقي وانفتاح القلب والنفس على الامام المهدي الموعود صلوات الله وسلامه عليه، فكما ان الأرض لها ربيع تهتز فيه وتربو كذلك القلوب، من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) (وتعلموا القرآن فأنه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فأنه ربيع القلوب)[1] ومن كلام له (عليه السلام) (وانما ذلك ـ أي الموت والحياة ـ بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء)[2].

وبين أيدينا شهر رمضان وهو من أعظم المناسبات لإحياء القلوب وإزالة ما ران عليها بسبب الغفلة والمعاصي وهو الربيع الذي تزدهر فيه الحياة لكل الاعمال الصالحة، وقد منَّ الله تعالى به على عباده ليتعرضوا فيه الى موجبات رحمته ونفحاته القدسية.

وللكلام تفصيل في أسباب موت القلوب وحياتها نسأل الله تعالى التوفيق لبيانها.

(١) نهج البلاغة، خطبة ١١٠

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٣٣

خطاب المرحلة

(٥١٧)

أهمية حفظ النظام الاجتماعي العام ودور الفقيه فيه

يكثر الفقهاء من ذكر عنوان (حفظ النظام الاجتماعي العام) ويستدلون به على الاحكام العامة. وهذا العنوان لم يرد في الروايات الشريفة وإنما عبَّر به الفقهاء كعنوان جامع لمجموع المصالح العامة والمؤسسات القائمة لحفظها التي اهتم بها الشارع المقدس لان فيها تنظيم أمور الناس وصلاح حياتهم وإعمار البلد وبسط الامن والاستقرار والازدهار فيه.

وهذا الاهتمام واضح في روايات كثيرة وفي أبواب متعددة ككتاب الأراضي والمزارعة والمكاسب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحكام المشتركات كالماء والثروات الطبيعية والطرق العامة والاراضي وغير ذلك، لكن الفقهاء لم يحرّروا مفاد هذه الروايات في قوانين وأنظمة ونظريات في السياسة والاقتصاد والاجتماع وإدارة الدولة ونحو ذلك، وانما دونوها كمسائل فقهية منتشرة في الكتب الفقهية لكن أساس الانطلاق لتحرير هذه المسائل مرتكز في اذهان الفقهاء وهو ما أسموه بحفظ النظام الاجتماعي العام، ونحن نأمل من هذا الجيل الواعي أن يحرّر هذه النظم الإسلامية بتجميع وتنقيح تلك المسائل المتفرقة.

وهذا الدليل كدليل حفظ كرامة الانسان ودليل التوحيد من الأدلة الحاكمة على سائر الأدلة كالدستور الذي يهيمن على سائر القوانين فلا يسمح

لسّن أي قانون يخالف الدستور، مثلاً لو توقف انشاء مشروع ضروري لحياة الناس كطريق عام على استملاك بعض العقارات الخاصة ويرفض أصحابها البيع، فيحكم الفقيه بتملك هذه العقارات للدولة رغماً على أصحابها ويسلب منهم حق الاختصاص ويسلّم ثمن البيع المناسب لهم، وليس لهم الامتناع باعتبار العقار ملكاً شخصياً لهم ولهم حق التصرف فيه، ولذا كان أول خطوة قام بها أمير المؤمنين (عليه السلام) عند توليه الخلافة مصادرة كل الأموال والأراضي التي اقطعها عثمان لأقربائه وبعض المتنفذين بغير حق، وهي من الأموال العامة التي لا يحق لاحد الاستئثار بها وانما تملك بالاستصلاح والاعمار.

إن وجود هذا المبدأ دليل على ان الإسلام دين دولة وكرامة وعدالة ودين إعمار للحياة وبناء المجتمع السعيد المطمئن والبلد المزدهر وليس دين انزواء وتقوقع، ولذا فان احكامه تؤمن كل أسباب إقامة الدولة الكريمة والانسان الحر الصالح، قال تعالى (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود:٦١) وإزالة كل المعّوقات التي تمنع تحقق ذلك، وقال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء:٧٠)، ولذا أيضاً كان من أكبر المحرمات في الشريعة الاخلال بالنظام الاجتماعي العام وإحداث الفوضى وتخريب مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية والتسبب في قلق الناس ورعبهم وفقدان الأمن والاستقرار، لأن في ذلك عدواناً على إرادة الشارع المقدس.

وقد كان الائمة (عليهم السلام) يثقفون اتباعهم على التفريق بين الدولة والسلطة فأن رفض السلطة الظالمة الجائرة ومعارضتها وعدم الاعتراف بشرعيتها لا يلزم منه الاعتداء على مؤسسات الدولة التي تقدّم الخدمات العامة كالصحة والتعليم

والبلديات والطرق وحماية الحدود الخارجية والأمن الداخلي ومكاسب الناس وغير ذلك ولم يرضَ الائمة (عليهم السلام) بالمساس بها، وكانوا على مستوى عالٍ من عظمة الشعور بالمسؤولية والنبل والأخلاق الكريمة، ففي الوقت الذي جرّعتهم السلطات الوان القتل والاعتقال والاضطهاد والتشريد والتجويع الا انهم (عليهم السلام) كانوا صادقين مخلصين في حفظ المصالح العامة والنظام الاجتماعي العام.

وقد ذكرتُ الكثير من الشواهد على ذلك في كتاب (دور الائمة في الحياة الإسلامية) كقيام الامام السجاد (عليه السلام) بوضع خطة سك عملة نقدية خاصة بالدولة الإسلامية وتقديمها لعبدالملك بن مروان بعد تهديد ملك الروم الذي كانت عملة بلاده هي المتداولة. ودعاء الامام السجاد (عليه السلام) للجيوش المرابطة على حدود الدولة الإسلامية دليل آخر على ذلك، ومن قبلها نصائح وارشادات أمير المؤمنين (عليه السلام) للخلفاء الذين سبقوه، وكثير من الشواهد الأخرى.

ولأهمية هذه الاحكام الحيوية فقد أناطها الشارع المقدس بالفقيه الجامع لشرائط ولاية أمور الناس فهو الاقدر على تقدير الموقف الصحيح منها لما يمتلكه من علم جم وبصيرة ثاقبة ونزاهة عالية وخبرة ورشد، وقد قلنا في موضع سابق ان الفقيه الجامع للشرائط قيّم على مخرجات الأليات المسماة بالديمقراطية وله حق نقض القوانين التي تخالف المبادئ الإنسانية العليا بالأمر والطلب والتوجيه والارشاد، لانه الصائن والحافظ الاول لمصالح العباد والبلاد، فلو قرّر البرلمان مثلاً قراراً يرى الفقيه فيه تجاوزاً على الحقوق العامة فانه ينقضه ولا يحق العمل به متذرعين برأي الاغلبية ونحو ذلك كما لو قرروا امتيازات

مبالغاً فيها لأعضاء البرلمان ومسؤولي الدولة فأن أخذ هذه الامتيازات يكون غير شرعي، هذا فضلاً عن الاساليب غير القانونية للاستحواذ على المال العام.

محمد اليعقوبي

٢١ شعبان ١٤٣٨

١٨ / ٥ / ٢٠١٧

خطاب المرحلة

(٥١٨)

حوار عن الدولة المدنية والعلاقة مع العلمانيين وإشكالياتهم والتجديد في قراءة النصوص الشرعية

أجرت[١] قناة (الحرة – عراق) لقاءً موسعاً مع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) تناول عدة قضايا مثيرة للجدل وتستحق القاء الضوء عليها، ونذكر ادناه جملة من الاضاءات التي تفضّل بها سماحة المرجع:

١- التفريق بين الدولة المدنية والعلمانية، اذ المطلوب دولة مدنية متحضرة بكل ما تعنيه المفردة لكن لا يلزم من كون الدولة مدنية أن تكون علمانية كما يروِّج البعض، فان الدين لا يتنافى مع المدنية بل يؤسس لها، وتجربة الإسلام مع العرب خير شاهد على ذلك، فقد كانوا قبائل متناحرة تعتاش على القتل والسلب وتنتشر فيها الفواحش والآثام فصنع النبي (صلى الله عليه وآله) منهم بالإسلام أمة قوية متماسكة حضارية وازدهرت عندهم العلوم والمعارف وتعترف الحضارات المعاصرة انها مدينة لتلك النتاجات العظيمة.

٢- تقوم الدولة على أساس المواطنة، والمواطنون جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات التي تقرّها القوانين من دون تمييز بسبب الدين أو العرق أو أي انتماء آخر، ومن الشواهد على ذلك تخصيص أمير المؤمنين (عليه السلام) راتباً

(١) تاريخ اللقاء ١٥ رمضان ١٤٣٨ الموافق ١٠ / ٦ / ٢٠١٧ وعرض في برنامج (لقاء خاص) يوم ١٩ / ٦ / ٢٠١٧.

تقاعدياً لمسيحي وجده يستعطي في الطريق فزجر أصحابه على إلجائه لهذه الطريقة[١].

٣- الدولة الإسلامية تكفل حقوق جميع الأقليات على اختلاف عقائدهم وايديولوجياتهم، وهكذا كان الأمر في زمان حكومة النبي وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) بل حتى في زمان الحكومات المنحرفة كالأمويين والعباسيين، فلم يُقتل أحد لأنه ملحد أو كافر أو مشرك، وكان الملاحدة يحضرون موسم الحج ويسخرون من عقائد المسلمين وشعائرهم ولم يتعرض لهم أحد، ودخل الائمة (سلام الله عليهم أجمعين) معهم في مناظرات مفصّلة تجد جملة منها في كتاب (الاحتجاج).

اما عمليات الخطف والقتل والإرهاب التي تحصل اليوم ويراد ألصاقها بالإسلام السياسي فانه بريء منها، وان الحصة الأكبر من ضحايا العنف هم من غير العلمانيين، فهذه العمليات ليست جزءاً من الصراع بين الإسلام والعلمانية وانما هي صراعات سياسية بين اجندات داخلية وخارجية وحرب مصالح وتقاسم مغانم وتوسيع نفوذ ونحو ذلك.

٤- وحول استعمال (اليد) كمرتبة من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفية انسجام ذلك مع وجود دولة مدنية وقانون، أجاب سماحة المرجع، ان استعمال اليد بالضرب ونحوه مرتبة متأخرة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تبدأ بالموعظة الحسنة والإرشاد والتوجيه

---

(١) سيأتي ذكره وشواهد أخرى في خطاب (التعايش السلمي وحقوق الأقليات في الإسلام) الاتي ص٣٠٩ من هذا المجلد.

والتوعية، وان مرتبة اليد مشروطة بإذن الحاكم الشرعي، وهو لا يأذن باستعمالها لأنه لا يملك هذا الحق وفق القوانين النافذة ولما فيها من اختلال النظام الاجتماعي العام والفقهاء مجمعون على ان حفظ هذا النظام أولى بالمراعاة وأهم من سائر الاحكام الفرعية فيقدَّم عليها، وقد أقام الائمة (عليهم السلام) ومراجع الدين عبر التاريخ مشروعهم ومؤسستهم في ظل الدولة القائمة والقوانين التي تراعي مصالح العباد.

٥- وعن إشكالية الحكم بنجاسة بعض فئات المجتمع كالكفّار والمشركين وتعارض ذلك مع مبدأ التساوي على اساس المواطنة والتعايش، قال سماحته: بالنسبة لي فقد بحثت المسألة في موسوعة (فقه الخلاف) وذكرت الأدلة على طهارة كل إنسان الا اذا خرج عن القانون الذي ارتضاه الناس واقروّه واصبح عنصر إفساد وفتنة في المجتمع فيحكم بنجاسته كإجراء رادع من خلال تطويقه وعزله اجتماعياً واشعاره بالدونية وانه خارج عن الاطار العام للمجتمع، فالكافر لا يحكم بنجاسته من جهة انه مختلف عقائدياً مع المسلم وانما اذا اصبح عنصر إفساد وفتنة في المجتمع المسلم.

٦- وعن إشكالية عدم جواز انشاء دور عبادة جديدة للملل الأخرى في بلاد المسلمين أو التبشير بعقائد وايديولوجيات مخالفة للإسلام قال سماحته ان هذا الاشكال نظري لا موضوع له في الخارج لان الفقيه ليست لديه سلطة حتى يمكن ان ينفّذ مثل هذه الاحكام، وإنما يذكرها بعض الفقهاء في بطون الكتب فقط ولا واقع عملي لها، والأمر يتبع القوانين المعمول بها في تلك البلاد والتي تمثل توجّهات الأغلبية مع احترام حقوق الأقليات بحيث

لا يكون فيها تجاوز على حقوق الأكثرية. وهذا معمول به في البلدان المتحضرة، مثلاً هل تسمح القوانين الألمانية بالتبشير للنازية وتمجيد هتلر، أو هل تقبل القوانين الاسرائيلية نفي مذبحة الهولوكست مثلاً، وان عدداً من الدول الأوربية منعت ارتداد الحجاب في المؤسسات الرسمية لأنه يخالف منهجها العلماني مثلاً.

٧- النصوص الشرعية صمّمت من قبل الله تعالى ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى بحيث تستوعب كل تغيرات الزمان والمكان ومواكبتها للظروف المستجدة وتلبيتها لحاجة البشرية الى القوانين التي تنظم حياتها، ولذا لم يتوقف الفقهاء عن إعطاء الحكم الشرعي في أي أمر مستحدث، فخلود الشريعة بمعنى توفر هذه القدرة والقابلية فيها أمر ممكن بل واقع وما علينا الا ان نحسن قراءة هذه النصوص واستعمال الآليات الصحيحة لاستنطاقها، والشيعة الامامية يتميزون عن بقية طوائف المسلمين بفتح باب الاجتهاد بمعنى أخذ الاحكام الشرعية من نصوصها الاصلية وعدم الانغلاق على فتاوى العلماء السابقين مهما ارتقت درجاتهم العلمية، وهذا كله بفضل تعاليم أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

وقد أتاح الاجتهاد فرصة واسعة للاستفادة من آخر إنجازات العلوم في قراءة النصوص وفهمها وحقق المواكبة المطلوبة لتغيرات الزمان والمكان، فالشريعة اذن ليست كالقوانين التي يضعها البشر القاصر المحدود والتي لا تلبث الا قليلاً حتى يظهر نقصها وخللها.

٨- لا يتعرض المختلف فكرياً وعقائدياً لأي ضغط او اكراه أو عنف لمجرد أنه

مختلف، الا اذا مارس العدوان على عقائد الناس وإحداث الفتنة في المجتمع فلابد من وجود قوانين تعالج الحالة، وهذا مبدأ قرآني قال تعالى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة:٨). وقلنا في بداية الحديث ان التاريخ الإسلامي شاهد على ذلك.

٩- نحن مستمرون في الحوار مع العلمانيين بالحجة والبرهان لأمور:

أ - انهم شركاء لنا على هذه الأرض فيكون الحوار مع الشريك المخالف ضرورياً ولا سبيل غيره لتحقيق التعايش السلمي المشترك.

ب - اننا نريد لهم الخير ونشفق عليهم ونرى ان الدين اعظم هبة من الله تعالى للبشر فلا نريد حرمانهم من هذا الخير فقد ورد في الحديث القدسي (الخلق عيالي فاحبُّهم اليَّ أشفقهم على عيالي)[1].

ج - ان من واجبنا نصرة المظلوم ومن يعتدى عليه ويسلب حقه، ونحن نرى في إنكار الخالق واقصاء شريعته تعدّياً على حدود الله تعالى وظلماً للحق (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)(لقمان:١٣) فلابد ان ننتصر للحق كما ان العلمانيين يعارضون بعض القوانين لان فيها عدواناً على الحرية الشخصية أو ظلماً للمرأة كما يزعمون، فالله تعالى أحقّ وأولى بالنصرة من الخلق.

١٠- وتعرض المحاور إلى الإشكالية التي يتبجح بها العلمانيون بقوة وهي ان حكم الله تعالى والدين الذي يصلح لكل زمان ومكان لا نستطيع الوصول

(١) دعائم الإسلام ج٢ ص٣٢٠ ح١٢٠٧. وشرح نهج البلاغة: ج٢٠ ص٣٤٠ الرقم ٨٩٣

اليه اما هذا الموجود فهي فتاوي الفقهاء المختلفة فيما بينها والقابلة للصواب والخطأ ولا يجوز أن نصفها بأنها دين الله، فدين الله غير موجود.

وأجاب سماحته بان: احكام الله تعالى ثابتة عنده سبحانه وفي عالم الواقع وقد وضع لنا الائمة المعصومون (عليهم السلام) طرقاً وعلامات على شكل أصول وقواعد للوصول اليها فان اصبناها كانت توفيقاً من الله تعالى ويعطى العامل بها أجره مرتين وان أخطأها كان معذوراً امام الله تعالى لأنه سلك الطريق الذي أمره الله تعالى به لكنه أخطأ الواقع.

لكن هذا البحث عن حكم الله تعالى ليس متاحاً لأي أحد وانما لخصوص من توفرت فيه القابلية المعروفة بالاجتهاد، وعليه ان لا يتجاوز النصوص الشرعية الى غيرها فلا يعمل بشيء من الظنون او الإستحسانات ونحو ذلك (إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) (يونس:٣٦).

فاذا تحققت هذه العناصر الثلاثة (قابلية الاجتهاد، اعتماد النصوص الشرعية، العمل وفق القواعد والأصول المقننة شرعاً) كانت الاحكام الناتجة هي ما يطلب العمل بها والهيكل العام للدين وهي تضمن الوصول الى معظم الاحكام الواقعية المعلومة عند الله تعالى وهي كافية لحفظ دين الله تعالى فيها ويتحقق العذر عن الوصول الى الباقي ولم يكلفنا الله تعالى اكثر من ذلك بل أمرنا ان نأخذ ديننا عن هذا الطريق وليس علينا ان نصل الى الحكم الواقعي.

ومن هنا يعلم ان اختلاف الفقهاء هو اختلاف داخل اطار الدين وليس في الدين نفسه، ورغم ان الاختلاف موجود في معظم المسائل الشرعية، الا ان صورة الدين والمتديّن محفوظة ومعروفة للجميع فالمتدينون يشتركون جميعاً

بأن الواحد منهم يؤمن بالله ورسله والمعاد يوم القيامة ويصلي ويصوم ويحج البيت الحرام ويقرأ القرآن ويساعد الفقراء ويحب الناس ويحترمهم ولا يزني ولا يشرب الخمر ولا يلوط ولا يكذب ولا يظلم الآخرين وغيرها كثير من الأمور الثابتة رغم الاختلافات الواسعة بين الفقهاء، فهذا هو الدين الثابت وهو محفوظ ولا تضرّ فيه اختلافات الفقهاء، ولتقريب الفكرة أضرب مثالاً من علم الطب، فان الأطباء يختلفون في فهم الحالات المرضية وأعراضها وتشخيص الامراض وعلاجها لكن علم الطب يبقى محفوظاً ويبقى يؤدي دوره المهم في حفظ حياة الانسان ولا يجوز اقصاءه بحجة وجود الاختلافات بين الأطباء وعدم معرفتنا بحقيقة الحالة المرضية، وكذلك الدين يبقى صالحاً لاداء دوره في إسعاد الإنسان وكماله على مر الازمان ولا يضرّ فيه اختلاف الاجتهادات.

١١- يوجد من الفقهاء من ينظر الى تنفيذ الحدود الشرعية المقررّة لبعض الخطايا الكبيرة كالزنا واللواط والسرقة على انها صلاحيات بيد الفقيه فله ايقافها او اسقاطها وقد دلّت بعض الروايات على ذلك، وليست هي احكاماً شرعية ثابتة، وبذلك يستطيع الفقيه من مجاراة الأعراف والقوانين الدولية المعمول عليها.

١٢- العلمانيون يتهمون المتدينين بفرض الرأي على الآخر وعدم فسح المجال للمخالف للتعبير عن رأيه، لكنهم في الحقيقة هم من يمارس ذلك ويعملون بكل وسعهم لإقصاء الدين من الحياة ولا يكترثون لرأي الأكثرية ولا يعبأون بالدستور الذي ينص على عدم سن أي تشريع يخالف ثوابت الإسلام، ومن تجاربنا معهم ما حصل بالأمس القريب عند

تقديم مشروع قانون الأحوال الشخصية الجعفري، وواضح من عنوانه انه يتعلق بالاحوال الشخصية التي يحق لأي أحد ان يمارسها حسب ما يعتقد فله ان يورّث أمواله ويتزوج ويوصي ويوقف حسب معتقده، والقانون الوضعي فيه مخالفات لأحكام المذهب الشيعي، لذلك فان الشيعة يجرون أمورهم الشخصية خارج المحاكم على حسب الشريعة ثم يسجلّونها لدى المحاكم فاردنا ان نقّنن الحالة، ويعطى الشيعي حقه في ذلك كالطوائف والأديان الأخرى، فيدرج مع مواد القانون المخالفة للشريعة الخيارات التي يعمل بها الجعفري، فيوضع حكم (أ) و (ب) والمواطن الذي يراجع المحكمة يخيرّه القاضي بينهما، أي ان مقترح القانون الجعفري لم يطالب بإلغاء القانون الوضعي الموجود، واذا وجد اعتراض على بعض فقراته فيمكن ان تناقشها اللجان المختصة في البرلمان عند تقديم المشروع لهم لاجراء التعديلات المناسبة.

لكن العلمانيين لم يكونوا منصفين ولم يحترموا الآخر ولم يقبلوا بان يتمتع كل مواطن بحريته في أموره الشخصية فمارسوا عملية التسقيط والتشويه والرفض وادعّوا أموراً غير موجودة كتزويج البنات القاصرات وهذا افتراء على القانون الذي يشترط في عقد النكاح أن تكون الزوجة بالغة – أي غير قاصرة – ورشيدة ويشترط اذن ولي أمرها وهو طبعاً لا يرضى بتزويج ابنته القاصرة، واذا اختلّ شيء من هذه الشروط فان القاضي لا يصادق على صحة العقد، فهذا الافتراء الذي اثاروا به الصخب والضجيج، كان الهدف منه منع تقديم القانون اصلاً، ونحن لم نُرد أزيد من حقنا اسوة بالآخرين وهم أضعف من أن يمنعوه

لو لا معارضة بعض الجهات المتنفذة لتمريره. والازدواجية واضحة في سلوك العلمانيين فبينما هم يعترضون بقوة على الزواج المبكر الا انهم يشجعون الممارسات الجنسية للطلبة والطالبات في مرحلة الابتدائية ويفرضون عليهم السباحة المختلطة ضمن الدروس ولم يستجيبوا لاعتراضات العوائل المسلمة على ذلك، وللعلم فان قوانين عدد من الولايات الأمريكية تبيح الزواج في سن ١٥ سنة بل ١٣ سنة.

١٣- الخمس فريضة مالية نصَّ عليها القرآن الكريم والاحاديث الشريفة، والخلاف في موارد وجوبها وعدم اختصاصها بغنائم الحرب موجود بين الفقهاء والبحث فيها معمّق محله الاروقة العلمية المتخصصة والموسوعات الفقهية الاستدلالية، والمتدينون لا يقلدون مجتهداً الا بعد ان يحرّزوا فيه اعلى درجات النزاهه والورع والتعفف عن بهارج الدنيا، والمكلف يرجع الى مرجع تقليده في أموره كلها وبعضها أهم من دفع الأموال اليه فاثارة الشبهات حول مصير الحقوق الشرعية لا تثني دافعي الحقوق الشرعية لانهم يرون بأنفسهم الجهات التي تصرف فيها كرعاية الحوزات العلمية الدينية وطبع الكتب المثمرة وانشاء المؤسسات الخيرية والمشاريع النافعة ومساعدة المحتاجين وتزويج الشباب المتعففين ونحو ذلك من الجهات الراجحة التي يفرح أي انسان محب للخير بوضع أمواله فيها.

ويضاف الى ذلك ان هذا الاشكال لا موضوع له لانني أعطيت الاذن لمن عليه حقوق مالية شرعية ان يوزعها مباشرة على المحتاجين ووجوه البر والإحسان اذا كان عارفاً بمواضع صرفها و يستشير معتمدي المرجعية ولا حاجة

الى تسليمها الى المرجعية ويخفّفون بذلك علينا مؤونة البحث عن المحتاجين وايصال الأموال اليهم. والاموال التي تصل الى المرجع ليست ملكاً شخصياً له فلا يحق لورثته التصرف فيها بعد وفاته، وانما تصل له بعنوانه المرجعي فتنتقل بعده الى من يحل في موقعه، وعلى أبناء المرجع التصرف بما تمليه عليهم الأمانة والورع.

خطاب المرحلة

(٥١٩)

(يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)[١]

قال الله تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) (الانفطار:٦) وهو خطاب موجّه الى الانسان على شكل سؤال واستفهام لكنه ليس لطلب المعرفة لان الله تعالى محيط بكل شيء علما، وإنما هو استنكاري لتوبيخ وعتاب المخاطب وتعجب من عصيان الانسان لربّه الكريم وتنبيه العاصي لقبيح فعله، فظاهر السؤال عن العلة وسبب الاغترار وحقيقته عن النتيجة وما حصل بالاغترار أي محاسبته على ما صدر منه من معاصي فيسأله ما الذي غرّر بك ودفعك وسوّل لك حتى عصيت ربك الكريم وتمرّدت عليه، وهذا فعلٌ مخالف للفطرة الإنسانية التي توجب مقابلة الإحسان بالإحسان، لذا يصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (أحمق الحمق الاغترار)[٢].

وقد ذكرت الآية عدة عناصر تجعل الحجة أبلغ والتوبيخ أعنف:

((أولها)) توجيه الخطاب اليه بما انه انسان عاقل مدرك للمسؤولية ولقواعد التعامل وقد أنعم الله تعالى عليه بنعم لا تعد ولا تحصى وقد ذكرت الآيات التالية بعضاً منها (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) (الانفطار:٧) الخ، وليذكّره بأنَّ انسانيته هي أعظم النعم (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر المبارك يوم الاثنين ١/شوال/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٦/٢٦

(٢) غرر الحكم: رقم ٢٩١٥

(المؤمنون:١٤).

((ثانيها)) ويقول له: انك بمعصيتك تجاوزت على ربَّك الذي تّولى تربيتك ورعايتك وصناعتك ودبَّر شؤونك كلها وانت لا تعلم.

((ثالثها)) وتعديّتَ على الكريم الذي أغدق عليك النعم من دون مقابل ولا توقع نفع منك فإنه تعالى غني عن العالمين، وقد كان من كرمه أنه حلم عنك ولم يعاجلك بالعقوبة وفتح لك باب التوبة والرجوع ولم يمنعه طول العكوف على المعصية من الاستمرار في إحسانه، ولم يقف كرمه عند العفو عن السيئات بل يبدلها إلى حسنات وغير ذلك من مظاهر الكرم.

والتغرير: الخداع والاستغفال والتجهيل بإراءة ظاهر محبوب تميل اليه النفس لكنه لا حقيقة له واخفاء الباطن والحقيقة حتى يسوقه الى الغرض الذي يريده على غفلة منه فإثارة السؤال فيه تنبيه من الغفلة والفات نظر الانسان إلى ما هو عليه من حالة الاغترار الذي ادى به لهذا التجاوز الكبير وتحذير من الوقوع فيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سكر الخمور)[1].

والمستفاد من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة أن أسباب الاغترار الموجب للوقوع في المعصية عديدة منها:

١- المظاهر الدنيوية الخداعة من مال وجاه ومناصب وانتماءات وعصبيات (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) (الأنعام:٧٠) (وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران:١٨٥) اي الخداع والوهم، عن أمير

(١) غرر الحكم: رقم ٥٦٥١

المؤمنين (عليه السلام) قال (لا تغرنَّك العاجلة بزور الملاهي، فإن اللهو ينقطع ويلزمك ما اكتسبت من المآثم)[١].

٢- تزيين إبليس وجنوده (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (لقمان:٣٣) والغَرور صفة مشبّهة لكل من تأصّل فيه تغرير الآخرين لذا فُسِّر بالشيطان لانه كذلك (يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً) (النساء:١٢٠).

٣- أماني النفس واهواؤها وميلها الى اللذات واتباع الشهوات والعجب والاتكال على الذات (وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (الحديد:١٤). من وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لابن مسعود (لا تغترّنَ بصلاحك وعلمك وعملك وبّرك وعبادتك)[٢] وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (جماع الشرّ في الاغترار بالمَهَل، والاتّكال على العمل) وقوله (غرور الأمل يفسد العمل) وقوله (كفى بالمرء غروراً أن يثق بكل ما تسوّل له نفسه)[٣].

٤- مكر شياطين الانس وطواغيتهم ودّجاليهم والخداع والتضليل الذي يمارسونه والشبهات التي يلقونها (وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) (آل عمران:٢٤). روي عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله (لا تغرّنك الناس من نفسك،

(١) غرر الحكم: رقم ١٠٣٦٣

(٢) مكارم الاخلاق: ٣٥٠/٢

(٣) غرر الحكم: رقم ٤٧٧١، ٦٣٩٠، ٧٠٥٣

فإن الأمر يصل اليك دونهم)[١] أي لا تغرّنك الناس من حولك ويوهمونك بأمور تسبب اغترارك، فإنك المسؤول عن افعالك وسوف يتخلّون عنك ولا ينفعونك بشيء وعن الامام الصادق (عليه السلام) (لا يغرنّك بكاؤهم، فإن التقوى في القلب)[٢].

ومنشأ الوقوع في هذه الاسباب يرجع الى الجهل روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه لما تلا الآية عقّب مجيباً على السؤال: (جهله)[٣]، هذا الجهل يشمل جهل الإنسان بربّه وحقوقه عليه ولزوم طاعته وعليه أن يُؤثر رضا ربّه على رضا نفسه أو أي أحد من المخلوقات، وان يتيقن انه بمحضر خالقه وتحت نظره سبحانه (عميت عين لا تراك عليها رقيبا)[٤]، والجهل بمبدأ الانسان ومعاده ومآله، والجهل بحقيقة الدنيا الزائلة، والجهل بحقيقة الشيطان ومكره وخدعه وعداوته لبني آدم ونحو ذلك.

اما الانسان الصالح فانه كلما ازداد معرفة بربه الكريم يزداد طاعة ومحبة له تبارك وتعالى ويزداد خوفاً من عصيانه وغضبه سبحانه (سبحانك وبحمدك من ذا يعرف قدرك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما انت فلا يهابك)[٥]،

لذا قد يُنسب التغرير الى أسباب أخرى ليست هي بنفسها موجبة له،

---

(١) بحار الانوار: ٣٢٣/٧٢ ح ٢.

(٢) بحار الانوار: ٧٠/ ٢٨٣ ح ٤.

(٣) الدر المنثور للسيوطي: ٤٣٩/٨.

(٤) مفاتيح الجنان، دعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

(٥) مفاتيح الجنان، من دعاء الصباح عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

لكن الانسان لجهله وغفلته عن حقائق الأمور وعواقبها اغترَّ بها كحلم الله تعالى وعدم اخذه العاصين بالعقوبة عند صدور كل ذنب، واغداقه النعم على الكفار، وستره على قبائح العباد، وهذه كلها من الصفات الحسنى وكرم من الله تعالى ورحمة بالعباد لكن الانسان لجهله يسيء الاستفادة منها قال الله تبارك وتعالى (لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (آل عمران:١٩٦-١٩٧) أي لا تجعل حلم الله تعالى بإمهال الكفار وعدم معالجتهم بالعقوبة سبباً للاغترار والغفلة عن الحساب والعقاب.

وفي دعاء الامام السجاد (عليه السلام) في ليالي شهر رمضان المعروف بدعاء ابي حمزة الثمالي (وَيَحْمِلُني وَيُجَرِّئُني عَلى مَعْصِيَتِكَ حِلْمُكَ عَنّي، وَيَدْعُوني اِلى قِلَّةِ الْحَياءِ سِتْرُكَ عَلَيَّ، وَيُسْرِعُني اِلَى التَّوَثُّبِ عَلى مَحارِمِكَ مَعْرِفَتي بِسِعَةِ رَحْمَتِكَ، وَعَظيمِ عَفْوِكَ)[1] وفيه أيضاً (اِلهي لَمْ اَعْصِكَ حينَ عَصَيْتُكَ وَ اَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جاحِدٌ ، وَ لا بِاَمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ ، وَ لا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ ، وَ لا لِوَعيدِكَ مُتَهاوِنٌ ، لكِنْ خَطيئَةٌ عَرَضَتْ وَ سَوَّلَتْ لي نَفْسي ، وَ غَلَبَني هَوايَ ، وَ اَعانَني عَلَيْها شِقْوَتي ، وَ غَرَّني سِتْرُكَ الْمُرْخى عَلَيَّ)[11].

اذن بهذا التقريب يمكن فهم معنى نسبة الاغترار الى حلم الله تعالى أو كرمه أو رحمته، وهذا دفع بعض المفسرين الى القول: ((وانما قال الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لانه كان لقنه الإجابة حتى يقول غرّني كرم الكريم))[2].

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي: ٣٤٠، ٣٣٥.

(٢) حكاه في مجمع البحرين: مج ٢٦٣/٢ مادة (غرر) عن الشيخ ابي علي وفي مادة (لقن) ايضاً وذكره آخرون.

وهذا التلقين بحد ذاته مظهر آخر للكرم الإلهي.

لكن السيد الطباطبائي (قدس) اعترض على هذا الفهم قائلاً: ((ومن هنا يظهر ان لا محل لقول بعضهم: ان توصيف الرب بالكريم من قبيل تلقين الحجة وهو من الكرم ايضاً، كيف؟ والسياق سياق الوعيد، والكلام ينتهي الى مثل قوله (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّين) (الانفطار:١٤-١٥)، ولو كفى الانسان العاصي قوله ((غرني كرمك)) لصرف العذاب عن الكافر المعاند كما يصرفه عن المؤمن العاصي، ولا عذر بعد البيان))[١].

أقول: لا نجد وجهاً للاعتراض:

١- لان هذا المعنى وارد في كلام المعصومين (عليهم السلام) كما تقدم.

٢- واتضح مما تقدم ان الكرم والرحمة ونحوهما ليست هي السبب المباشر للاغترار الانسان حتى يعترض عليه، وانما السبب سوء استفادة الانسان منها وهي حالة موجودة حتى مع كرام الخلق كما في الرواية عن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام): (انه وجد شاة له قد كُسرت رجلها، فقال لغلام له: من فعل هذا؟ قال الغلام: أنا، قال: لم فعلت ذلك، قال: لأجلب لك الهم والغم، فتبسم الإمام (عليه السلام) وقال: لأسرُّك فاعتقه وأجزل له العطاء)[٢]. (ان علي بن الحسين (عليه السلام) دعا مملوكه مرتين فلم يجبه فلما أجابه في الثالثة قال له: يا بني اما سمعت صوتي قال: بلى، قال فما بالك لم تجبني، قال: أمنتك، قال

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٤٨/٢٠.

(٢) موسوعة المصطفى والعترة (صلى الله عليهم أجمعين) للشاكري: ٥/ ٩٠.

(عليه السلام): الحمدلله الذي جعل مملوكي يأمنّي)[1].

٣- ان هذا الاعتراف لا يفيد العاصي بل يوجب استحقاقه للعقوبة المضاعفة، لانه قابل الكرم والحلم والعفو بالعصيان والتمرد واغّتر بالحسنة والنعمة فحوّلها الى سيئة ونقمة بدل شكرها وأداء حقها وأمن مكر الله تعالى، واذا نفعه هذا الجواب فلما فيه من الاعتراف بسعة كرم الله تعالى حتى طمع في معصيته وهذا الاعتراف أمر يحصل في الآخرة ولا علاقة له بمعاصيه في الدنيا.

٤- ان الكافر لا يستطيع ان يقول هذا الكلام لانه لم يكن يعتقده ولا يعرفه، وليس كرم الله تعالى الذي غرّه بالمعصية وإنما غرّه هواه وتسويل الشيطان وزخارف الدنيا. كما صرحت الآيات الكثيرة التي اوردناها في أسباب الاغترار.

٥- ان هذا التلقين لا يفهمه الا أهل المعرفة خصوصاً وان الآية لم تذكر بصراحة ووضوح: أيها الكافر او العاصي قل (غرّني كرمك) عندما تسأل: لماذا كفرت وعصيت، وانما اكتفت بوصف الرب بالكريم وفهم أهل المعرفة من ذكر هذا الاسم دون غيره انه إشارة الى هذا المعنى، فهذا التلقين للحجة لا يفهمه الا من يستحقه ومثل هذا لا يغريه كرم الله تعالى بالمعصية وانما بمزيد من الطاعات واجتناب المعاصي والاعتراف بالعجز والتقصير ((فاذا كان الفرد مستحقاً لفهمها كان مستحقاً لتطبيقها ويتحمل مسؤوليتها، اما السائرون في المعصية والموغلون في الرذيلة فلا يعرفونها ولا

(١) بحار الانوار: ٥٦/٤٦ ح ٦ عن ارشاد المفيد ومناقب ابن شهراشوب إعلام الورى.

يفهمونها ابداً، وليس لهم التوفيق في الرجوع الى مصادر التفسير))[1].

اقول: ولو قرأوها في التفاسير أو سمعوها من أحد فانهم لا ينتفعون بها لأنهم سيذهلون عنها.

٦-ان هذا السؤال يقع يوم القيامة بحسب الظاهر حيث يكون باب العمل والتكليف مغلقاً، وليس في الدنيا حتى يكون سبباً للتغرير بالعاصي، فقول ((غرني كرمك)) يكون لاستدرار الرحمة والعفو وليس للتمادي في الذنوب.

٧- ان السيد الطباطبائي يعلم ان هذا المعنى يليق بكرم الله تعالى، وان الله تعالى عند حسن ظن عبده، وانه عز وجل أكرم من ذلك، فقد يجيز كذب العبد اذا ادعّاه تطبيقاً لقوله تعالى (وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ) (يس:٥٧) ففي تفسير القمي بسنده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إن آخر عبد يؤمر به الى النار، فاذا أُمر به التفت، فيقول الجبار جلّ جلاله: ردّوه فيردّونه فيقول: لم التفتَّ إليَّ؟ فيقول: يا ربِّ لم يكن ظني بك هذا، فيقول: وما كان ظنّك بي؟ فيقول: يا ربِّ كان ظني بك ان تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنّتك، قال: فيقول الجبار: يا ملائكتي، وعزّتي وجلالي وآلائي وعلّوي وارتفاع مكاني، ما ظنّ بي عبدي هذا ساعة من خير قطّ ولو ظن بي ساعة من خير ما روّعته بالنار، أجيزوا له كذبه

(١) منّة المنّان في الدفاع عن القرآن للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر: ٣٧٩/٤

فأدخلوه الجنة)[1].

٨- اننا إنما نذكر هذه المعاني والروايات لنزداد معرفة بالله تعالى فنزداد حباً له تعالى وطاعة له سبحانه وتعلقاً به ونزداد فخراً واعتزازاً بأن ربنا ومولانا هو هذا الرب الكريم وليس مثل الكفار والمشركين والملحدين واللادينين الذين لهم آلهة وهمية مزيفة (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربا)

وقد استقرب السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) إفادة الآية لتلقين الحجة، واحتمل وجهاً لاعتراض السيد الطباطبائي على هذا المعنى قال فيه: ((ولعل الذي حدى بالسيد الطباطبائي الى نفي هذا المعنى لكي لا يكون كلام المشهور سبباً للذنوب، فجزاه الله خيرا، فقد سدَّ الباب وبيّن ان هذه الآية لا تعطي ذلك اطلاقاً حتى ان الناس اذا قرأوا القرآن او قرأوا التفاسير لا يكونون مطمئنين لذنوبهم، والا لو لا هذا العنوان الثانوي في الحقيقة – وهو انسداد باب الذنوب – فإن الآية تعطي ذلك حقاً ((غرني كرمك)) ولذا اوصي المبلغين وقادة المجتمع ان لا يركزوا على الروايات الباعثة على الاطمئنان والشفاعة وغفران الذنوب، لان الناس ليسوا على مستوى التطميع برحمة الله، فينفتح باب الذنوب ويستغل الشيطان هذه الثغرة للمرور إلى نفوس الناس وإغوائهم، وتكون ذممكم مشغولة من هذه الناحية، واذكر اني كنت ذات يوم في مجلس

(١) بحار الانوار ٨٧/٧ عن ثواب الاعمال، وحكاه في هامش منّة المنّان: ٣٨٢/٤ عن تفسير القمي: ٢٦٢/٢-٢٦٥

تعزية فصاح أحدهم (من صلّى عليَّ مرة لم تبقَ من ذنوبه مرة)[1] فهذا القول قد يكون صدر من النبي (صلى الله عليه وآله) غير أنه صدر للمستحق لا لمن لا يستحق، اما ان يعلن في مجلس عام فهو مصيبة من المصائب، لانها اذا وصلت الى غير المستحقين يتذرعون بها لاقتراف الذنوب واقتحام المعاصي، وحينها اعترضت على صاحب المجلس رحمه الله- وكان من فضلاء الحوزة –ان لا يسمح بمثل ذلك)).

أقول: هذه المخاوف في محلها إذ ان هذا الفهم قد اسيء استخدامه لدى العامة فعلاً فتراهم يوغلون في المعاصي والمنكرات ولما تنهى أحدهم يقول ((الله كريم)) وهذا جهلٌ فظيع بعلاقة العبد بربّه، وكأنهم لم يسمعوا الآيات الكثيرة كقوله تعالى (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم:٧) وقوله تعالى (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ) (الحجر:٤٩-٥٠) وفي دعاء الافتتاح في ليالي شهر رمضان (وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة) فلابد من وضع هذه الإشارات الكريمة في سياقها الإيجابي الذي ذكرناه في النقطة (٨) وليس سياقها السلبي، وهذا المعنى للآية إنما يُذكر شاهداً على سعة كرم الله تعالى ليزداد المؤمن محبة وتعلقاً بربه وليس فيه دفع للمعاصي والعياذ بالله بل إن فيه تأكيداً للحجة البالغة على العاصين.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) عند تلاوته هذه الآية (أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً

(١) بحار الانوار: ٦٣/٩١، مستدرك الوسائل: ٢٣٤/٥ أبواب الذكر، الباب ٣١ ح ١٣.

وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ أَ مَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ أَ مَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعاً وَبِذِكْرِهِ آنِساً وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِئِ الْأَعْمَالِ وَحَقّاً أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ

الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ)[1].

علماً بأن المؤمن الذي يتأسى بربّه وُصِفَ في بعض الأحاديث الشريفة بانه لكرمه يغري الآخر بالتجاوز عليه(المؤمن غرّ كريم)[2] لانه لا يظن الشر والسوء ولا يحتمله في الآخر ويتغافل عنه كرماً منه وإحساناً في أخلاقه لا جهلاً ولا لقلة فطنته ويظن الآخر أنه قد خدعه كالذي يروى عن أحد أسرى بدر حينما توسل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يفك أسره ويبقيه للصبية والعيال فعفا عنه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولما عاد الى مكة قال لقريش قال لهم: ((خدعت كريماً فانخدع.)). ثم أُسِر في المعركة التالية وأعاد نفس الطلب لكن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يمنحه فرصة أخرى وعاقبه بما يستحقه.

وبعيداً عن هذا المعنى وإشكالاته فإنه يمكن أن يكون إيراد لفظ الكريم لبيان أن الله تعالى لا يريد من سؤاله هذا نفعاً أو فائدة لأنه كريم لا يريد بعطائه جزاءً ولا شكورا ولا تضرّه معاصي العاصين كما لا تنفعه طاعة المطيعين وإنما يراد هداية العباد وصلاحهم قال تعالى (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:٤٠).

ويمكن أن نفهم الآية على نحو آخر بحيث لا يكون المخاطب فيها

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٢٣.

(٢) امالي الطوسي ج ٢ ص ٧٧.

الانسان العاصي، بل المطيع الطامع بمراتب الكمال، فيُسأل ما الذي اغراك وطمّعك حتى صرت تطلب هذه المنازل السامية، فيقول: أطمعني كرمك يا ربّي لانني اراك تعطي الكثير بالقليل وتبتدى بالنعم من لا يستحق وتعطي من سألك ومن لم يسألك ومن لم يعرفك، فالتعجب في الآية قد يكون من انحطاط الانسان وتسافله وقد يكون من رقيّه وتساميه اذا نظرنا الى الآية بمعزل عن السياق الدال على الأول.

ونذكر الآن رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) تتضمن مثالاً للمغّتر بما تمنيه نفسه ويملي عليه جهله، ومثالاً لاغترار الناس بنماذج ظاهرها التدين والعمل الصالح الا انها في الحقيقة على العكس من ذلك، فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال (قوله عز وجل: اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ، قال (يقول ارشدنا الى الصراط المستقيم ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك، والمبلّغ الى دينك والمانع من ان نتّبع اهواءنا فنعطب او نأخذ بآرائنا فنهلك) ثم قال (عليه السلام) فان من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتصفه فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني، فرأيته قد أحدق به خلق كثير من غثاء العامة، فما زال يراوغهم حتى فارقهم ولم يقر، فتبعته فلم يلبث أن مر بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم مر بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله وأخذ من عنده رمانتين مسارقه فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم أقول: وما حاجته إذاً إلى المسارقة؟! ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ـ ثم ذكر أنه سأله عن فعله ـ فقال له: لعلك جعفر بن محمد؟ قلت: بلى،

فقال لي: فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك؟! فقلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول الله عزّ وجلّ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، وإني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين ، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين ، فهذه أربع سيئات ، فلما تصدقت بكل واحدة منها كان لي أربعين حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع سيئات وبقى لي ست وثلاثون حسنة، فقلت له: ثكلتك امك، أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة : ٢٧] إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت رمانتين كانت أيضا سيئتين، ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيئات فجعل يلاحظني فانصرفت وتركته، قال الصادق (عليه السلام) : بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يضلون ويضلون)[1].

(١) وسائل الشيعة: ٤٦٧/٩ كتاب الزكاة ، أبواب الصدقة باب ٤٦، ح ٦.

خطاب المرحلة

(٥٢٠)

(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)[١]

لا تعتنق عقيدة او فكرة ولا تقل او تفعل فعلاً الا عن علم ويقين

قال الله تبارك وتعالى (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (الإسراء:٣٦)

ولا تقف: أي لا تتبع، من القفو وهو الاتباع كقولك اقتفيت أثره، والفرق ان الاتباع يطلق على كل افراده سواء كان اختياريا او باكراه، اما الاقتفاء فيختص بالاتباع الاختياري، فالآية تؤسس قاعدة رصينة في التلقّي والأخذ من قنوات ومصادر المعلومات الخارجية والداخلية وهي الاذن والعين والتأملات الذهنية فلابد أن يكون ذلك مستنداً الى العلم الذي يشمل المعلومات المتيقنة المأخوذة عن حس ومشاهدة، أو عن مصادر معتبرة عند العقلاء التي لا يُعبأ باحتمال الخطأ فيها كإخبار الثقة او التواتر.

وهذه القاعدة القرآنية يجب تفعيلها في كل نواحي الحياة، فلا يرتب أثراً على ما يسمعه او يجده مكتوباً أو ينقدح في ذهنه الا اذا وجد دليلاً علمياً عليه سواء كان في الاعتقاد او السلوك او العلاقات مع الآخرين ولا ينشر شيئاً الا بعد ان يتأكد من مصداقيته وجواز نشره، في الحديث عن الامام الصادق

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر المبارك يوم الاثنين ١/شوال/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٦/٢٦

(عليه السلام) قال (ان من حقيقة الايمان ان لا يجوز منطقك علمك)[١] وفي حديث عن الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام) (ليس لك ان تتكلم بما شئت، لان الله عز وجل يقول (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)) وفي الحديث النبوي (ايّما رجل اشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها برئ كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال)[٢]، فمن لا يأخذ بهذه القاعدة يعرّض نفسه للمسؤولية، ويكون اول شاهد عليه حواسه (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً).

مثلاً شخص يدّعي عنواناً معيناً كالسفاره عن الامام المهدي (عليه السلام) او الوكالة والنيابة عنه لا يجوز تصديقه لانها دعوى غير مستندة الى العلم،او شخص يتبنى مشروعاً معيناً كإصلاح الأوضاع العامة وتغيير أحوال الناس نحو الاحسن لا يجوز تصديقه واتباعه حتى يتحقق من مصداقيته، او ما ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من اتهامات لهذا وذاك بالفساد والصفقات المشبوهة لا يجوز تصديقه وترويجه الا بعد التحقق من صدقه

او ما تتداوله الناس من أخبار عن هذا وذاك أنه فعل كذا وقال كذا لا يجوز تبنّيه وترتيب الأثر عليه لان مثل هذه المصادر لا يوثق بها وقد تصل الحالة الى الاقتتال والقتل لمجرد انه قيل له ان هذا الرجل او تلك المرأة فعلا كذا وكذا قبل أن يتبيّن حقيقة الأمر وقد يكون المخبر مبغضاً او حاسداً او له غرض شخصي فيعمل على القاء الفتنه بهذه الاخبار وقد يكون متوهماً او

(١) وسائل الشيعة: ١٨/١٧،١٦.

(٢) الدر المنثور : ١٨٢/٤ اخرجه الحاكم وصحّحه عن ابي ذر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

مشتبهاً كما وقع في الكثير من الحالات.

والشرع المقدس يرى الصدق في هذه الأمور قبيحاً فكيف بالكذب لان فيها تدميراً للعلاقات الاجتماعية وتخريباً للأسَر، في الحديث النبوي الشريف (ثلاث يقبح فيهن الصدق: النميمة وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه وتكذيبك الرجل عن الخبر)[1] وفي حديث اخر عن الامام (عليه السلام) قال (من روى على أخيه المؤمن رواية يبتغي بها شينه وهدّم مروته اخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ثم لا يقبله الشيطان)[2] بغض النظر عن كونه صادقاً او كاذباً فيما روى ، وبالمقابل مدح الله تعالى قوماً فقال تعالى (فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) (الزمر:١٧-١٨) فلا يكتفي احدهم بصدق الخبر حتى يّرتب عليه الأثر أو ينقله للغير، لان الصدق قد يكون ضاراً، بل يتثبت من حسن القول مضافاً الى صدقه.

وهذه القاعدة القرآنية مما تدعو له الفطرة السليمة أيضاً فانها تتحرى دائما الوصول الى الواقع والحقيقة فلا تعطي قيمة للمظنون او المشكوك، ويحاول العقلاء أن يصلوا الى الحقيقة وتحصيل العلم بأنفسهم إن أمكن والا فيرجعون الى من له العلم بذلك كمراجعة المريض للطبيب، أو رجوع عامة الناس الى المجتهد العارف بتحصيل الاحكام الشرعية وهكذا، ولا يعذرون من يتبنى عقيدة او قولاً او فعلاً من دون ذلك، وقد لبّى الله تعالى حاجة هذه الفطرة

(١) ميزان الحكمة: ٤٤/٥.

(٢) الكافي ٣٥٨/٢.

لدى الانسان فاعطاه السمع والبصر والعقل لتكون له أدوات يصل بها الى الحقيقة، وسيسأل الانسان عن كيفية توظيفه واستعماله هذه الأدوات فهل ان ما اصغى له بسمعه كان من مصدره الموثوق، وهل ان ما نسبه الى عينه حينما يقول رأيت كان قد رآه فعلاً و واضحاً لديها فعلاً؟ وهل ان ما فكّر فيه ورتبّه بذهنه كان مستنداً الى معلومات ومقدمات صحيحة؟ وهذه الحواس ستشهد عليه وتجيب بصدق (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (فصلت:٢٠) فعلى الانسان ان يحذر ويتجنب اتباع ما ليس له به علم والا فانه لا يكون معذورا.

والمطلوب دائماً هو التثبت من المعلومة قبل البناء عليها، ومن صدق الدعوى قبل التسليم بها، ولو بنى المجتمع حياته على هذه القاعدة القرآنية لأغلق أبواب الكثير من المفاسد والاضرار والخرافات والانحرافات وبهذا المنهج نحافظ على العلاقات الاجتماعية وسمعة الأشخاص وكرامتهم ومنع حصول حالة الإحباط واليأس لدى العاملين بسبب ما يشيعه الحاسدون، وبذلك نستطيع تقويم عقائد وأفكار المجتمع من الانحراف والضلال.

فعلى مستوى الاعتقاد: لم يقدّم الملحدون دليلاً علمياً على نفي وجود الخالق تبارك وتعالى وغاية ما يدّعون انه لم يثبت عندهم وجوده سبحانه فكيف يريدون بجهلهم هذا نفي الأدلة القاطعة التي يقيمها المؤمنون بالله تعالى.

والذين ينكرون المعاد ليس عندهم دليل وانما هو مجرد استبعاد وقصور اذهانهم عن تصور الحالة بينما المؤمن عنده الحجج الدامغة على هذه الحقيقة، وكذلك الذين ينكرون الوحي والنبوة، قال تعالى (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ

ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) (يونس:٣٦).

وهكذا اذن المطلوب التثبت وتحصيل العلم في كل شؤون الحياة فلا يجوز تصديق خبر بناءاً على الاشاعات أو الاقدام على فعل لمجرد ان الناس فعلته مما سمّوه بالسلوك الجمعي وجعلوا له مثلاً يستشهدون به وهو ((حشر مع الناس عيد)) كزيارة بعض القبور او القيام ببعض الاعمال التي لم يثبت أصلها، او اتباع شخص لمجرد ادعاءات ما لم يتحقق من توفر الشروط المطلوبة.

فهذه كلها مخالفة لهذه القاعدة القرآنية، وقد روي في كتب العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (بئس مطية الرجل: زعموا)[١] وقوله (صلى الله عليه وآله) (اياكم والظن فان الظن اكذب الكذب)[٢] وفي حديث آخر (إن افرى الفرى ان يُريَ الرجل عينيه ما لم تريا)[٣].

وفي حواراتنا لابد ان نستند في مواقفنا الى الحجة والبرهان لا الظنون والقياسات ولا في احكامنا على الآخرين بالظن والتهمة والاشتباه والاحتمال، لذا لا يبني القاضي على كلام المدعّي في قضية معنية وإنما يطالبه بالبينة ويسمح للمدعى عليه بالدفاع عن نفسه وهكذا.

وبذلك يكون الإسلام قد سبق الحضارات المعاصرة في تأسيس منهج التثبت العلمي الشامل لكل شيء، حتى العلوم التجريبية والطبيعية حيث لا مكان للافتراضات الوهمية والاحتمالات غير الممحصة والاحكام الساذجة، ويجعل

(١) سنن ابي داوود: ص٢٥٦.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٨/١٨.

(٣) من صحيح البخاري.

ذلك مسؤولية شرعية وأمانة يُسئل عنها وهذه الرقابة الداخلية مما تميز المنهج الإلهي عن المادي، ويستشعرها المؤمن حتى لو خلى عن أي رقيب حتى على مستوى المشاعر والخلجات القلبية، فلا يقول كلمة بلسانه ولا ينقل حادثة عن أحد ، ولا يحكم بعقله حكماً ولا يعقد أمراً الا وقد استند فيه الى المعلومة الصحيحة.

فلنتعاون جميعاً لنشر هذه الثقافة القرآنية والمنهج القرآني الكفيل بتحقيق السعادة والصلاح ولتجنب التداعيات الاجتماعية الخطيرة، والا فان الثقة ستنعدم بالجميع ويختلط الصالح والفاسد وتضيع الحقيقة ونفقد كل أمل بالصلاح والإصلاح.

خطاب المرحلة

(٥٢١)

التعايش السلمي وحفظ حقوق الأقليات في الإسلام[١]

يكثر اليوم الحديث عن التعايش السلمي بين مكونات المجتمع وحفظ حقوق الأقليات في المجتمع المسلم ويراد معرفة رأي الإسلام فيها بعد الممارسات الاجرامية التي قام بها بعض من يدّعون الإسلام زوراً وبهتاناً أو يرفعون شعارات إسلامية مكراً وخداعاً، وفي مقام الإجابة نقول: لا يعبّر عن موقف الإسلام الأصيل في أي قضية الا قادته العظام من خلال سيرتهم وأقوالهم.

في كتاب (قرب الاسناد) بسنده عن الامام جعفر الصادق عن أبيه (عليهما السلام) (أن علياً عليه السلام صاحب رجلا ذميا) أي من غير المسلمين الذين يعيشون في ظل دولة الإسلام (فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟) وهو لا يعرفه انه أمير المؤمنين ورئيس الدولة لأنَّ علياً (عليه السلام) لم يكن يتميز بأي وضع عن الآخرين (قال: أريد الكوفة، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي) أي لما وصلا الى مفترق طريق ويذهب كل منهما الى وجهته لم يذهب أمير المؤمنين (عليه السلام) في طريق الكوفة كما أراد (فقال له الذمي: أليس زعمت تريد

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من شباب قضاء شط العرب والشباب الذي شاركوا في المعايشة الرمضانية في مكتب المرجعية في الكاظمية يوم الأربعاء ١٠ / شوال / ١٤٣٨ الموافق ٥/ ٧ / ٢٠١٧.

الكوفة؟ قال: بلى، فقال له الذمي: فقد تركت الطريق، فقال: قد علمت، فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له علي عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا، فقال له: هكذا؟ قال: نعم ، فقال له الذمي: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهدك أني على دينك، فرجع الذمي مع علي عليه السلام، فلما عرفه أسلم)[1].

أقول: هذه الرواية تبيّن واحداً من آداب الصحبة والمعاشرة وقد التزم بها أمير المؤمنين (عليه السلام) مع غير المسلم كما مع المسلم على حد سواء وهو في موقع قمة الهرم دينياً وسياسياً.

وروى الشيخ الطوسي (قدس) في كتاب التهذيب بسنده عمّن بلغ به أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (مر شيخ مكفوف كبير يسأل فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما هذا؟ فقالوا: يا امير المؤمنين نصراني قال: فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): استعملتموه حتى إذ كبر وعجز منعتموه!! أنفقوا عليه من بيت المال)[2].

أقول: يعني ان وجود فقير يستعطي الناس كانت حالة غريبة في دولة علي (عليه السلام) فأستغرب من وجود هذه الحالة لان جميع الحقوق المواطنين مكفولة على حد سواء في دولة أمير المؤمنين (عليه السلام).

وحتى حينما لا يكونون من مواطني دولة الإسلام لكنهم يأتون في زيارة دبلوماسية أو علمية أو استطلاعية ونحو ذلك فأنهم يحظون بنفس اللياقات والاحترام، في تفسير القمي بسنده عن أبي عبدالله (عليه السلام) (أن نصارى

---

(١) بحار الانوار: ٥٣/٤١ ح ٥.

(٢) تهذيب الاحكام : ٦ / ٢٨٧ كتاب القضايا والاحكام، باب ٩٢ في الزيادات، ح ١٨.

نجران لما وفدوا على رسول الله وكان سيدهم الاهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلواتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم، فلما فرغوا دنوا من رسول الله فقالوا: إلى ما تدعوا؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث قالوا: فمن أبوه؟) وكأنهم أرادوا أن يحرجوه صلى الله عليه وآله بهذا السؤال ليثبتوا أنه ابن الله (فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: قل لهم: ما يقولون في آدم؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: نعم، فقال: فمن أبوه؟ فبقوا ساكتين، فأنزل الله: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم)[1]. إلى آخر الآيات.

وفي رواية أخرى يبيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) الصورة الحقيقة الأصلية لشعائرهم قبل أن يحرّفها أصحاب الاطماع حتى ضاعت الحقيقة تحت ركام الأوهام والضلالات والخرافات والانحرافات، في كتاب الامالي للشيخ الصدوق بسنده عن الحارث الهمداني قال (بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة إذا نحن بديراني يضرب بالناقوس، قال: فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: يا حارث أتدري ما يقول هذا الناقوس؟ قلت: الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم. قال: إنه يضرب مثل الدنيا و خرابه ويقول: لا إله إلا الله حقا حقا، صدقا صدقا، إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا و استهوتنا واستغوتنا، يا ابن الدنيا مهلا مهلا، يا ابن الدنيا دقا دقا، يا ابن الدنيا جمعا جمعا، تفني الدنيا قرنا قرنا، ما من يوم يمضي عنا، إلا أوهى منا ركنا، قد ضيعنا دارا تبقى،

(١) بحار الانوار: ٢١/ ٣٤٠.

واستوطنا دارا تفنى، لسنا ندري ما فرطنا، فيها إلا لو قد متنا. قال الحارث: يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك؟ قال: لو علموا ذلك لما اتخذوا المسيح إلها من دون الله عز وجل) لكنه التحريف واخفاء الحقيقة وتجهيل الناس وابتداع الطقوس والخرافات والتشبث بالأوهام كما يحدث الكثير في أمتنا حتى صار المصلحون والمطالبون بتنقية الدين من الشوائب والبدع غرباء محاربين (قال: فذهبت إلى الديراني فقلت له: بحق المسيح عليك لما ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها. قال: فأخذ يضرب وأنا أقول حرفا حرفا حتى بلغ إلى قوله: إلا لو قد متنا. فقال: بحق نبيكم من أخبرك بهذا؟ قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس، قال: وهل بينه وبين النبي من قرابة؟ قلت: هو ابن عمه، قال: بحق نبيكم أسمع هذا من نبيكم؟ قال: قلت نعم. فأسلم ثم قال: والله إني وجدت في التورية أنه يكون في آخر الأنبياء نبي وهو يفسر ما يقول الناقوس)[1].

(١) بحار الانوار: ٢/ ٣٢١.

خطاب المرحلة

(٥٢٢)

(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ) (النساء:١٧)

بادر الى التوبة فأنها تصعب بالتأخير [١]

التورط بأموال الناس نموذجاً

قال الله تبارك وتعالى (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) (النساء:١٧-١٨) فالآية تبين ان قبول التوبة -اي قبول الله تعالى لعبده بعد ان يعود العبد الى ربه بالندم والاستغفار لان التوبة تعني الرجوع فالحركة متبادلة بين العبد وربهِّ (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ) (التوبة:١١٨). وقال تعالى (فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ) (المائدة:٣٩) - حق فرضه الله تبارك وتعالى على نفسه للذين وقعوا في المعاصي والذنوب رحمةً بهم وشفقةً عليهم ولعلمه تعالى بضعفهم وقصورهم اذا تابوا وندموا من قريب ولم يسوّفوا التوبة ويؤجلوها تمادياً في المعصية.

ولم يحدَّد سبحانه الوقت القريب لأنه ممتد ما دامت التوبة لها أثر

(١) ورد بعضها في كلمة ألقاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على جمع من طلبة عدة كليات في جامعة كربلاء يوم الثلاثاء ٩ / شوال / ١٤٣٨ المصادف ٤ / ٧ / ٢٠١٧.

إيجابي في حياة الانسان لكنها كلما كانت سريعة كانت أجدى في زوال اثر المعصية والعودة الى الاستقامة.

روى الشيخ الصدوق في الفقيه بسنده عن الامام الصادق عليه السلام ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال في آخر خطبة خطبها (من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثم قال: ان السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: ان الشهر لكثير، ومن تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه، ثم قال: ان الجمعة لكثيرة، ومن تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثم قال: ان يوم لكثير، ومن تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال: ان الساعة لكثيرة، ومن تاب وقد بلغت نفسه هذه – وأهوى بيده الى حلقه – تاب الله عليه)[1]

ومثل الآية محل البحث آيات عديدة كقوله تعالى (وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام:٥٤) ومثلها (النحل /١١٩) .

وهذا لا يعني غلق الباب على غيرهم فرحمة الله تسع الجميع، ففي أصول الكافي بسند صحيح عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (اذا بلغت النفس ها هنا ـ وأشار الى حلقه ـ لم يكن للعالم توبة، ثم قراء (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ)[2] لكن هذه الآية تذكر شرطي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه قبولها وهما التوبة من قريب وان يكون صدور الذنب بجهالة. اما الذين لا يبادرون الى

(١) الفقيه: ١٣٣/١ ح ٣٥١

(٢) الكافي: ٣٧/١ ح ٣

التوبة ويؤجلونها ثم يتوبون قبل ان يدركهم الموت فهؤلاء موكولون لأمر الله تعالى، قال سبحانه (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة:١٠٦) فهؤلاء صنف بين من تقبل توبتهم حتماً ومن لا تقبل وهو من لا يتوب حتى ينزل به الموت.

والجهالة هنا ـ كما في الموارد القرآنية الأخرى ـ ليست مقابل العلم لان الجاهل بحرمة شيء قد يكون معذوراً ولأنها قد تطلق على العالم أيضاً وقد وصفت حال الأمم قبل الإسلام بالجاهلية مع ان فيهم من بلغ من العلوم والحضارة المادية مرتبة متّقدمة، وانما تعني الحماقة والسفاهة والنزق وعدم الحكمة في التصرف وعدم وضع الأمور في موضعها الصحيح والانسياق وراء الشهوات والنزوات بلا تعقل، روى العياشي في تفسير هذه الآية عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (يعني كل ذنبٍ عمله العبد وان كان به عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه، وقد قال فيه تبارك وتعالى يحكي قول يوسف لاخوته (قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ) (يوسف:٨٩). فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله)[1] قال تعالى (أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (البقرة:٦٧) وكأنه اعتبر عدم انتفاعه بعلمه كعدم العلم وقد قال الراغب في معاني الجهل ((فعل الشيء بخلاف ما حقّه ان يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا او فاسدا)).

وكأنه أريد بهذا القيد (بجهالة) إخراج مرتكب الذنوب عناداً وتمرداً واستكباراً على رب العزة والجلال وإنكاراً لقدرته تعالى.

---

(١) تفسير العياشي: ٢٢٨/١ ح ٦٢.

وينبغي الالتفات الى ان هذا الوعد الإلهي الكريم لا يصح ان يكون سبباً لاغترار[١] الانسان واستخفافه بمقام ربه تعالى، وانما عليه ان يستعصم بالله تعالى ويطلب منه العون على تجنب الذنب اصلاً، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (ترك الذنب اهون من طلب التوبة)[٢] ولكن لو حصل الذنب فالمطلوب المبادرة الى التوبة وإصلاح الحال لكي يكون مشمولا بالآية الكريمة ولان الاستمرار على الخطأ والخطيئة يصعّب العودة ويعقّد الوضع وتكون النتيجة عدم التوفيق للتوبة. من وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبن مسعود (لا تقدِّم الذنب ولا تؤخر التوبة، لكن قدِّم التوبة وأخرّ الذنب)[٣]، ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) (لاتكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويُرجئ التوبة بطول الامل ... إن عرضت له شهوة أسلف المعصية ـ أي عجّلها ـ وسوّف التوبة)[٤] وله (عليه السلام) أيضاً (إن قارفت سيئة فتعّجل محوها بالتوبة)[٥]

وأذكر لكم رواية تبيّن صعوبة التوبة بالتأخير وهي تتعلق بأحد الذنوب الكبيرة التي كثر الابتلاء بها وهو الدخول في اعمال الظالمين والفاسدين وسرّاق المال العام طمعاً بالاستفادة من دنياهم، سواء كان هؤلاء الظلمة قادة سياسيين او رؤساء عشائر او تجار ورجال اعمال او زعماء جماعات القتل

---

(١) راجع خطاباً سابقاً في تفسير قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).

(٢) بحار الانوار: ٣٤٦/٧٣ / ح ٩٦.

(٣) مكارم الاخلاق ص ٢٩، بحار الانوار: ١٠٤/٧٧ ح ١.

(٤) بحار الانوار: ٦/ ٣٧ ح ٦٠.

(٥) بحار الانوار: ٧٧ / ٢٠٨ ح ١.

والخطف والابتزاز وقبض الرشاوي ونحو ذلك، وقد وردت الروايات الكثيرة الدالة على الحرمة المغلّظة للدخول في أعمالهم، منها عن ابي بصير قال (سألت ابا جعفر الباقر (عليه السلام) عن أعمالهم ـ أي الولاة الظلمة ـ فقال لي: يا أبا محمد، لا ولا مدة قلم، ان أحدهم (أحدكم) لا يصيب من دنياهم شيئاً الا اصابوا من دينه مثله)[1].

فالحذر الحذر من الدخول في شيء من ذلك ومن تورّط فعليه بالإسراع في الخروج منها والا فان الرجوع الى الحق سيكون صعباً، روى الشيخ الكليني بسنده عن حميد قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): اني ولّيت عملاً ـ أي من اعمال الظالمين وولاياتهم ـ فهل لي من ذلك مخرج؟ فقال: ما أكثر من طلب المخرج من ذلك فعسر عليه، قلت: فما ترى؟ قال: ارى ان تتقي الله عز وجل ولا تعد)[2].

ولكي نعرف كيف يصعب الحل ويصبح ثقيلاً جداً على النفس الاستجابة اليه، نقرأ الرواية التالية من الكافي بسنده عن علي بن ابي حمزة قال (كان لي صديق من كتاب بني أمية فقال لي: استأذن لي على أبي عبدالله (عليه السلام) فاستأذنت له، فأذن له، فلما ان دخل سلم وجلس، ثم قال: جعلت فداك أني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيرا، وأغمضت في مطالبه – أي لم أدقّق في كون مصدره حلالاً أو حراماً – فقال أبو عبدالله (عليه السلام): لو لا ان بني أمية وجدوا لهم من يكتب ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا

(١) الوسائل:١٧/١٧٩ أبواب ما يكتسب به باب ٤٢ ح ٥.

(٢) الوسائل: ١٧/١٨٩ الباب ٤٥ عسر التوبة ح ٥.

شيئا الا ما وقع في أيديهم) وهكذا كل الطغاة والظالمين والفاسدين لولا انهم وجدوا من يمكّنهم ويسلطّهم بالقوة او بالانتخابات لما وجدوا مجالاً لممارسة الظلم والفساد لانهم لا يملكون القدرات الذاتية التي تمكّنهم من فعل شيء كشرذمة بني امية وسائر الطواغيت والظلمة (قال: فقال الفتى: جعلت فداك فهل لي مخرج منه؟ قال: ان قلت لك تفعل؟ قال: أفعل، قال له فأخرج من جميع ما كسبت في ديوانهم فمن عرفت منهم) أي من أصحاب الحقوق المالية (رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به، وانا أضمن لك على الله عز وجل الجنة، فاطرق الفتى طويلاً) لان المطلوب منه صعب عسير وقد تعوّد على وضع اجتماعي ومالي لا يستطيع الخروج منه الا ذو حظ عظيم وهذا معنى قولنا ان التوبة تصعب بالتأخير (ثم قال له: لقد فعلت جعلت فداك. قال أبن ابي حمزة: فرجع الفتى معنا الى الكوفة فما ترك شيئاً على وجه الأرض الا خرج منه حتى ثيابه التي كانت على بدنه قال: فقسمت له قسمة واشترينا له ثياباً وبعثنا اليه بنفقة، قال: فما اتى عليه الا أشهر قلائل حتى مرض) وربما كان مرضه لثقل الهم والشعور بالمسؤولية امام الله تعالى وضريبة الغفلة التي كان فيها قبل أن يستيقظ (فكنا نعوده، قال: فدخلت يوماً وهو في السوْق[1] قال: ففتح عينيه ثم قال لي: يا علي وفى لي والله صاحبك، قال: ثم مات فتولينا أمره، فخرجت حتى دخلت على أبي عبدالله(عليه السلام)، فلما نظر الي قال لي: يا علي وفينا والله لصاحبك، قال: فقلت صدقت جعلت فداك هكذا والله قال لي عند موته.)[2]

(١) أي حالة الاحتضار ونزع الروح فكأنها تُساق لتخرج من البدن .

(٢) وسائل الشيعة: ١٧ / ١٩٩ ، أبواب ما يكتسب به، باب ٤٧ ح ١.

أقول: وهكذا في سائر الامور علينا المبادرة الى اصلاح الخطأ ومعالجة الخلل قبل ان يتسع ويتعذر إصلاحه، مثلاً يحصل خلاف وسوء تفاهم بين شخصين كالزوجين أو الاخوين أو بين جماعتين، فعليهم ان ((يعبروا النهر ما دام ضيقاً)) كما في المثل العامي اما اذا استمروا في الخلاف وتدخلت عناصر أخرى بالقيل والقال فان المشكلة تستعصي على الحل.

ومما يزّيد صعوبة التوبة ايضاً فيما لو تسبّب بتوريط الاخرين في الظلم والمعصية والضلالة كدعاة الفسق والفجور والالحاد والعزوف عن الدين وتشويه صورة الصالحين وتسقيطهم او دعوة الناس الى اتباعه بغير استحقاق ونحو ذلك لان من شروط التوبة حينئذ ان يصحّح ويعالج كل ما تسبب به ويلاحقه أينما كان. وهذا قد يستحيل تحقيقه وليس له الا لطف الله تعالى وكان عليه ان يتورع من اول الامر ولا يتورط بأمثال هذه المعاصي فيصبح ضالاً ومضلاً.

خطاب المرحلة

(٥٢٣)

وصية الامام الحسن السبط (عليه السلام) عند وفاته[١]

للإمام الحسن السبط المجتبى (عليه السلام) وصايا جليلة قالها قبيل وفاته (عليه السلام) رواها في كتاب كفاية الأثر[٢] بسنده عن جنادة بن ابي أمية قال (دخلت على الحسن بن علي ابن أبي طالب (عليهما السلام) في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاه معاوية لعنه الله فقلت: يا مولاي مالك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا اعالج الموت؟ قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم التفت إلي فقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماما من ولد علي وفاطمة، مامنا إلا مسموم أو مقتول، ثم رفعت الطست وبكى صلوات الله عليه واله. قال: فقلت له: عظني يا ابن رسول الله، قال: نعم) ولم يبخل الامام (عليه السلام) بالنصيحة وهو في ذلك الحال المؤلم على من أراد أن يستثمر اللحظات الأخيرة من وجوده المبارك فقال (عليه السلام).

(استعد لسفرك) فنحن في هذه الدنيا على جناح سفر الى الآخرة لا نعلم متى يعلن ملك الموت عن الرحيل كالمسافرين المنتظرين في قاعة المطار

---

(١) موعظة تحدث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه يوم السبت ٢٩ / رمضان / ١٤٣٨ المصادف ٢٤ / ٦ / ٢٠١٧

(٢) وأوردها عنه المجلسي في بحار الانوار: ١٣٨/٤٤

وينادى بهم تباعا. بحسب الرحلات المتوجهه الى مختلف الدول، فيقوم من يحين موعد طائرته ليغادر وقد شبّه الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الموت بالسفر عندما جاء لتعزية ذوي ميت فقال (عليه السلام) ما مضمونه (ان صاحبكم هذا الميت كان يسافر في حياته فاجعلوا رحيله هذا مثل احدى السفرات فان لم يعد من سفره هذا فأنتم تمضون اليه)

(وحصِّل زادك قبل حلول أجلك) فان السفر يحتاج الى زاد ومؤونة مناسبة له وهكذا جرت سيرة العقلاء في اسفار الدنيا فانهم يجهزون كل ما يحتاجونه في السفر الى مقصدهم وإن كانت الحاجة اليه ضئيلة، فكيف بسفر الآخرة الذي لا رجوع بعده وفيه من الاهوال والشدائد ما لا يعلمه الا الله تعالى، فالعاقل لا يفرّط بأي لحظة من غير الاستعداد لهذا السفر، وقد نبأنا الله تعالى عن الزاد النافع في هذا السفر، قال تعالى (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) (البقرة:١٩٧) وفي رواية ان أمير المؤمنين (عليه السلام) لما رجع من صفين واشرف على القبور بظاهر الكوفة خاطبهم بكلمات منها ((يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة)) الى أن قال ((هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟!)) ثم التفت الى أصحابه فقال ((اما لو أُذِن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى))[1].

(واعلم انك تطلب الدنيا والموت يطلبك) وسيدرك الموت طلبه ((أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)) (النساء:٧٨) فعليكم ان لا يشغلكم طلب الدنيا عن الاستعداد له قبل أن يصلكم، في دعاء ليلة ٢٧ من شهر

(١) نهج البلاغة، قصار الكلمات، رقم ١٣٠.

رمضان ((اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت)) فأجعل طلبك للدنيا وما يحصل لديك منها في ما يرضي الله تعالى فان الدنيا مزرعة الآخرة.

(ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على اليوم الذي انت فيه) هذا منطق عقلائي فلا تقلق ولا تحزن لأمور لم تحصل بعد وهي مجرد احتمالات وعش يومك الذي انت فيه، وكذلك على صعيد الطاعة فلا تستكثر مؤونتها فتضعف ارادتك وتترك العمل، كمن يستثقل صوم شهر رمضان لان الجو حار وعلى مدى ثلاثين يوماً، ولكنه لو التفت الى أنه حقيقة وفعلاً يلزمه مؤونة اللحظة التي هو فيها. لان ما قبلها قد انتهى وما بعدها لم يتحقق لذا ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (الشجاعة صبر ساعة)[1] أي الساعة التي أنت فيها فلا تجمع على نفسك همّ الماضي والحاضر والمستقبل فتنهار.

(واعلم أنَّك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك) لان أموال الانسان مهما كثرت فانه لا يصله منها الا ما أنفق على نفسه أو قدّمه لآخرته اما الباقي فهو مجرد خازن له سيتركه الى ورثته ليهنأوا به ويتحمل هو تبعته واوزاره. وهذه حقيقة دامغة لكل من يكون همّه جمع المال وزيادة ارصدته من دون الالتفات الى مشروعية كسبه أو اخراج حق الله تعالى منه وإنفاقه في وجوه البر والإحسان ليكون ذخراً له في آخرته (وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ) (البقرة:١١٠)، روت عائشة: (أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) ما بقي منها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال : بقي

(١) البحار: ٧٨ / ١١ / ٧٠.

كلُّها غير كتفها)[1]، لأنه بإنفاقها يكون قد ابقاها وعزّز رصيده عند الله تعالى، فالذي أنفقه أبقاه وقدمه لآخرته ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ [البقرة : ١١٠] والذي لم ينفقه لم يستفد منه.

(وأعلم ان في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب) هذه هي الاحتمالات المتصورة في وصف ما نكسبه من هذه الدنيا وفي أحسن حالاته يكون حلالاً وهو لا عقوبة عليه لكن الحساب عليه يطول كلما ازداد ماجناه وطول الحساب بحد ذاته فيه مشقة وعسر في يوم القيامة المهول، اما اذا كان شبهة فلا يعاقب أيضاً لكنه يعاتب لأنه كان عليه التثبت قبل اقتحام الشبهات، والعتاب من الرب الرحيم الكريم الودود له وقع قاسي على العبد الفقير المحتاج المضطر، اما اذا كان حراماً فالويل والثبور له.

ثم يوجه الامام (عليه السلام) نصيحته في كيفية التعامل مع الدنيا (فانزل الدنيا بمنزلة الميتة: خذ منها ما يكفيك، فأن كان ذلك حلالاً قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فان العتاب يسير) فليكن تعاملك مع الدنيا كما تتعامل مع الميتة فانك تستقذرها وتتجنّبها ولا تنال منها الا عند الاضطرار وبمقدار الضرورة.

وهذه النصيحة تكون أأكد لمن لا يثق من نفسه أنه يؤدي لله تعالى حقه فيما يصل اليه، اما الواثق المطمئن – ووجوده نادر – فان زيادة الدنيا تكون خيراً له ولغيره لانه سيضعها في محلّها وسيكون شيئاً لسعادة الآخرين وإعزاز

(١) رواه الترمذي شرح كتاب رياض الصالحين-٦٠ باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى.

الدين ففي الحديث عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (الدنيا مزرعة الآخرة)[١].

(واعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) فعليك ان تحقق هذا التوازن في حياتك فلا تفهم من المواعظ السابقة على أنها تدعوك الى اعتزال الحياة والمجتمع والانغلاق على نفسك لان المطلوب منك ان تؤدي دورك في اعمار هذه الحياة مادياً ومعنوياً وكأنك باقٍ فيها (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود:٦١) وفي الحديث الشريف: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)[٢] لكن من دون ان يشغلك عملك عن الاستعداد للآخرة لأنك لا تعلم متى يفاجئك الموت وتنتهي فرصة اكتساب الحسنات.

(واذا اردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته الله عزوجل) هذه هي الحقيقة وما عداها وهم فان العزة والهيبة لله ولرسوله وللمؤمنين، وليست بالمال او السلطة او الجاه أو كثرة الاتباع فان عزتها وهيبتها وهمية مرتبطة بوجود هذه العناوين وتزول بزوال تأثيرها عند المتملقين والمنافقين وذوي الاطماع وحادثة الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أوضح شاهد على ذلك عندما تقدم نحو الحجر الأسود ليلثمه فانفرج الحجيج سماطين وتقدم بكل عزة وهيبة بينما حاول الملك الأموي المتفرعن هشام بن عبد الملك بكل جهده وجيشه واعوانه أن يشق له طريقاً نحو الحجر فلم يستطع، وحينئذٍ تفتقت قريحة الشاعر الفرزدق عن قصيدته الميمية المشهورة.

---

(١) أورده الغزالي في كتابه احياء علوم الدين.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٦٨/١) عن أنس بن مالك.

ثم بدأ الامام السبط (عليه السلام) بذكر اوصاف الصديق الصدوق الذي تتخذه لنفسك (وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك وإن صلت شد صولك وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن بدت عنك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك وإن نزلت إحدى الملمات به ساءك. من لا تأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسما آثرك) أي اذا اردت تقسيم شيء مشترك بينكما كميراث أو مال شركة تجارية فضلّك على نفسه عند الاختلاف في مقدار منها.

(قال: ثم انقطع نفسه واصفر لونه، حتى خشيت عليه، ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود فانكب عليه حتى قبل رأسه وبين عينيه، ثم قعد عنده فتسارا جميعا، فقال أبو الأسود: إنا لله إن الحسن قد نعيت إليه نفسه).

خطاب المرحلة

(٥٢٤)

بمناسبة تحرير الموصل[١]

الحمد لله على نصره بطيّ صفحة من صفحات الضلالة والانحراف والتكفير والخروج عن كل القيم والمبادئ الإنسانية والسماوية، من خلال تحرير مدينة الموصل والمناطق المجاورة لها من دنس الدواعش وقتل الالاف منهم، وإنما قلت: طيّ صفحة، لان الحرب لم تنتهي، وإنما انتهت معركة منها وفصل من فصولها وإن كان صعباً ومؤلماً بكثرة خسائر في الأرواح وتهجير مئات الالاف من الأبرياء وتدمير مظاهر الحياة، وان الحرب مستمرة لوجود دوافعها وظروفها واجندات اللاعبين الاقليميين والدوليين. كما ان داعش لم تكن الا حلقة من سلسلة هذه المصنوعات التي تبتكرها تلك الاجندات الشيطانية الماكرة وترسلها معلبة إلى هذه الشعوب المسكينة، فبالأمس كانت القاعدة وهناك جبهة النصرة وغيرها من المسميات العديدة لكن المحتوى والهدف واحد، وكلما انتهى مفعول واحدة منها أتوا بغيرها لعنهم الله تعالى (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ) (البقرة:٢١٧).

فالنصر الكامل لم يتنجز والمعالجة الكاملة لم تتحقق لان النصر العسكري أحد وجوهها، ويبقى علينا مواصلة الجهاد الفكري لإستئصال جذور

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع أحد أفواج الحشد الشعبي من قوات وعد الله الذين شاركوا في معارك تحرير صلاح الدين والانبار والموصل يوم الثلاثاء ١٦ / شوال / ١٤٣٨ المصادف ١١/ ٧ / ٢٠١٧.

التكفير والانانية والجهل والتخلف ورفض الآخر والتكبر والعناد وغير ذلك من الامراض والاغلال.

ومواصلة جهاد البناء والاعمار وتحسين الأوضاع الخدمية وإعادة النازحين إلى ديارهم وإيجاد فرص عمل للعاطلين ومكافحة الفساد المالي والإداري ونحو ذلك.

ووضع أسس رصينة ومبادئ أساسية لحوار سياسي فعّال يعالج الازمات ويحلّ الخلافات ويعطي لكل ذي حق حقه، وعدم اعتماد العنف والإرهاب والاقصاء كوسائل للتمدد على حساب الآخر.

ومواصلة الجهاد الأكبر أي جهاد النفس وإصلاحها بالعودة الى الله تعالى وإخلاص العمل له ونشر فضائل الاخلاق ونبذ رذائلها وتطهير المجتمع من الفواحش والمنكرات إذ لا قيمة لأي عمل وأي نصر واي مكاسب الا بمقدار ارتباطها بالله تعالى ونيل رضاه سبحانه، وهذا ما يميزّنا عن غيرنا من المتصارعين (وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ) (النساء:١٠٤).

وهذه المعالجات شخصّناها منذ اليوم الأول لسقوط الموصل وسجلّناها في بيانات متعددة وكان منها تأسيس جيش عقائدي مخلص يكون رديفاً وسنداً للقوات النظامية ويقوّي عزيمتهم ومعنوياتهم حيث تشكلت على إثرها قوات الحشد الشعبي وافواج المجاهدين المتطوعين التي اعادت توازن الرعب مع العدو المندفع الذي خدع اتباعه وعبّأهم بعقيدة راسخة فلا يمكن مواجهتهم الا بعقيدة صالحة أرسخ منها، وأظهرت المعارك ان الانتكاسة التي اصابت القطعات العسكرية حين هجوم الارهابين على الموصل في حزيران ٢٠١٤

كانت لإفتقاد العقيدة المخلصة فوقعت تلك القوات ضحية قرارات ومواقف الفاسدين الذين كانوا في مواقع المسؤولية آنذاك، لكنهم اليوم لما تسلحوا بالعقيدة حققوا الإنجازات التي وقف لها العالم اجلالاً واعجاباً واعترف قادة القوى العظمى انها الحرب الاعنف منذ الحرب العالمية الثانية. وكانت بطولاتهم في ميدان العمل الإنساني لا تقل عنها في العمل العسكري.

وبفضل الله تعالى ووحدة القوات المقاتلة وتضحياتهم وصبرهم ومرابطتهم تحقق النصر المؤزّر، لذا فان أولى من يهنّأ ويبارك له بهذا الانتصار وتزف له البشرى هي أرواح الشهداء الابطال وهم في عليّين عند ربهم يرزقون وعوائلهم الصابرة المضحيّة والجرحى والمقاتلين الذين لازالوا مرابطين في خطوط المواجهة، من مقاتلين وقوافل اسناد.

ويجب ان تكون معطيات وترتيبات ما بعد داعش في إطار الوفاء لتلك الدماء الغالية والتضحيات الجسيمة وعدم إرجاعنا إلى المربع الأول فنبدأ من رعاية عوائل الشهداء وتوفير أسباب الحياة الكريمة لهم، ومعالجة الجرحى وتعويضهم ، وتكريم القوات المسلحة الظافرة بكل صنوفها، وإعمار مدن هؤلاء الفاتحين وتوفير الفرص لشبابهم العاطلين كما نفكر بإعمار المدن المحررة، لان البؤس الذي تعيشه مدن المحرِّرين - بالكسر - لا يقل عن خراب مدن المحرَّرين - بالفتح -.

وأن لا نسمح بأن يقطف ثمرة النصر انتهازيون وتجار أزمات ومنافقون يعقدون المؤتمرات هنا وهناك لتقاسم كعكة النصر والقضاء على الوحوش وهم كانوا أحد أسباب تسلّط داعش وامثالها وتوفير البيئة المناسبة لدخولهم

بتأجيج الفتن وزرع المخاوف وبث الاباطيل فكانوا جزءاً من هذا المشروع التدميري الذي كان اول ضحاياه أبناء المدن التي أحرقوها بفتنتهم وهم يزعمون انهم يدافعون عنهم، وبعد ان انتهت الفتنة بفضل الله تعالى وتضحيات المخلصين تنادوا ليتقاسموا ما يقرّره مؤتمر المانحين لإعمار المدن المدمّرة.

فيجب عليكم أيها الاخوة ان تكونوا يقظين واعين لما يفعله هؤلاء ولمن يداهنهم ويجاملهم ويتنازل لهم تحت شتى العناوين والمبررات الخادعة التي باعونا بها ولا تسمحوا بتضييع تلك التضحيات الجسيمة التي عزّ علينا التفريط بها لولا أنها بعين الله تعالى كما قال الامام الحسين (عليه السلام) (هوَّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى)[1].

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٣٢، الكامل في التأريخ ٢: ٥٧٠.

خطاب المرحلة

(٥٢٥)

المشروع الإسلامي بين الماضي والحاضر[١]
حركة السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس) نموذجاً

لقد كانت قضية إرجاع الناس الى ربهم ودينهم وتثبيت قيمومة القرآن ومرجعية الإسلام في تنظيم شؤون الامة كلها من اهم المشاريع التي كان يتطلع السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس) لتحقيقها وهذا الهم الرسالي ليس مستغرباً ممن عاش في كنف الشهيد الصدر الأول (قدس) وتربى على يديه علمياً وفكرياً واجتماعياً خصوصاً بمثل قرب الشهيد الصدر الثاني وقرابته والتصاقه به.

وهي في الحقيقة رسالة الأنبياء والائمة (صلوات الله عليهم أجمعين) (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ) (الأحزاب:٣٩) وقد لخصّها النبي شعيب عليه السلام فيما حكى الله تعالى عنه في القرآن الكريم بقوله (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود:٨٨) ولا يصلح أمر الامة الا بالرجوع الى الله تبارك وتعالى ونبذ ما سواه والا بالعودة الى اسلامها النقي والاصيل كما ورد في مضمون بعض الاحاديث الشريفة (لا يصلح أمر أواخر هذه الامة الا بما صلح

---

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في الندوة التي أقامها مركز عين للبحوث والدراسات المعاصرة بمناسبة ذكرى استشهاد السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس) مساء الجمعة ١١ / ذو القعدة / ١٤٣٨ الموافق ٤ / ٨ / ٢٠١٧ وحضرها جمع كبير من فضلاء الحوزة العلمية وأساتذة الجامعات والمثقفين والطلبة المشاركين في الدورة الصيفية السريعة.

به أوائلها)[١].

وقد صلح أمر الامة بالإسلام والتمسك بالقرآن واتباع النبي (صلى الله عليه وآله) في أقواله وافعاله فيكون صلاحها اليوم وغداً بنفس هذا العلاج.

وكان السيدان الشهيدان الصدران ممن ورث هذا النهج في الزمن المعاصر حيث لا تخلو الأرض ممن يقوم بحمل هذه الرسالة في كل جيل كما في الحديث الشريف الذي رواه الامام الصادق (عليه السلام) قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير – وهو ما ينفخ به الحداد – خبث الحديد)[٢].

لما عرض عليه ان يُغادر العراق كسائر طلبة الشهيد السيد محمد باقر الصدر وخواصه للتخلص من بطش النظام الذي كان يلاحقهم بالتصفية والاعتقال، أجاب: ((ان بقائي هنا في النجف وتعليم جاري سورة التوحيد خير مما احصل عليه بخروجي من العراق)).

عندما كنّا نتبادل الأفكار النهضوية والمشاريع الإصلاحية وهموم العمل الاسلامي من خلال رسائل في ثمانينات القرن الماضي ـ حيث كنّا سوية في إقامة جبرية ـ وطبعتها في كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) و (قناديل العارفين) اعترضت على التخريجات الفقهية لبعض الظواهر المخالفة لروح الشريعة كجواز أخذ الفوائد المصرفية وفق تكييف شرعي معّين واعتبرته –

(١) راجع كتاب شكوى القرآن.

(٢) بحار الانوار: ٩٣/٢ ح ٢٢ عن رجال الكشي بسنده عن إسماعيل بن جابر.

وقد كنت شاباً متحمساً ومندفعاً – تحايلاً على الشريعة وتعويقاً لمشروع إقامة النظام الإسلامي فأيد (قدس) ذلك، رغم دفاعه عن الفقهاء وانهم يحاولون قدر الإمكان حماية الناس من الوقوع في المخالفة الشرعية وذكر في جوابه كلمة مختصرة الا انها قيمه وتختزن مشروعاً كاملاً فقال عن هذه التخريجات، ((إنها تعتبر تنزيلاً للدين الى مستوى الناس بينما ينبغي علينا تصعيد الناس الى مستوى الدين، وإنها تعتبر بشكل وآخر تنفيذاً او إجازة للوضع القائم المفروض على البلاد الإسلامية من قبل اعدائه))[1].

وهذا من الفروق الجوهرية بين خط المرجعية الرسالي الحركي الواعي الذي ينتمي إليه الشهيدان الصدران وبين الخط التقليدي وأيضاً بين الفقه الفردي المتعارف في الرسائل العملية وبين الفقه الاجتماعي أو فقه النظرية الذي ندعو إليه.

وكان (قدس) لا يرى في وضعه الذي كان عليه في تلك الفترة مجالاً للقيام بحركة إصلاحية واسعة، إلى أن أُتيحت له الفرصة للانطلاق بالمشروع بعد ان انفرجت الأمور نسبياً ببركة الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١ فتصدّى للمرجعية لأنه يعلم انها البوّابة المعتمدة من قبل الائمة المعصومين (عليهم السلام) لقيادة الأمة والأخذ بيدها نحو السعادة والصلاح، ولم ينطلق من باب آخر كالحركة الجهادية لإسقاط النظام أو تشكيل الأحزاب السياسية غير المنضبطة بايقاع المرجعية أو الاستعانة بالاجنبي لإحداث التغيير ونحو ذلك من الأساليب التي اتبعها غيره.

(١) الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه: ٩٦، واشكالي مذكور هناك.

وكانت من ادواته لإحداث هذه الحركة المباركة:

١- توسيع قاعدة الحوزة العلمية لانها بعلمائها وفضلائها وخطبائها ومبلّغيها واساتذتها وطلبتها من يقودون المشروع الرسالي، لذا شجع الشباب على الانضمام الى الحوزة العلمية للتفقه في الدين والعودة الى مجتمعاتهم لنفعهم دينياً ودنيوياً انطلاقاً من الآية الشريفة (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّين وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة:١٢٢). وكان يعبرّ عن رغبته بوجود معمم في كل بيت وليس فقط في كل محلّة أو مدينة وهو أمر ممكن تفعله بعض العوائل حيث يشتغل افراد الاسرة بالكسب ويفرغّون أحدهم لطلب العلوم الدينية وهم يكفلون معيشته، لذا شهدت الحوزة العلمية في فترة مرجعيته اقبالاً واسعاً من الشباب العراقيين.

وكان يحب الحوزة العلمية ويسعى لخدمتها، جاء له أخي المرحوم الشيخ علي في أوائل مرجعيته بمبلغ معتد به من الحقوق الشرعية لأحد رجال الأعمال فاستأنس كثيراً وقال بإعجاب هذا يعني ان مبلغ كذا سيصل إلى الحوزة.

وكان يحب الزي الديني ويحرص على الظهور به ويلزم طلبة العلم بارتدائه لان الزي له تأثير في إنجاح الوظيفة كما ترتدي القوات المسلحة وبعض الشرائح المهنية أزياء خاصة، ولم يتخل (قدس) عنه حتى في أحلك الظروف كالأيام التي تلت إجهاض الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ حيث لم يكن أحد يستطيع الظهور بالزي الديني بل نقل لي انه كان يرتديه في معتقل الرضوانية ويضع عمامته أحياناً تحت رأسه عندما ينام على الأرض في المعتقل.

٢- وسعى (قدس) إلى ان يقترن هذا النمو العددي بالتحسّن النوعي فجعل شروطاً للقبول تبدأ بجلب المتقدم لشهادتي تزكية من معتمدي المرجعية في مدينته ثم بمقابلة شخصية للثقافة العامة والمؤهلات ثم يجرى لهم امتحان تحريري في مسائل الفقه كنت اتولاه أنا، وكان مشروع (جامعة الصدر الدينية) تجربة طموحه لاحتضان النخب الاكاديمية ورفد الحوزة العلمية بها ليتحقق عندنا علماء وفضلاء في العلوم الدينية وهم اكاديميون متفهمون لمتطلبات الحياة المعاصرة.

٣- شد المجتمع الى المرجعية والحوزة وكان يؤكد على المجتمع ان ((لا تقولوا قولاً ولا تفعلوا فعلاً الا بعد مراجعة الحوزة)) ويعني بها المرجعية ومن يسير على نهجها من فضلاء الحوزة العلمية وكان يستشهد بالمثل القائل ((إن الناس تميل مع كل ريح)) ويتساءل: لماذا لا تكون ريح الحوزة هي الأقوى والمؤثرة حتى يميل الناس معها ويسيروا خلفها ولماذا ندع السياسيين أو الرياضيين أو الفنانين مثلاً هم أصحاب الصوت العالي الذي يتأثر به المجتمع.

ومن ابداعاته في هذا المجال إحداث الصعقات للمجتمع من خلال إصدار فتاوى تلفت نظر الناس وقد لا يكون منفرداً بها لكن طرحها بشجاعة للناس شدّهم إلى الفتوى الدينية وما يصدر من الحوزة العلمية كعدم مفطرية التدخين في شهر رمضان أو إثارة بعض السلبيات الموجودة في سلوك الخط التقليدي وتخلّيه عن بعض مسؤولياته وهكذا، وقد نجح بإيصال صوته حتى الى العجائز الاميات في اقصى مدن العراق.

٤- الاتصال المباشر مع الناس من دون اتيكيت أو حواشي أو حواجز ليسمع منهم مشاكلهم واسئلتهم وهمومهم واقتراحاتهم وليسمعوا منه الوعظ والإرشاد والأجوبة والتوجيهات لما يصلح أحوالهم حيث كان يستقبل الزوار المراجعين يومياً مرتين في مكتبه الشريف وسمح لجملة من المثقفين والاكاديميين بحضور درسه في تفسير القرآن الذي كان يلقيه يومي الخميس والجمعة في مسجد الرأس الشريف.

٥- مخاطبة فئات المجتمع كافة بشكل مباشر كالعشائر والموظفين والأطباء حتى الغجر وهذا الخطاب المباشر يؤثر أكثر من الخطاب العام كما هو واضح، لان المتلقي يشعر أن هذا له دون غيره.

٦- القيام بفعاليات ميدانية تعبوية تحفز الناس وتثير فيهم روح الحماس الديني وتعيد لهم الثقة بأنفسهم وتزرع عندهم الأمل بالتغيير والإصلاح وكان أبرزها الدعوة الى زيارة الامام الحسين (عليه السلام) مشياً على الاقدام في النصف من شعبان واستجاب لها جمع كبير مما أقلق السلطة الصدامية ودفعهم الى الضغط على السيد الشهيد (قدس) وتهديده بالقتل حتى يسحب الأمر بالمشي، وعلى أثرها بدأ النظام بالتفكير جدياً في التخلص من السيد الشهيد وترتيب عملية اغتياله التي تمت بعد ٣ أشهر تقريباً.

٧- العمل بكل وسائل التثقيف والتوعية التي تتفاعل معها الأمة كالاستفتاء والبيان والخطبة والكتيب والصحيفة ولم يكتفِ بتأليف الموسوعات والكتب المفصّلة، وكانت صحيفة الهدى التي صدرت في الأشهر الأخيرة من حياته الشريفة رغم بساطتها وبدائية طبعها الا ان الجماهير كانت تترقبها.

٨- التحذير من مؤامرات الاستكبار واعداء الإسلام التي تهدف إلى القضاء على مشروع الإسلام ومعالمه وهزيمته في النفوس واقصائه عن الحياة ويشير إلى المعلن والمخفي من تلك المؤامرة وفي احدى المرات أرفق مع رسالة له بحثاً ـ وكانت كلها بخط اليد يومئذ ـ عنوانه ((فلسفة الاحداث في العالم المعاصر)) خلاصته ان الصهيونية والماسونية هما المحرّكان للأحداث العالمية واستعباد الشعوب وتجاوز البحث أربعين صفحة وطلب تقييمه فأعدته إليه مع تعليقات وإضافات، أعجب بها فعلق عليها وأعادها جميعاً لكي ارتّب معلوماتها وقد نشرتها في كتاب ((الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه)) وكان محورها جميعاً هو التنبيه إلى المؤامرات على الإسلام حتى البسيطة منها، مثلاً كان ينتقد العادة الجارية باختصار الاسماء المركبة عند مناداة أصحابها فيقال (عِزّي) بدل (عزالدين) و(نوري) بدل (نورالدين) و(صدري) بدل (صدرالدين) وهكذا فكان يعتبرها مؤامرة على الدين واقصاء له بعلم أو بغير علم.

٩- الاستفادة من التغيرات الجيوسياسية التي حصلت في نهاية الثمانينات داخلياً وخارجياً أما داخلياً فتمثلت بتصدع قبضة النظام بدرجة ملحوظة اثر هزيمته في الكويت وفرض الحصار الدولي عليه واما خارجياً فمن خلال انهيار الاتحاد السوفيتي وحلفائه في حلف وارشو وتفرد الولايات المتحدة وسعيها لإقامة نظام عالمي جديد وعزّزته بتواجد اساطيلها وقواتها الضخمة في المنطقة بحجة تحرير الكويت وكان لهذا الزلزال تداعيات وهزات ارتدادية واسعة في المنطقة لم تظهر للعيان الا على مدى سنيين.

وقد كان البعد الدولي واحداث التوازن في الصراع مع النظام ومع قوى الاستكبار حاضراً في خطاب السيد الشهيد (قدس) في صلوات الجمعة وفي أحاديثه المختلفة ساعده على ذلك متابعته السياسية الطويلة ووجوده في قلب الاحداث ومن آثار تلك المتابعة ما ذكرناه في النقطة السابقة من بحثه القيم.

١٠- وبلغت الحركة ذروتها بإقامة صلاة الجمعة المباركة ذات الاثار العظيمة وما تضمنته من إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي أسمى الفرائض وأشرفها بحسب الحديث الشريف، وكانت هذه المبادرة هي الأبرز في حركة السيد الشهيد وأحداث النقلة الكبرى في وعي واخلاق الأمة، وقد كلفته حياته الشريفة.

ولم يغفل (قدس) توجيه أهل القلوب والنفوس المؤهلة للتقدم أكثر في طريق الإسلام والانقياد لله تعالى على مسلك تهذيب النفس وتطهير القلب ووصفه في بعض كلماته بأنه غاية الغايات، وله رسائل عديدة مفصلة في الخطوات العملية والنظرية أثارتها اسئلتي وقد جمعتها في كتاب قناديل العارفين.

لقد ساهم (قدس) مع استاذه وابن عمه السيد الشهيد الصدر الأول والعلماء العاملين الآخرين في إعادة رفعة الإسلام وعزة المسلمين وكرامتهم في وقت كان الصراع في أوجه بين الإسلام واعدائه وكان المتدينون يوصفون بكل عنوان منّفر كالتخلف والرجعية والعمالة للإمبريالية ونحو ذلك وأصبح من النادر أن تجد شاباً يصلي في المسجد أو فتاة جامعية محجّبة في سبعينيات القرن الماضي، نقل لي أحد الأخوة الإسلاميين أنه في ستينيات وسبعينيات

القرن الماضي قدمت له الهيئة التدريسية في الثانوية هديه لأنه مسلم (تقدمي)! وكأنها مفارقة غريبة أن يكون الإسلامي تقدمياً واعياً لأن غالب المثقفين كانوا من الملحدين واليساريين واللادينين حتى سقيت هذه الأرض المباركة بالدماء الزاكيات فأحياها الله تعالى بعد موتها (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج:٥).

لكن الإسلاميين على قلتهم كانوا قمماً في الرسالية والتضحية والشجاعة والأخلاق أجبرت اعتى جلاوزة النظام البعثي على الخشوع بين أيديهم، نقل لي الكاتب والمحقق المبدع الأستاذ يوسف الهادي عن زميله المذيع المشهور في إذاعة طهران الإسلامية المرحوم هاتف الجبوري الذي كان اسمه الحركي بشير الجزائري ـ وهما من الديوانية ـ انه كان معتقلاً في قبضة المجرم المقبور ناظم كَزار مدير الأمن العام الذي قلّ نظيره في الوحشية والقتل بأحواض التيزاب ومكائن الثرم وتعرض المرحوم الجزائري للتعذيب مع الكوادر الأولى لحزب الدعوة عام ١٩٧١ وعند تجوال المجرم داخل اقبية الظلمة للاطلاع على أحوال المعتقلين شاهد تعذيب المرحوم الجزائري وذهل لصموده فقال له متصاغراً امامه: ويلك تتحمل كل هذا التعذيب حتى يسجّل لك التاريخ هذا الصمود والشجاعة، أعلم ان التاريخ يحتاج إلى شهود ليشهدوا على احداثه ويكتبوها وانت من الذي يشهد لك في هذه الزنزانة المغلقة؟ ولا تتوقع من هؤلاء ـ وأشار الى رفاقه وحمايته وزبانيته ـ أن يشهدوا لك لأنني أعرف في أي شوارع تتسكع امهاتهم واخواتهم من البغايا، معترفاً بحقارته وأصله ومن معه.

هكذا كان الإسلاميون في شموخهم وإبائهم وعنفوانهم وتمسكهم بمشروع الإسلام رغم المخاطر العظيمة، اما اليوم فبالرغم من اتساع رقعة الإسلام وانتشار صيته وإقبال الشعوب على الإسلام، لكن الإسلاميين مهزومون ومأزومون لانهم غرقوا في حب الدنيا وطمعوا في الفتات الذي قدّمه العدو المستكبر فابتلعوا الطعم بما فيه من السم الزعاف فتخلوا عن مشروع الإسلام وأخذوا يهربون من الإسلام واحكامه خشية اتهامهم به وتجردّوا حتى عن العناوين الإسلامية إرضاءً للأسياد و للاستزادة من هذه الدنيا الزائلة، وكانوا وبالاً على المشروع الإسلامي.

إننا نواجه اليوم تحديات عظيمة بين مكائد الأعداء وهجماتهم الشرسة وخططهم الشيطانية وعدّتهم الهائلة وبين جهل المنتسبين إلى الإسلام وطمعهم في الدنيا وتخلفهم وتفرقهم عن حقهم.

فما احوجنا اليوم إلى نهضة رسالية مباركة تعيد للإسلام بريقه وللمسلمين عزتهم ورفعتهم ولجميع الناس كرامتهم وانسانيتهم ويجب ان لانسمح باختطاف الإسلام من قبل المتاجرين به وأن يبقى لواءه خفاقاً بيد أبنائه المخلصين العاملين الواعين وما ذلك على الله ببعيد.

خطاب المرحلة

(٥٢٦)

هل نستطيع تعجيل ظهور الامام المهدي (عليه السلام)*؟

روى الشيخ الكليني (رضوان الله تعالى عليه) بسنده عن سدير الصيرفي قال (دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقلت له: والله ما يسعك القعود[1]، فقال: ولمَ يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك والله لو كان لأمير المؤمنين (عليه السلام) ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي، فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قلت: نعم، ومائتي ألف، قال: مائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا، قال: فسكت عني) ... (ونظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر)[2].

إذن حين يجد الامام المعصوم أنصاراً بالعدد الكافي لإقامة دين الله تعالى في الأرض فأنه لايتوانى عن أداء تكليفه الشرعي استجابة لقوله تعالى

---

* من حديث سماحة المرجع مع حشد كبير من اعضاء مؤسسة الصادقين للفعاليات الميدانية التعبوية من مختلف المحافظات يوم السبت ١٢/ذق/١٤١٨هـ المصادف ٢٠١٧/٨/٥.

(١) لاحظوا كيف يجعل هذا الشخص نفسه قيِّماً على أفعال الامام المعصوم ويعيّن له تكليفه متى يتحرك ومتى يسكن، وأمثال هذا كثيرون.

(٢) الكافي / باب في قلة عدد المؤمنين / ح ٤.

(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) (الشورى:١٣) وتلزمه الحجة بذلك، وهو ما صرّح به أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته المعروفة بالشقشقية (لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها)[١].

والامام المهدي (ارواحنا له الفداء) ينتظر الإذن من الله تبارك وتعالى بإظهار أمره والسعي لإقامة الحق والعدل وينتظر تحقّق النصرة من الشيعة والموالين وبمقدار تحقيقنا لهذا الشرط نكون قد ساهمنا في تعجيل الظهور المبارك لذا أمرنا بالإعلان عن هذه النصرة بين يدي المعصومين وتكررت فقرة (ونصرتي لكم مُعدَّة) في زيارات وادعية عديدة[٢].

لكن علينا ان نلتفت إلى ان النصرة لا تعني حمل السلاح والمبادرة للقتال فهذا أمر قد أصبح متاحاً حتى للأطفال في ارجاء العالم، وقد يكون وبالاً على الأمة حينما لا يكون منضبطاً بقوانين الشرع والعقل وتحوّل بعض المسلحين إلى جماعات قتل وخطف وابتزاز وضغط لتحصيل مكاسب دنيوية.

وإنما تعني النصرة: الطاعة والاتباع المطلق والتسليم لما يريده الله تبارك وتعالى، فيملك نفسه عند الغضب وعند الشهوة ولا تغريه المطامع ولا يفقد

(١) نهج البلاغة / ج ١ / ص ٣١ / الخطبة ٣.

(٢) مثلاً في زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) (مفاتيح الجنان: ٥٦١ طبع العتبة الحسينية) وزيارة الأربعين: ٧٧٤ وفي دعاء العهد: ٨٧٩ وفي زيارة الجامعة الكبيرة: ٨٩ و زيارة آل ياسين.

اتزانه في البلايا والصعوبات ويتصرف بحكمة ويجعل الله تعالى نصب عينيه، هذه النصرة والمعونة التي حددّها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعِفّةٍ وسداد).

روايات تنموية

(١)
الغضب للّه تعالى شرط صدق الايمان(١)

في كتاب الكافي بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها[٢] فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع فقال: أحد الملكين لصاحبه: أما ترى هذا الداعي؟ فقال: قد رأيته ولكن أمضي لما أمر به ربي، فقال: لا ولكن لا أحدث شيئا حتى أراجع ربي فعاد إلى الله تبارك وتعالى فقال :يا رب إني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلانا يدعوك ويتضرع إليك، فقال: امض لما أمرتك به فإن ذا رجل لم يتمعر[٣] وجهه غيظا لي قط)[٤]

وفي مصدر آخر ان الله تعالى عذب الملك الذي راجعه لأنه كان يجب عليه التنفيذ مباشرةً حيث وصف الله تعالى الملائكة (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (النحل:٥٠)

وفي الكافي والتهذيب عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (أوحى الله تعالى الى شعيب النبي (عليه السلام): اني معّذب من قومك مائة الف، أربعين الفاً من

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع أساتذة وطلبة المدرسة القرآنية في حي الغزالية ببغداد يوم الأربعاء ٢٣/ج١٤٣٨/٢ المصادف ٢٠١٧/٣/٢٢

(٢) حيث كانت الأمم السابقة تعاقب بعقوبات جماعية كما يحكي القرآن الكريم عن عدة حالات منها واعفيت الامة الخاتمة من ذلك.

(٣) لم يتمّعر وجهه: أي لم يتغير الى الصفرة

(٤) الكافي: باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر،ح٨

شرارهم وستين الفاً من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل اليه: داهنو اهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي)[1]

أقول: هذان الحديثان وأمثالهما يشيران الى ان الايمان لا يكون كاملاً مستوفياً لحقيقته بمجرد الاتيان بالأعمال الدينية الظاهرية، وان معيار صدق الايمان والإخلاص لله تعالى وتوفر حقيقته في قلب الانسان هو الغضب لله تعالى اذا عصي وانتهكت احدى المقدسات او ظلم انسان، أو حصل تقصير في حق من حقوق الله تعالى فالمؤمن الصادق لا يسعه السكوت والاغضاء واللامبالاة وانما يتحرك بمقدار ما ييسره الله تعالى ويأذن به لمعالجة التقصير ورفع الظلم والدفاع عن المقدسات.

فاندفاع أبناء الحشد الشعبي لمؤازرة الجيش والشرطة في القضاء على الإرهابيين المجرمين لإنقاذ الناس وتحريرهم وحماية المقدسات كانت غضبة لله تعالى، وانتشار المؤسسات القرآنية والدينية كانت غضبة وانتفاضة على حالة الإهمال والاعراض التي يشكو منها.

ويشهد المجتمع اليوم ظواهر عديدة للعصيان والتمرد على الاحكام الإلهية فلابد للمؤمن الصادق ان يغضب لله تعالى وينهض للإصلاح والتغيير فنسمع عن انتشار بيع الخمور أو إقامة الحفلات المختلطة الماجنة أو اطلاق الاعيرة النارية في المناسبات فتؤدي الى قتلى وجرحى، ونسمع عن النزاعات العشائرية التي تقلق الناس وتسبب خسائر في الأرواح والممتلكات وكثرة حالات الطلاق وهو أبغض الحلال الى الله تعالى وكذا ظاهرة ظلم وامتهان

(١) الوسائل: ١٤٦/١٦ح ١.

المرأة والفساد المالي والإداري والاستئثار بالمال العام، وغيرها كثير مما يتطلب القيام لله تعالى مثنى وفرادى وبأساليب الحكمة والموعظة الحسنة حتى نحاصر الفساد والانحراف والظلم ونشعر اهله بالخطأ والخطيئة حتى نصلح المجتمع ونقضي على الفساد بإذن الله تعالى.

هذا الغضب لله تعالى هو الذي حرَّك الامام الحسين (عليه السلام) واهل بيته واصحابه المنتجبين ليقوموا مخلصين لله تعالى، وقد صوَّر المرحوم السيد جعفر الحلي هذه الغضبة في الابيات التالية:

وقد تحكّم بالإسلام طاغية ... يمسي ويصبح بالفحشاء منهمكا
لم أدرِ أين رجال المسلمين مضّوا ... وكيف صار يزيد بينهم ملكا
لئن جرت لفظة التوحيد في فمه ... فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا
قد اصبح الدين منه يشتكي سقماً ... وما الى أحد غير الحسين شكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفا ... الا اذا دمه في كربلا سفكا[1]

(١) الدر النضيد للسيد محسن الأمين العاملي: ٢٤٢

(٢)
السيدة الزهراء (عليها السلام) تحث على نشر الاحكام الشرعية والعلوم الدينية(١)

روي في تفسير العسكري قال: (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك ثم ثنّت، فأجابت، ثم ثلثت فأجابت إلى أن عشرت[٢] فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام: هاتي و سلي عما بدا لك، أرأيت من اكترى[٣] يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، و كرائه مائة ألف دينار أ يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت عليها السلام: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا فأحرى أن لا يثقل عليَّ، سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم، و جدِّهم في إرشاد عباد الله. حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور. ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم و نعشتموهم، فاخلعوا عليهم (كما

(١) القاها سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج بمناسبة ذكرى ميلاد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم ٢٠/جمادي الثانية/ ١٤٣٨ المصادف ٢٠١٧/٢/١٩

(٢) أي ان المرأة سألت سؤالاً ثانياً ثم ثالثاً الى العشرة

(٣) أي استأجر بهذا المبلغ الضخم إذ ان الدينار يساوي مثقال من الذهب

خلعتموهم) خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم. ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم. و قالت فاطمة عليها السلام: يا أمة الله إن سلكا من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة ، و ما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر)[1] .

يظهر من الرواية ان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت تمارس وظيفة التبليغ الديني والإرشاد الاجتماعي للمجتمع النسوي من دون كلل او ملل، لذا لما اشفقت عليها المرأة من كثرة الأسئلة طيّبت خاطرها وأشعرتها ان السائل هو المتفضل على المجيب لأنه وفر له فرصة عظيمة للطاعة ونيل الأجر والقرب من الله تعالى حيث ذكرت هذا الثواب العظيم في الآخرة لمن أجاب عن مسألة دينية أو حل مشكلة أو أرشد أحداً وهداه بحيث لا يمكن المقايسة بين الجهد المبذول في هذا العمل وبين الأجر الي يعطاه.

فعلينا نحن طلبة الحوزة العلمية ان نعرف عظمة النعمة التي منَّ الله تعالى بها علينا حين مكننا من التفقه في الدين وفتح لنا فرصة الارشاد والتبليغ والتعليم، اما من لم يتفقه في الدين فالفرصة مفتوحة امامه بأن يستفيد من أحدى مؤسسات الحوزة العلمية في النجف الاشرف أو المدن الأخرى أو

(١) بحار الانوار:٣/٢.

الجامعة المفتوحة ليكون مؤهلاً لممارسة هذا الدور الإلهي العظيم، وعلينا ان لا ندخّر

جهداً في القيام بهذا العمل الرسالي لان الحديث الفاطمي يشير الى ان التفاوت في المنازل عند الله تعالى يكون بحسب الجد والاجتهاد في العمل بالعلم الذي حصله وارشاد الناس وهدايتهم الى الحق والإصلاح.

ولابد من الالتفات الى ان العمل الديني لا يكون محصّلاً لهذه الثمرة المباركة الا مع الاخلاص، فلو طلب العلم وعلَّمه ليستأكل بيه ويطلب الدنيا أو ليكون له جاه وشأنية بين الناس أو ليماري به ويجادل ويتغلب على الخصوم فأنه لا نصيب له في الآخرة لأنه لم يطلبها، وقد استنفد غرضه وحصّل مراده في الدنيا ثم خلّفه وراءه لما خرج منها والعياذ بالله تعالى.

(٣)

ان اللّه تعالى يحب مخلوقاته ويشفق عليهم ويغضب لهم

روى الشيخ الطوسي (قدس) في اماليه بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (كان رجل شيخ ناسك يعبد الله في بني إسرائيل فبينا هو يصلي وهو في عبادته إذ بصر بغلامين صبيين إذا أخذا ديكا وهما ينتفان ريشه فأقبل على ما هو فيه من العبادة ولم ينههما عن ذلك ، فأوحى الله إلى الارض أن سيخي بعبدي فساخت به الارض ، وهو يهوي في الدردور[١] أبد الآبدين ودهر الداهرين)[٢]

أقول: هكذا يغضب الله تعالى لمخلوقاته كافة ويشفق عليهم ويطالبنا بنصرتهم ودفع الظلم عنهم والشفقة عليهم والانسان اكرم المخلوقات واشرفها فهو أولى بنصرته ودفع الظلم عنه، وقد أُمِرنا بالتأسّي بالصفات الإلهية (تخلّقوا بأخلاق الله) فينبغي لنا ان نتصف بهذه الصفات لانها مقياس القرب الإلهي كما في الحديث القدسي (الخلق عيالي فاحبُّهم اليَّ أشفقهم على عيالي)[٣] والخلق مطلق أي كل المخلوقات ولا يختص بالإنسان. مثلاً لما لاحظنا احتياج طلبة المدارس للكتب الدراسية بعد عجز وزارة التربية عن توفيرها شارك الغيورون

(١) الدردور: موضع في البحر يجيش ماؤه فيخاف فيه الغرق، عن القاموس المحيط.

(٢) بحار الانوار: ٨٨/١٠٠ ح ٦٧

(٣) دعائم الإسلام ج٢ ص٣٢٠ ح١٢٠٧. وشرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٣٤٠ الرقم ٨٩٣.

المشفقون في حملة واسعة لتوفيرها وكذا ترميم المدارس وسدّ احتياجاتها فادخلوا الفرحة على آلاف التلاميذ.

٢٠/ج١/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٢/١٨

(٤)
كافئوا المحسنين على اعمالهم(١)

وروى الخطيب البغدادي في كتابه المعروف (تاريخ بغداد): عن الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) انه كان ماراً في حيطان –أي بساتين –المدينة فرأى عبداً أسوداً بيده رغيف خبز يأكل ويطعم كلبه لقمة إلى أن شاطره طعامه في الرغيف)، ومثل الامام الحسن (عليه السلام) في منزلته الاجتماعية لا يهتم بعبد أسود معه كلب يأكل، لكن الامام الحسن (عليه السلام) توقف عنده (فقال له الإمام الحسن (عليه السلام) ما حملك على ما عملت وشاطرته؟ فقال الغلام: استحيت عيناي من عينه.) وفي رواية أخرى ان العبد قال: أشعر بضيق في صدري وكآبة فأردت ان أدخل السرور على هذا الكلب لعل الله تعالى يرفع عني هذا الهم بذلك (فقال الإمام (عليه السلام): غلام من أنت؟) أي سأله عن مالكه (فقال: غلام أبان بن عثمان، فقال: والحائط؟ قال: لأبان بن عثمان. فقال له الإمام الحسن (عليه السلام) أقسمتُ عليك لا برحت حتى أعود عليك. فمَّر على صاحب الحائط فاشترى الحائط والغلام معاً، وجاء إلى الغلام، فقال (عليه السلام) يا غلام قد اشتريتك فقام الغلام قائماً) أي قام ليذهب مع مالكه الجديد وهو الامام الحسن (عليه السلام) (وقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي. قال (عليه السلام): وقد اشتريت الحائط، وأنت حرٌ لوجه الله، والحائط هبة مني إليك. فقال الغلام: (يا مولاي قد وهبتُ

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الطلبة والشباب العاملين في المنظمات الإنسانية يوم ١٠/رجب/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٤/٨

الحائط للذي وهبتني له)[١].

أقول: لقد تعلّم الغلام هذا الأدب من الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه، فقد روى أحدهم قال: (رأيت الحسن بن علي (عليه السلام) يأكل وبين يديه كلب، كلما أكل لقمة طرح للكلب مثلها، فقلت له: يا بن رسول الله، ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟ قال: دعه: إني لاستحيي من الله عز وجل أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا آكل ثم لا أطعمه)[٢].

وهذه هي سيرة أهل البيت (عليهم السلام) فانهم لا يكتفون بفعل المعروف والإحسان الى الآخرين بل كانوا يكافئون من يقوم بفعل حسن ويكرّمونه بأضعاف ما قام به ليشجّعوا على نشر المعروف وتحويله الى ظاهرة وثقافة عامة لدى المجتمع.

وعلى اتباع أهل البيت (عليهم السلام) التأسي بهذه الاخلاق الكريمة بأن يحسنوا في أعمالهم في سائر المواقع والمسؤوليات التي هم فيها.

فالطالب يبذل وسعه في المطالعة والمذاكرة حتى يحقق نتائج راقية يدخل بها السرور على أهله ومحبيه ويكون فخراً وعزاً وطاقة هائلة لوطنه وشعبه.

والموظف يتقن عمله ويؤدي واجبه في كل الوقت المطلوب منه ولا يقصّر في خدمة الناس واستيعابهم.

والمدّرس يبذل وسعه في تعليم الطلبة والارتقاء بمستواهم العلمي

---

(١) تاريخ بغداد: ٣٤/٦

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥٢ ح٢٩ عن مقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ١٠٢-١٠٣.

ومساعدتهم في كل ما يحتاجون.

والمهندس يراعي شروط المتانة والامان والجدوى عند تنفيذ المشاريع ويكون اميناً ونزيهاً، وهكذا.

هذا على مستوى احسان العمل، ويبقى علينا ان نتقدم خطوة أخرى بتشجيع المحسنين في أعمالهم ومكافئتهم، فالامام الحسن (عليه السلام) مع هيبته وجلاله وسمو مقامه في المجتمع بحيث اذا جلس على الطريق انقطع المارّة وتهيّبوا المرور بين يديه، واذا مشى لم يبق أحدٌ راكباً ومع ذلك تراه توقّف عند العبد ولم يمرّ على هذا الموقف دون تكريم، اما الذين يثبّطون العاملين ويستهزئون بهمتهم وحركتهم الدائبة فهؤلاء لم يستفيدوا من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ولم يتأسوا بهم.

ويكفي المحسنين في عملهم وساماً يفتخرون به: محبة الله تعالى لهم (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة:١٩٥).

(٥)
درس نبوي: تذكّر دائماً شعار (ثم ماذا؟ انه الموت)[١]

روى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أخبرني حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن جبرئيل (عليه السلام) نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض وقال: يا جبرئيل وما يكون بعد ذلك؟ قال: الموت، فقال: اذاً لا حاجة لي في الدنيا، دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع الى ربي وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده، فقال له جبرئيل: وفقت لكل خير يا محمد)[٢]

هذا الموقف منه (صلى الله عليه وآله) لمعرفته بحقارة الدنيا وهوانها وعدم استحقاقها للالتفات اليها مهما عظم المعروض منها ولو كان من حلال ولو كان من دون ان ينقص من قدره عند الله تعالى شيء فلنتأسى برسول الله (صلى الله عليه وآله) وليكن شعارنا (ثم ماذا؟ اليس هو الموت وفناء الدنيا وثرواتها) اذن لا قيمة لها، ولا أقل من العمل بهذا الشعار عندما تعرض لنا معصية والعياذ بالله لان نتيجتها النار.

فعندما تميل النفس الى شهوة ونزوة بغير ما أحلَّ الله تعالى كالذي يحصل في أروقة الجامعات او الدوائر الرسمية فليخاطب نفسه وليقل لها: ثم ماذا؟ واذا دعاه غضبه أو أنانيته أو حسده أو حقده لظلم أحد فليكبح جماحه بسؤال ثم ماذا؟ واذا خدعه موقعه ومنصبه ووظيفته ليمّد يده على المال الحرام أو التجاوز على الحق العام أو الخاص فليتذكر ماذا بعد ذلك: انه الموت.

---

(١) بتاريخ ١٢/ج١٤٣٨/٢ المصادف ٢٠١٧/٣/١١.

(٢) بحار الانوار:٢٧٦/٤٢.

وبتعبير آخر: أنه عليك ان تحسب النتائج قبل الاقدام على الفعل، فان كانت العاقبة سيئة أو أن الحاصل لا يستحق تبعة هذا الفعل فلا تقدم عليه، لان النتيجة المؤلمة اذا حصلت فان الندامة والتأسف لا ينفعان في إزالتها فتذهب لذة الفعل وما كان يرجو من وتبقى تبعته وشقاؤه والله المستعان.

هذا الشعار من القواعد الاساسية التي تستندون اليها في بناء مستقبلكم المعنوي وحياة الاستقامة التي يريدها الله تبارك وتعالى.

(٦)
لا تيأسوا من التوبة والإصلاح

بشر الحافي من الزهاد العرفاء المشهورين وقيل انه من أولاد الرؤساء والكتّاب وكان من أهل المعازف والملاهي فتاب.

وقد ادركه اللطف الإلهي ببركة الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام).

((في روضات الجنان – للخونساري: قال العلامة في منهاج الكرامة في سبب توبة بشر انه اجتاز مولانا الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام) على داره ببغداد فسمع الملاهي واصوات الغناء تخرج من الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الدرب، فقال (عليه السلام) لها: يا جارية صاحب هذه الدار حر أم عبد؟ فقالت: حر! فقال: صدقتِ لو كان عبداً خاف من مولاه، فلما دخلت قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما ابطأك؟ فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا ... فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده واعتذر وبكى لديه استحياءاً من عمله))

وروي في سبب استحقاق اللطف بالتوبة ((انه أصاب في الطريق قطعة فيها مكتوب ((بسم الله الرحمن الرحيم)) مرمّية على الأرض، فاخذها واشترى بدراهم كانت معه غالية فطيّب بها الورقة وجعلها في شق حائط، فرأى في النوم كأن قائلاً يقول: يا بشر طيّبت اسمي فلأطيّبن اسمك في الدنيا الآخرة، فلما اصبح تاب))[1].

(١) الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي: ١٦٦/٢.

وفي هذه الرواية اكثر من درس:

١- عدم اليأس من التوبة والرجوع الى الله تعالى فإن باب التوبة مفتوح فمثل بشر الحافي الذي كان غارقاً في المعاصي والفجور وفي عيش رغيد يصبح بكلمة واحدة صدرت من قلب مخلص من كبار الزهاد العارفين، قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) (الزمر:٥٣) وضرب الله تعالى مثلاً مادياً لانبعاث الحياة المعنوية في القلب والنفس بكلمة طيبة او فعل حسن بعد موتها بالذنوب والمعاصي، قال تعالى (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج:٥) وقال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) (السجدة:٢٧) والجرز الأرض التي لا نبات فيها من الأصل.

٢- عدم التقصير في أداء فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واستثمار كل فرصة للقيام بها ولابد من اختيار الوسيلة المناسبة التي تؤثر في الآخر وتجلبه الى الهداية والصلاح من غير استفزاز واحتقار، فلنأخذ الدرس في ذلك من الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام).

٣- عدم استصغار أي عمل خير او معروف فربما يكون هذا العمل سبباً لنيل رضى الله تبارك وتعالى ولبركات تفيض عليه في الدنيا والآخرة، وفي الحديث (ان الله أخفى رضاه في طاعته) أي ان الطاعات التي توجب الثواب

والأجر كثيرة لكن بعضها يوجب أكثر من ذلك وهو رضى الله تعالى (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ) (التوبة:٧٢) ونحن لا نعلم ذلك البعض فلابد ان لا نقصر في أداء أي طاعة او احسان او خير لاحتمال كونه موجباً لرضوان الله تعالى.

٢٤ رجب ١٤٣٨ الموافق ٢١٠٧/٤/٢٢

(٧)
درس نبوي في علو الهمة وطلب المعالي(١)

في كتاب الكافي بسنده عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان نزل على رجل بالطائف قبل الإسلام فأكرمه فلما ان بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله) الى الناس قيل للرجل: أتدري من الذي أرسله الله عز وجل إلى الناس؟ قال: لا، قالوا له: هو محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب وهو الذي كان نزل بك بالطائف يوم كذا وكذا فأكرمته، قال : فقدم الرجل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسلم عليه وأسلم، ثم قال له: أتعرفني يا رسول الله؟ قال: ومن أنت[٢]؟ قال: أنا رب المنزل الذي نزلت به بالطائف في الجاهلية يوم كذا و كذا فأكرمتك فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): مرحبا بك سل حاجتك، فقال :أسألك مأتي شاة برعاتها، فأمر له رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما سأل، ثم قال لأصحابه: ما كان على هذا الرجل أن يسألني سؤال عجوز بني إسرائيل لموسى (عليه السلام) بما سأل، فقالوا: وما سألت عجوز بني إسرائيل لموسى؟ فقال: إن الله عز ذكره أوحى إلى موسى أن أحمل عظام يوسف من مصر قبل أن تخرج منها إلى الأرض المقدسة بالشام فسأل موسى عن قبر يوسف (عليه السلام) فجاءه شيخ فقال: إن كان

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من طلبة دورات التنمية البشرية وصنع قادة المستقبل مع اساتذتهم يوم ١٩/ج١٤٣٨/٢ المصادف ٢٠١٧/٣/١٨.

(٢) لم يقل النبي (صلى الله عليه وآله) لم أعرفك لانه كان يتذكره أكيداً كما يتذكر كل محسن، وانما سأله ليعرّف نفسه للحاضرين ويروي الحادثة.

أحد يعرف قبره ففلانة، فأرسل موسى (عليه السلام) إليها فلما جاءته قال :تعلمين موضع قبر يوسف (عليه السلام)؟ قالت: نعم قال: فدليني عليه ولك ما سألت: قال :لا أدلك عليه إلا بحكمي، قال: فلك الجنة، قالت: لا إلا بحكمي عليك، فأوحى الله عز وجل إلى موسى لا يكبر عليك أن تجعل لها حكمها فقال: لها موسى فلك حكمك، قالت: فإن حكمي أن أكون معك في درجتك التي تكون فيها يوم القيامة في الجنة فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما كان على هذا لو سألني ما سألت عجوز بني إسرائيل.)[1]

يعلمنا النبي (صلى الله عليه وآله) أن تكون هممنا عالية وطموحاتنا كبيرة ومطالبنا عظيمة كهذه العجوز التي لم تكتفِ بدخول الجنة وأصرّت على ان تكون بدرجة النبي الرسول الكريم موسى بن عمران (عليه السلام)، لأننا انما نطلب من الله تعالى الواسع الكريم الذي لا تنفد خزائنه ولا يزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ) (ص:٥٤) وان لا نجعل همّنا في الامور الدنيوية الزائلة التي تذهب لذتها وتبقى تبعتها.

فطالب العلوم الدينية لا يكون هدفه ان يستأكل بعلمه أو يطلب به الجاه بين الناس أو ليماري به الخصوم ويتغلب عليهم فيشعر بلذة الانتصار ونحو ذلك.

والتاجر لا يكون همه مجرد زيادة أمواله وأرصدته حتى يشار اليه بالبنان بغضّ النظر عن مصادر هذه الاموال، وانما ليوظف ماله في طاعة الله تعالى ومساعدة المحتاجين والمشاركة في المشاريع الخيرية وصرفها في موارد البر والاحسان.

---

(١) الكافي: ١٥٥/٨.

والـذي يتبـوأ موقعـاً حكوميـاً أو اجتماعيـاً لا يكـون همـه الاسـتعلاء والاستكبار والاستحواذ على المال العام بغير الحق وانما يبذل وسعه فـي اسـعاد الناس وتوفير الحياة الحرة الكريمة لهم.

فلا ينبغي ان تكون عجـوز بنـي إسـرائيل أكثـر بصـيرة ومعرفـة بحقـائق الأمور منّا وقد نهلنا من القرآن الكـريم وعلـوم أهـل البيـت (عليهم السلام) ولا شـك ان الهمـم العاليـة والطموحـات الكبيـرة تحتـاج الـى حركـة دؤوبـة وجهـد مضـني متواصل لتتحقق الثمرة بأذن الله تعالى، كما قال الشاعر:

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسامُ

لكن هذا التعب والمعاناة سيذهب وتبقى الثمرة الطيبة والنتيجة المرضية عند الله تعالى.

(٨)
(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)
(الطلاق: ٢ـ٣)
الاعمال الصالحة سبب لقضاء الحوائج ورفع البلاء(١)

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) بسنده عن ابن أبي اوفى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (خرج ثلاثة نفر يسيحون في الأرض) أي لا يستقرون في بلد ويتخذونه وطناً فلا منزل ثابت لهم ولازمه أن لا أهل لهم ولا ولد متفرغين لله تعالى بالعبادة في انحاء الأرض (فبينما هم يعبدون الله تعالى في كهف في قلة جبل حتى بدت صخرة من أعلى الجبل حتى التقت باب الكهف) أي سقطت صخرة ضخمة من أعلى الجبل واستقرت على باب الكهف حتى أغلقته تماماً وحوصر الثلاثة في داخله وسيكون مصيرهم الهلاك جوعاً وعطشاً، فجلسوا يتفكرون في إيجاد طريقة للخلاص.

(فقال بعضهم: يا عباد الله والله لا ينجيكم منها الا ان تصدقوا عن الله فهلّموا ما عملتم خالصاً له) فتوصلوا الى شيء هداهم الله تعالى اليه رحمة بهم وهو أن يتوسلوا الى الله تعالى بعمل صالح أخلصوا فيه النية ويقسموا عليه تعالى به لينجيهم فان الله تعالى يحب العمل الخالص لوجهه ويجزي صاحبه في الدنيا والآخرة.

---

(١) القيت يوم ٩ / شعبان / ١٤٣٨ المصادف ٦ /٥ / ٢٠١٧ على جمع من خريجي كلية القانون في جامعة القادسية وطلبة جامعة الصدر الدينية فرع مدينة الصدر في بغداد وطلبة الثانوية في مدينة الشوملي.

(فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أني طلبت جيدة) أي عشقت امرأة وتعلقت بها وكان كل همّي وصالها (لحسنها وجمالها واعطيت فيها مالاً ضخماً حتى اذا قدرت عليها) وتمكنت من تلبية شهوتي معها ولكن من حرام وليس بزواج شرعي (ذكرت النار فقمت عنها فرقاً) أي من الله تعالى فجاهد نفسه وكبح شهوتها التي كانت تضغط عليه لإيقاعه في المعصية لكنه كان قوي الارادة والعزم ونجح في الامتحان امام الله تعالى. (فارفع عنّا هذه الصخرة، قال: فانصدعت حتى نظروا الى الضوء) أي ان هذا العمل كان مخلصاً فعلاً وقد حظي بالقبول من الله تعالى واستحق صاحبه التكريم واستجابة الدعاء فانفرجت الصخرة بمقدار ما عن فتحة الكهف بحيث رأوا الضوء في الخارج.

(ثم قال آخر ـ وهو الثاني ـ اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت قوماً كل رجل منهم بنصف درهم، فلما فرغوا) من عملهم (اعطيتهم أجورهم) كل واحد نصف درهم بحسب الاتفاق (فقال رجل) من العمال (لقد عملت عمل رجلين والله لا آأخذ الا درهماً) أي بذلت جهد عاملين فأستحق أجراً مضاعفاً وهو درهم كامل فلم يعطيه صاحب العمل وأصرّ على إعطائه الأجر المتفق عليه وهو نصف درهم ولم يقبل العامل بذلك (ثم ذهب وترك ماله عندي) ولم يأخذ أجرته، وقد استثمر صاحب العمل هذا النصف درهم في الزراعة (فبذرت بذلك النصف الدرهم في الأرض فاخرج الله به رزقاً) ونمى ذلك الزرع وجاء بأرباح وفيرة (وجاء صاحب النصف درهم) بعد مدة (فأراده فدفعت اليه عشرة آلاف درهم حقه) أي دفع له كل الأموال التي حصلت من استثمار تلك الأجرة (فان كنت تعلم أنما فعلت ذلك مخافة منك فارفع عنا هذه الصخرة، قال:

فانفرجت حتى نظر بعضهم الى بعض) فالظاهر ان هذا العمل كان مخلصاً حقاً لله تعالى فاستحق عليه الجزاء واستجابة الدعاء.

(ثم قال الآخر ـ وهو الثالث ـ اللهم إن كنت تعلم أن أبي وأمي كانا نائمين فأتيتهما بقصعة من لبن) ويظهر ان هذا الشخص كان يحلب ماشيته في الصباح الباكر ويستفتح بتقديم اناء من الحليب لوالديه قبل نفسه وأهله ولا يفطرون حتى يفطر ابواه برّاً بهما وجزاءاً لإحسانهما، وفي ذلك اليوم لما جاءهما بالإناء كالمعتاد وجدهما نائمين ولا يريد أن يسبق والديه بتناول الحليب (فخفت أن أضعه) عند رأسيهما الى ان يستيقظا وأذهب (فيقع فيه هامة) أي حشرة (وكرهت أن انبههما من نومهما) ليشربا وأذهب (فيشق ذلك عليهما) لانهما مسنّان ويزعجهما قطع نومهما(فلم أزل بذلك) أي واقفاً عند رأسيهما وحاملاً لإناء اللبن (حتى استيقظا فشربا، اللهم إن كنت تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء لوجهك فارفع عنّا هذه الصخرة، فانفرجت حتى سهلّ الله لهم المخرج) وخرجوا من الكهف وخلصّهم الله تعالى من موت محقق، وهنا علّق رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلاً (من صدق الله نجا)[1].

فالدرس المستفاد من هذه الرواية ان من يصدق مع الله تعالى ويؤدي عمله مخلصاً ويتقي الله تعالى في اموره فان الله تعالى يكفيه ويقضي حوائجه ويدفع عنه البلاء، قال تعالى (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (الطلاق:٢-٣).

والدرس الآخر ان لا نقصّر في القيام بأي عمل صالح يرضي الله تبارك

(١) بحار الانوار: ٤٢٧/١٤ ح ٨.

وتعالى مهما بدا بسيطاً لا يستحق الاهتمام فلعله يحظى من الله تعالى بالقبول والجزاء الحسن، فمثلاً طالب جامعي أو موظف في مجتمع مختلط او ناشط في مواقع التواصل الاجتماعي تحصل له فرصة لعلاقة غير مشروعة مع الجنس الآخر ونفسه تدفعه بقوة للمضي فيها الا انه يتقي الله تعالى ويجاهد نفسه ويغلق باب المعصية فيكون كأول هؤلاء الثلاثة، أو تاجر يعمل في السوق أو موظف أو مهندس تغريه الأموال ويدفعه طمعه لأخذها بغير حق الا انه يمنعها من التورط بالحرام وهكذا.

وينبغي الالتفات الى ان كل شريحة لها أعمالها الصالحة التي نتوقعها منهم فالموظف يخدم الناس ورجل الجيش والشرطة يحفظ أمنهم ورجل الدين يعلمهم الاحكام الشرعية ويعظهم ويرشدهم والطبيب يداوي الناس، والبعض يتطوع للقيام بالخدمات الانسانية وتوزيع المساعدات.

والدرس الثالث: هو حسن الظن بالله تعالى وأنه حاضر يسّمع نجوى عبده ويعلم بما تنطوي عليه سريرته من حاجات وآمال وهموم وسيرى الله تعالى عند حسن ظنه كما هو أهله ويقضي حاجته ويعطيه مراده ويفرّج عنه همه وكربه حتى من دون وجود الأسباب الطبيعية.

(٩)
أنظر في الموضوع من جميع الجهات حتى تكتمل الصورة ثم تتخذ القرار

روى الشيخ الكليني في الكافي والشيخ الصدوق في الأمالي بالإسناد عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله اني راغب في الجهاد نشيط، قال: فجاهد في سبيل الله فانك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق وإن مت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت، فقال: يا رسول الله إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أقم مع والديك، فوالذي نفسي بيده لانسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة.)[1].

وروى ابو داود في سننه بسنده عن جابر بن عبدالله الانصاري أنه قال (كنّا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ جاءه رجل بمثل بيضة من ذهب فقال: يا رسول الله! أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها، فأعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن، فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم اتاه من قبل ركنه الايسر، فاعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم اتاه من خلفه، فأخذها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فحذفه بها، فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يأتي أحدكم بما يملك فيقول: هذه صدقة، ثم يقعد

(١) الكافي: ١٢٨/٢ ح ١٠، أمالي الصدوق: ٣٧٣/٨، وسائل الشيعة: ٢٠/١٥ باب ٢ ح ١

يستكفُّ الناس! خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى)[1].

أردت بضم هذين الحديثين الى بعضهما استنتاج حقيقة مهمة في سلوكنا وهي عدم الاندفاع والحماس وراء أمر معّين نجد فيه رجحاناً معيناً مالم نلحظ فيه الجهات الأخرى لعله يوجد أمر اخر أرجح منه واولى، ومن دون ذلك نقع في المحذور أو نترك الأولى الذي كان ينبغي فعله. ففي الرواية الأولى ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) فضل الجهاد وأجر المجاهد سواء قتل في المعركة، أو مات بلا قتال أو عاد سالماً الى أهله لكن الأمر لما تعارض مع برّ الوالدين والإحسان اليهما وهما محتاجان الى الرعاية وتسبب في اذى الوالدين ولم يكن واجباً عينياً أمره النبي (صلى الله عليه وآله) بترك الجهاد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) والبقاء عند والديه لوجود من يقوم مقامه في الجهاد.

وكذلك الصدقة فانها من القربات الاكيدة التي يضاعف الأجر فيها (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ) (البقرة:٢٦١) لكنها لما تركت صاحبها فقيراً لا يملك قوت نفسه وأهله، رفض النبي (صلى الله عليه وآله) تسلّم صدقته رغم طلبه المتكرر واعرض (صلى الله عليه وآله) عنه لأنه لا يرضى بأذلاله وذلة اهله اذا بقي فقيراً معدماً.

روى في كتاب الاختصاص بسنده عن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال (سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ابدأ بمن تعول: أمَّك وأباك وأختك

(١) سنن ابي داود: ٣٣٧/١ باب الرجل يخرج من ماله، ح ١٦٧٣.

وأخاك، ثم ادناك فأدناك، وقال: لاصدقة وذو رحم محتاج)[1].

فلابد من الرجوع الى أهل الرشد والحكمة والخبرة في أمور الحياة والدين والمجتمع لأخذ التوجيه والنصيحة قبل اتخاذ أي قرار خصوصاً المهم منها لمعرفة عواقب الأمور بإذن الله تعالى فانه (ما خاب من استشار).

ويحضرني هنا مثال لهذه الفكرة التنموية يعرفه المهندسون بوضوح وهو انك اذا اردت أن تعرف أجزاء وتفاصيل جسم موضوع بين يديك، فلا يكفي أن تنظر اليه والى مسقطه من جهة واحدة لوجود معالم مبهمة لا تظهر فيها. لذا يأخذ المختص منظراً أمامياً وجانبياً وعلوياً لتكتمل عنده الصورة.

٢١ شعبان ١٤٣٨ المصادف ١٨ / ٥ / ٢٠١٧

(١) بحار الانوار: ١٤٧/٩٦ ح ٢٤ عن الاختصاص:٢١٩

(١٠)
ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وسورة التوحيد[١]
عمل خفيف لكنه ثقيل في الميزان

توجد رواية جليلة مباركة ذات فوائد معنوية عظيمة رواها الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه معاني الأخبار بسنده عن أبي بصير، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، يحدث، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوما لأصحابه: أيكم يصوم الدهر؟ فقال سلمان – رحمة الله عليه –: أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأيكم يحيي الليل؟ قال سلمان أنا يا رسول الله. قال: فأيكم يختم القرآن في كل يوم؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله. فغضب بعض أصحابه فقال: يا رسول الله إن سلمان رجل من الفرس يريد أن يفتخر علينا! قلت: أيكم يصوم الدهر؟ قال: أنا، وهو أكثر أيامه يأكل، وقلت أيكم يحيي الليل؟ فقال: أنا، وهو أكثر ليله نائم، وقلت: أيكم يختم القرآن في كل يوم؟ فقال: أنا، وهو أكثر أيامه صامت! فقال رسول صلى الله عليه وآله: مه يا فلان أنى لك بمثل لقمان الحكيم! سله فإنه ينبئك. فقال الرجل لسلمان: يا عبد الله أليس زعمت أنك تصوم الدهر؟ فقال، نعم. فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل؟ فقال: ليس حيث تذهب إني أصوم الثلاثة في الشهر وقال الله عز وجل " :﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] وأصل شعبان

(١) من حديث سماحة الشيخ المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من شباب الكاظمية المقدسة من بغداد يوم ٣ / ذو القعدة / ١٤٣٨ المصادف ٢٧ / ٧ / ٢٠١٧.

بشهر رمضان فذلك صوم الدهر. فقال: أليس زعمت أنك تحيي الليل؟ فقال: نعم. فقال: إنك أكثر ليلك نائم. فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " من بات على طهر فكأنما أحيا الليل " فأنا أبيت على طهر. فقال: أليس زعمت أنك تختم القرآن في كل يوم؟ قال: نعم، قال: فأنت أكثر أيامك صامت، فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: «يا أبا الحسن مثلك في أمتي مثل قل هو الله أحد فمن قرأها مرة فقد قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثا فقد ختم القرآن، فمن أحبك بلسانه فقد كمل له ثلث الايمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الايمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الايمان. والذي بعثني بالحق يا علي لو أحبك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لك لما عذب أحد بالنار» وأنا أقر أقل هو الله أحد في كل يوم ثلاث مرات. فقام فكأنه قد ألقم حجرا»[1].

أقول: يمكن ان نستفيد من هذه الرواية عدة أمور:

١- منزلة سلمان الفارسي العظيمة حتى شبّهه النبي (صلى الله عليه وآله) بلقمان الحكيم.

٢- ان جملة من الصحابة قد اشربت الجاهلية في قلوبهم (وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) (البقرة:٩٣) ولم تستطع سنوات الإسلام أن تزيل رواسبها لذا فانها تنكشف عندما تتعرض لما يثيرها كما حصل لهذا الرجل الذي غضب من سلمان فنبزه في أصله.

---

(١) معاني الاخبار / ٢٣٤ في معنى صوم الدهر واحياء الليل وختم القرآن.

٣- عدم الاستعجال بالحكم على أحد بصدق أو كذب أو حق أو باطل من كلمات قالها حتى نتعرف على مقصوده ومراده ونستفهم منه. لذلك فان النبي (صلى الله عليه وآله) زجر المعترض وطلب منه أن يستفهم مقصود سلمان قبل الحكم عليه بالكذب والافتراء، ويكون الأمر اسوء لو صدر الحكم على أحد لمجرد كلام نقل عنه من دون التأكد من صدوره حقاً أو ان الكلام المنقول مطابق لما قال أو لا.

٤- تعلّمنا أعمالاً يسيرة لكن ثوابها عظيم فقراءة سورة التوحيد ثلاثاً تعدل ختم القرآن، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر يعدل صوم الدهر والنوم على طهور يجعله عبادة والفراش مسجداً، ومن هنا تبرز أهمية المعرفة والتفقه في الدين لاختصار طريق الوصول إلى الكمال.

٥- ذوبان سلمان في ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسوخها في قلبه بحيث لم يترك مناسبة تمر دون ان يعلنها ويدعو الناس اليها ويقيم الحجة عليها.

٦- إن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تقف عند حدود المحبة والولاء العاطفي وادعائها باللسان والانتساب إليها أو زيارته (عليه السلام) أو التحدث بفضائله والدفاع عن حقه فهذه كلها من مراتب الولاية ومظاهرها وشعائرها لكنها لا تكتمل الا بالعمل بمقتضياتها والتسليم بآثارها والسير على هدى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو معنى النصرة الذي اشارت إليه الرواية وصرّح به أمير المؤمنين

(عليه السلام) نفسه بقوله: (ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد)[١].

وهو (عليه السلام) إنما يريد بهذه النصرة أن نعينه على أنفسنا ليستطيع أن ينجز مهمته في إصلاح الناس وهدايتهم والأخذ بأيديهم نحو الكمال وباكتمال عناصر هذه الولاية تُنال الدرجات الرفيعة بفضل الله تعالى.

ومما ينبغي الالتفات اليه ان الارتباط بين سورة التوحيد وأمير المؤمنين (عليه السلام) واضح وجلي فالسورة حروف مكتوبة أو ملفوظة معبرة عن التوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى، وأمير المؤمنين (عليه السلام) جسّد التوحيد والإخلاص في حياته كلها التي بدأها بالولادة في بيت الله الحرام وختمها بالشهادة في مسجد الكوفة المعظم، ونظم هذه الحالة جدي المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي ببيت من الشعر ضمن قصيدة قال فيه:

بأول بيت جاء لله ساجداً وفاز بلقياه برابع مسجدٍ

ومن مناجاته (اللهم اني ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكني عبدتك لأنك أهلا لذلك وابتغاء رضوانك ورحمتك ومغفرتك)[٢].

(١) نهج البلاغة: ٣/٧٠.

(٢) الكلمات القصار، الحكمة: ٢٩٠.

مختارات من صحيفة الصادقين

(أخبار، تعليقات، استفتاءات، قصائد)
(الأعداد: ١٥٨ـ ١٧٥)

المرجع اليعقوبي يستقبل ممثل سماحة السيد الخامنئي في العراق

استقبل[١] المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي سماحة آية الله السيد مجتبى الحسيني الذي عُين ممثلاً لقائد الثورة الاسلامية سماحة السيد علي الخامنئي في العراق خلفاً للمرحوم آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي.

وقد تناول الحديث عدة محاور منها :

١- تطوير آليات التحصيل العلمي ومناهجه في الحوزات الدينية وتفعيل التبليغ الاجتماعي وإعادة قراءة النصوص الشرعية وفق آخر الابداعات الاجتهادية ومتغيرات الزمان والمكان .

٢- عمق العلاقة العقائدية والاجتماعية والثقافية بين الشعبين العراقي والايراني.

٣- التصدي للاختراقات الدينية والسياسية التي يراد منها تمزيق وحدة الامة وتشتيت جهودها وهدر مواردها .

٤- مواجهة الافكار الضالة والعقائد الفاسدة كتكفير المسلمين وممارسة الارهاب .

ومن الجدير بالذكر ان سماحة المرجع اليعقوبي حضر قبل ذلك الحفل التأبيني الذي أقيم على قاعدة رئاسة جامعة الكوفة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة المرحوم آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي، وأعلن في الحفل عن تعيين سماحة السيد الحسيني مديراً لمكتب قائد الثورة الاسلامية في النجف الأشرف.

---

(١) تاريخ اللقاء: ١٤/ ذ ح/ ١٤٣٦ الموافق ٢٨/ ٩/ ٢٠١٥.

لابد من إنهاء الكارثة في اليمن

انتقد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي(دام ظله) بشدة سكوت ولا مبالاة العالمين العربي والإسلامي إزاء الكوارث الإنسانية التي تحّل باليمن الشقيق وملايينه الخمسة والعشرين الذين لا مصلحة لهم في ما يجري من صراع بين المحاور والأجندات ولا همّ لهم إلا توفير الأمن والاستقرار ولقمة العيش.

واستغرب سماحته لدى لقائه[1] جمعاً من كبار علماء الدين لطوائف الزيدية والحوثية والشافعية والصوفية في اليمن من عدم كفاية مايجري من فظائع لهزّ الضمير الإنساني ودفع كل الدول والمؤسسات للسعي في إنهاء الصراع وحلّ الأزمة وتقديم المبادرة تلو المبادرة حتى نصل إلى حل جذري للصراع القائم ولايتوقف الجهد الدولي حتى يتحقق الحل المرضي.

وحذّر سماحته من ان استمرار الصراع يعني مزيداً من الضحايا والدمار والانتهاكات والآلام وتوفير البيئة المناسبة لتوسيع دائرة العنف والإرهاب وقتل كل أمل في الحياة الحرة الكريمة.

(١) تاريخ اللقاء الخميس ٢٠١٦/١/٢٨ الموافق ١٧/ربيع الثاني/١٤٣٧.

رؤية المرجعية الرشيدة للإصلاح[١]

تشهد الساحة العراقية منذ عدة اشهر حراكاً جماهيرياً للمطالبة بالإصلاح بعد ان استشرى الفساد وغابت الادارة الكفوءة والتخطيط الصحيح وحلّ محلها التخبط والفوضى والانانية وحيازة المغانم على حساب المواطنين الذين اصابهم قلق حقيقي مما يحصل.

وقد تعددت المشاريع والافكار المطروحة ولكل منها غاياته واهدافه، وقد سبق سماحة المرجع اليعقوبي -كما هو ديدنه – في تشخيص المشاكل قبل وقوعها واستفحالها ووضع الحلول والبرامج الصحيحة لتحقيق الاصلاح في بيانات عديدة منشورة لم يستفد منها المعنيون مع الاسف .

وكان منها تأسيس مجلس الاعيان والحكماء والخبراء الذي يضم اهل الحنكة والتجربة والحكمة والنزاهة والكفاءة المستقلين عن الانتماءات الا للعراق ارضاً وشعباً، وقد حدّد سماحته مهام هذا المجلس، ولو قدّر لهذا المشروع ان يأخذ دوره لكان هذا المجلس صاحب الكلمة الفصل في تقييم عمل الحكومة بوزاراتها وهيئاتها وأداء القضاة ومن ثم تقديم ورقة مفصلة لبرنامج الاصلاح، وفق المبادئ الثابتة انطلاقاً من خط الشروع الذي يحافظ على حقوق الشعب ومكتسباته وانجازاته، وليس بتدمير كل شيء والعودة الى نقطة الصفر التي تعني الفوضى، ولا بإبقاء هيمنة المستبدين الفاسدين

(١) نُشر الخبر في العدد ١٥٩ من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ٦/ ج٢/ ١٤٣٧ الموافق ١٦/ ٣/ ٢٠١٦ أثر خروج المظاهرات الكبيرة المطالة بالإصلاح في وسط بغداد.

المستأثرين.

ويمكن ان يكون الحل بإجراء انتخابات مبكرة بعد تشكيل مفوضية انتخابات مستقلة حقيقية من مهنيين وطنيين موضوعيين، وتعديل قانون والانتخابات بالشكل الذي يحفظ ارادة الناخبين وليقول الشعب حينئذٍ كلمته في من يدير شؤون البلاد بعيداً عن فرض الارادات بالقوة .

ولا زالت رؤى سماحته في متناول ايدي الجميع المعنيين لتشكّل لهم خارطة طريق مباركة فيها خير الدنيا والاخرة بفضل الله تعالى.

احياء الزيارة الفاطمية في النجف الاشرف

توافد عشرات الالاف من المؤمنين والمؤمنات الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) لإحياء الزيارة الفاطمية لأمير المؤمنين (عليه السلام) وتقديم التعازي بذكرى استشهاد الصديقة الكبرى فاطمة بنت النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله) يوم الاحد ٣/جمادى الثانية/١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٣/١٣.

وتضمنت مراسيم الزيارة اجتماع المعزين في ساحة ثورة العشرين وتلاوة المراثي بالمناسبة ثم الاستماع الى خطاب سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) والانطلاق بتشييع مهيب الى مرقد أمير المؤمنين(عليه السلام) نصرة للسيدة الزهراء (عليها السلام) وإدخالاً للسرور على قلوب أهل البيت (عليهم السلام).

وقد شهدت المناسبة فعاليات متنوعة كإقامة الندوات الدينية والاخلاقية والاجتماعية وعرض المسرحيات الهادفة وإقامة معارض الكتب

والصور وبطولات وتضحيات القوات المشاركة في الحشد الشعبي خصوصاً قوات وعد الله الظافرة بتأييد الله تعالى.

وكان لمواكب الخدمة والهيئة المركزية لتنظيم المناسبة دور كبير في إستضافة الزوار وتقديم كافة الخدمات لهم، كما ساهمت المساجد والحسينيات والمزارات في النجف والكوفة والكفل وطريق يا حسين بشكل فاعل في تقديم هذه الخدمات ومبيت الزوار ليلة المناسبة، وغطّت قناتا النعيم وبينات فعاليات ليلة الاستشهاد ويومه حتى انتهاء التشييع المبارك.

نسأل الله تعالى أن يتقبّل هذه النصرة المتواضعة بأحسن القبول ويجزي المشاركين فيها خير جزاء المحسنين ويعيدهم الى أهليهم سالمين غانمين موفوري الأجر فرحين بما أتاهم الله تعالى من فضله إنه ولي الإحسان.

المرجع اليعقوبي : الحلول الآنية والاستراتيجية لمشاكل البلاد

وصف سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطوة رئيس الوزراء الدكتور حيدر العبادي بتقديم مرشحي حكومة التكنوقراط يوم الخميس الماضي بأنها في الاتجاه الصحيح الذي دعا اليه سماحته منذ عام ٢٠٠٨ حينما قدّم هذا الحل للخروج من أزمات البلاد والتحوّل نحو عراقٍ مزدهرٍ.

ورغم أن هذه الخطوة ساهمت في نزع فتيل أزمة شديدة[١] ووفّرت أجواء إيجابية للحل الا أنها لم تخرج بشكل صحيح وشابها الكثير من الغموض والارباك وعدم مشاورة الشركاء في وقت يحتاج فيه السيد رئيس الوزراء الى اصطفافٍ سياسيٍ واسعٍ معه لتجاوز الأزمة الاقتصادية وتطهير البلاد من دنس الإرهاب وإعادة النازحين والمهجرين الى مناطقهم، ولا زالت فرصة المشاورة والمشاركة موجودة بعد وضوح المطلوب لدى الكتل السياسية.

جاء ذلك خلال استقباله لرئيس بعثة الامم المتحدة في العراق السيد يان كوبيتش[٢]، وراى سماحته أن سبب التدهور الحاصل في أوضاع العراق والكوارث التي حلّت به عدم سعي الفاعلين الدوليين والعراقيين لوضع الحلول الاستراتيجية للمشاكل وإنما يكتفون بالمعالجات الآنية الترقيعية التي تحفظ مصالحهم وامتيازاتهم وترحيل المشاكل الى المستقبل فتتراكم وتتعقد حتى اوصلتنا الى حافة الانهيار.

ولفت سماحته (دام ظله)الى إن تشكيل حكومة تكنوقراط في ظل هيمنة قادة الكتل السياسية وتكبيل إرادة البرلمان ورهنها بما يصدر عن المطبخ السياسي لهؤلاء القادة يجعل هذه الحكومة عاجزة عن تحقيق أمل الجماهير

---

(١) المقصود بها المظاهرات التي شارك فيها عشرات الآلاف في ساحة التحرير ومخيمات الاعتصام عند بوابات المنطقة الخضراء والتهديد باقتحامها وتعطيل مؤسسات الدولة، وقام رئيس الوزرا العبادي يوم الخميس ٣١/ ٢٠١٦/٣ بتقديم ظرف مغلق بأسماء مرشحي ١٦ وزارة الى أعضاء البرلمان لدراستهم والتصويت عليهم خلال عشرة أيام.

(٢) تاريخ اللقاء : الثلاثاء ٢٦/ج١٤٣٧/٢ الموافق ٢٠١٦/٤/٥.

المنتفضة المطالبة بحقها في العدالة والكرامة الإنسانية، لكن هذه الخطوة ضرورية لتجاوز مرحلة انتقالية توصلنا الى حلٍ استراتيجي نجد فيه نُخَبةً سياسيةً جديدةً تتخذ قرارها بحرية وتتحرى المصالح العليا للبلاد والشعب، وذلك بتغيير قانون الانتخابات على نحو يضمن فوز المرشح الأكثر أصواتاً بغضِّ النظر عن الكتلة وما جمعته من أصوات ويتخلص النواب من هيمنة رؤساء كتلهم.

وقال سماحته ان تسلط الاشرار مثل داعش وغيرها والكوارث التي افرزتها انما هو نتيجة هذا الوضع السياسي البائس الذي يسود المشهد العراقي وما ولده من احتقانات وشعور بالقهر والحرمان والاضطهاد، فلا بد من معالجة اصل المشكلة واجتثاثها من جذورها.

وفي ختام اللقاء الذي استمر ساعة ونصف الساعة شكر السيد الضيف سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على نصائحه وارشاداته.

إنتفاضة البصرة عام ١٩٩٩ [١]

ورد في الحديث النبوي الشريف (من ورّخ مؤمناً فكأنما أحياه) [٢] وهذا المعنى واقعي لان من دوّن سيرة مؤمن وحفظها للأجيال فقد أبقى ذكره

(١) تقريظ لكتاب عن انتفاضة البصرة في ١٧ اذار ١٩٩٩ عقب استشهاد السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره) بقلم الكاتب عبد الكريم خليفة.

(٢) سفينة البحار للشيخ عباس القمي :٤٣٥/٨ مادة (ورّخ).

مستمراً وكأنه موجود بين الناس وهي حياة جديدة تمتد بها حياته المحدودة بوجوده بين الناس (والذكر للإنسان عمرٌ ثانٍ).

والثمرة في حفظ تاريخ وسيرة المؤمنين الصالحين لا تختص بهذا الاحياء للشخص نفسه، بل يستفيد المجتمع من هذا التاريخ من خلال قراءة هذه التجارب الغنية بالحكمة والجهاد والاجتهاد في العمل الصالح وليتأسى بهم ويختصر الزمن فيبدأ من حيث انتهوا ليتسامى ويتكامل، ولولا هذه التجارب المسجلة بين أيدينا لاحتجنا أن نبدأ في كل قضية من المربع الأول –كما يقال– وفي هذا استنزاف للعمر والوقت الثمين.

وفي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) قال: (أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ،)[1].

وتزداد أهمية كتابة التاريخ حينما يتجاوز سيرة الأشخاص ليدّون مواقف الامة وقضاياها المصيرية وما مرّت بها من أحداث جسام مثلت منعطفات فاصلة في حياتها، ولذلك سُررت عندما أعلمني جناب الأخ (عبد الكريم خليفة) بتصديه لتسجيل أحداث (انتفاضة البصرة) التي أنطلقت شرارتها يوم ١٩٩٩/٣/١٧ عقب استشهاد سيدنا الأستاذ السيد محمد محمد صادق الصدر

(١) نهج البلاغة. الصفحة ٦٣٤ من وصيّته (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام)، كتبها إليه بـ حاضرين عند انصرافه من صفّين.

(رضوان الله تعالى عليه) يوم ١٩٩٩/٢/١٩، فقد كانت ثانية الانتفاضة الشعبانية المباركة في آذار /١٩٩١ في كسر شوكة النظام الصدامي المقبور وإدخال الرعب عليه وإجباره على أن يصغي لصوت الشعب بمقدارٍ ما، وإضعافه حتى اصبح خاوياً على عروشه وتهاوى بمجرد انقضاض قوات الاحتلال عليه عام ٢٠٠٣، فكان لهذه الانتفاضات المباركة الدور الكبير في إبقاء ضمير الأمة حياً وإيقاظها من غفلتها وإدامة زخم مواجهة الحق للباطل ببركة الدماء الزكية ومعاناة وألم الصابرين.

لقد كان للمؤلف واسرته – رجالاً ونساءاً – دور مشرف في هذه الانتفاضة ودفعوا ثمنه اعتقالاً وتشريداً كسائر الاسر البصرية المجاهدة وفقدنا فيها أحبة لنا أتخذهم الله تعالى شهداء واختارهم لجواره، ومضوا نحو الشهادة بكل عزيمة وإباء وإخلاص وآثروا جوار ربٍ رؤوف كريم على البقاء في ظل حكم أشرار طغامٌ وعبيد لئام.

والكتاب يمثل وثيقة مهمة لهذه الانتفاضة المباركة لأنها بقلم وشهادات المشاركين فيها، وقد أشرت اجمالاً الى ظروف انطلاقها والعوامل التي أضعفت شوكة المجاهدين في مذكراتي[1] عن هذه المرحلة من تاريخ الأمة والحركة الإسلامية عقب استشهاد السيد الصدر الثاني (قدس سره الشريف).

أُقدِّر جهود المؤلف وأشكر المجاهدين الذين تعاونوا معه وأدوا شهاداتهم الثمينة التي غطت فصولاً متنوعة من أحداث الانتفاضة، نسأل الله

(١) مقدمة موسوعة (خطاب المرحلة):٢٣/١.

تعالى أن يتقبل تلك القرابين الزكية والالم والمعاناة بأحسن قبوله ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

محمد اليعقوبي

٣/رجب/١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٤/١١

مشاعر توحّد الإنسانية (١)

موقفان حصلا في الأيام الماضية أثبتا ان البشر جميعاً بغضّ النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية والجغرافية والاجتماعية يشتركون بثروة ضخمة من الثقافة والاخلاق الانسانية النبيلة التي اودعتها فيهم الفطرة السليمة (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم/٣٠) وإن كانت هذه النقاوة الأصيلة قد تتعرض بفعل عوامل ذاتية وخارجية للتغييب والتغيير.

احدهما: وضع لاعبي نادي ريال مدريد الاسباني شارات سوداء على ايديهم في مباراتهم التي تلت الهجوم الآثم على مقهى في مدينة بلد الخميس الماضي والذي قتل وجرح العشرات من الابرياء وعبارات الحزن باللغتين العربية والانكليزية التي كانت تعرضها الشاشة التلفزيونية ووقوف الجمهور وجميع اللاعبين دقيقة صمت حزناً وتعاطفاً مع ذوي الضحايا وكلمات الإدانة الشديدة.

ثانيهما: ما أُعلنَ عن تغيير الحكومة البريطانية مواعيد امتحانات آخر

(١) صدر بتأريخ الخميس ١١ شعبان ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٥/١٩.

العام بسبب توافقها مع شهر رمضان الكريم مراعاةً لشعور الطلاب المسلمين واوضاعهم.

هذان الموقفان وقبلهما المبادرات الانسانية الكثيرة والمهمة لمساعدة ضحايا الكوارث والحروب والفقر والمرض، والاتفاقات العالمية للحفاظ على الطبيعة والمخلوقات وحماية حقوق الانسان تدعو العلماء والمفكرين والقادة من جميع الأمم الى بذل المزيد من الجهود لاستثارة هذه الكوامن الانسانية النبيلة التي توحدّهم على فعل الخير ومحبة الآخرين ورفض الظلم والعدوان والكراهية، وان هذه افضل السبل للتقريب بين الناس جميعاً وتحقيق العدالة الاجتماعية والسعادة والرفاه للبشرية.

المرجع اليعقوبي يستنكر حالة الاسترخاء والتسويف التي تعيشها الكتل السياسية

إستنكر سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) حالة الإسترخاء والتسويف التي تعيشها الكتل السياسية، بعد هجوم المتظاهرين على مقر البرلمان والاعتداء على عدد من أعضائه[1] خصوصاً د.عمار طعمة المعروف باعتداله وسلميته ومبدئيته ووطنيته مما أثار استياءاً وطنياً ودولياً، وقد

(١) بعد فشل تمرير (الظرف المغلق) لحكومة التكنوقراط المستقل الذي قدمه رئيس الوزراء العبادي بدعم من التيار الصدري في جلسة الرلمان يوم السبت ٣٠/ ٤/ ٢٠١٦ اعطيت الاشارة لآلاف المنظاهرين المتجمعين باقتحام المنطقة الخضراء والهجوم على البرلمان ولم تتدخل القوات الأمنية لمنعهم ثم أُمروا بالتوجه الى ساحة الاحتفالات الكبرى المجاورة.

تسببت هذه الحالة في شلل العملية السياسية وتأجيل النظر في قضايا البلاد المهمّة وإتجاه الأوضاع نحو الكارثة، ورأى سماحته إن هذا الإسترخاء يكشف عن ضعف الوعي السياسي والشعور بالمسؤولية وعن قراءة غير صحيحة لقادم الأيام.

وطالب سماحته لدى لقائه[١] ممثل الامين العام للأمم المتحدة في العراق السيد يان كوبيش للمرة الثانية خلال عدة اسابيع بالتئام البرلمان من جديد بكل أعضائه وفتح باب الحوار لمعالجة كل الإشكاليات وتفعيل الحراك السياسي.

وتبادل سماحته مع سعادة الضيف بعض الآليات العملية للوصول الى الغاية المرجوّة، وقدّم له مشروعاً لحل الأزمة يتضمن ثمان نقاط ليعرضه على قادة الكتل السياسية والأطراف الإقليمية والدولية الفاعلة في القضية العراقية.

المرجع اليعقوبي: يدعو الجميع الى التصرف بحكمة والاصطفاف خلف قواتنا المسلحة التي تحقق الانتصارات[٢]

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه..

لقد آلمنا واقلقنا ما آلت اليه الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية والإنسانية للبلد حتى حصل ما حصل[٣] اليوم الجمعة من مواجهات عنيفة بين

(١) تأريخ اللقاء الخميس ٤شعبان١٤٣٧ المصادف ٢٠١٦/٥/١٢.

(٢) صدر بتأريخ الجمعة ١٢ شعبان ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٥/٢٠.

(٣) قام الآلاف من المتظاهرين بعبور جسري السنك والجمهورية المفتوحين في بغداد من غير احتياطات ووصلوا المنطقة الخضراء واقتحموها، ودخل العشرات منهم مكتب رئيس الوزراء

القوات الأمنية والمتظاهرين وأسفرت عن إصابة العشرات من الأعزاء علينا من الطرفين، في وقت نحن أحوج ما يكون الى توحيد صفوفنا مع القوات المسلحة وهي تحقق الانتصارات تلوَ الانتصارات في جبهات القتال العديدة مع الإرهاب وأعداء العراق.

ان الكثير من المطالب الحقّة التي خرج المتظاهرون المخلصون من اجل تحقيقها تضيع بسبب أفعال بعض المندسين الذين يريدون قلب الطاولة على الجميع وارجاع الزمن الى الماضي، فنهيب بالمتظاهرين أن يتصرفوا بحكمة وضمن الآليات والوسائل التي أقرّها العقلاء وكفلتها شرائع حقوق الانسان ولا يعطوا فرصة لمن يريد المساس بأمن البلد ومؤسساته والمصالح العامة.

أما القادة السياسيون فعليهم أن يستشعروا أخطاءهم وخطاياهم ويعيدوا مراجعة سلوكهم ويهتموا بحقوق الشعب ومعالجة مشاكله ورفع الظلامات عنه قبل فوات الأوان فهذه الإنذارات تترى عليهم وسوف لا ينجيهم ما يظنون انهم يعتصمون به، وسيطول موقفهم امام الله تعالى (وقفوهم إنهم مسؤولون) (الصافات/٢٤)، وهم قادرون على حل المشاكل لانهم هم من صنعوها بشرط وجود الإرادة الصادقة للحل وإنقاذ البلاد وخدمة الشعب وسيجدون الكل في عونهم ومساعدتهم، وقد قدّم الاكفاء المخلصون مشاريع عديدة لإصلاح الأوضاع وما عليهم الا أن يثوبوا الى رشدهم ويتجردوا عن أنانياتهم ويشحذوا

فتدخلت قوات مكافحة الشغب لردهم حتى أخلتهم فسقط عشرات الجرحى وقتل اثنان على الأقل واعتقل جمع منهم كما جرح عدد من رجال الشرطة وطعن بعضهم بالسكاكين.

هممهم للعمل المثمر الجاد.

(قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) (سبأ/٤٦).

والله ولي التوفيق.

تفسير (من نور القرآن)

بدأ سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) منذ مدة ليست قليلة سلسلة محاضرات في تفسير القرآن بعنوان (من نور القرآن) يتناول في كل محاضرة قبساً من هذا النور، وقد اتبع فيه سماحته منهجاً جديداً، فهو تفسير موضوعي يُفسِّر القرآن بالقرآن وبروايات أهل البيت (عليهم السلام) ويختار آيات تعالج قضايا عقائدية أو أخلاقية او فكرية او اجتماعية، فهو يستنطق القرآن ويستثير علومه ومعارفه لاستكشاف هذه المعالجات، وقد ناهزت الآن مئة قبس او أكثر، وهي مستمرة بفضل الله تعالى.

ونحن نلفت عناية السادة الفضلاء والمثقفين الذين طالبوا سماحة الشيخ المرجع (دام ظله) بإعطاء دروس في تفسير القرآن الى الاستفادة من هذه المحاضرات التي تعرض مساء الخميس والجمعة من قناة النعيم الفضائية ويومياً في شهر رمضان المبارك.

التعريف بالتفسير[١]:

تفسير موضوعي بمعنى أنه لا يتناول الآيات بحسب ترتيب وجودها في المصحف الشريف وانما بحسب الموضوع الذي تتناوله الآية، وتؤخذ معها الآيات التي تشترك معها في الموضوع لتشكّل منظومة منسجمة مع بعضها وتنتج رؤية متكاملة عن ذلك الموضوع، أو القضية التي تلقي الآية الكريمة ضوءاً عليها.

وبناءً على هذا المنهج يكون المصدر الرئيسي لتفسير الآيات الكريمة وفهم مدلولاتها هو القرآن نفسه من خلال ضم الآيات التي تشترك في وحدة القضية الى بعضها فتكتمل صورة المعنى بالبيان القرآني، فقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل : ٨٩] فيكون أول ما يبيّن نفسه، وبالاستعانة بالأحاديث الشريفة؛ لأن وظيفة المعصومين عليهم السلام هي بيان المراد من القرآن الكريم ونشر علومه ومعارفه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤].

ولأن غرضنا هو تفعيل دور القرآن الكريم في الحياة واخراجه من عزلته واعطائه حقّه في قيادة البشرية وإلهامه الحلول والمعالجات لكل مشاكلها، فإننا لا نقف عند تفسير ألفاظ الآية وشرح عباراتها ومفرداتها، وانما يهمنا أن نستلهم الدروس المستفادة منها؛ ولذا كان المعيار في اختيار الآيات هو أن تؤدي الى هذا الغرض وتشترك فيه وإن كانت ذات طبيعة عقائدية أو أخلاقية

(١) المقدمة التي كتبها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) لتفسيره (من نور القران) وقد طبع منه ثلاثة مجلدات وضمت اكثر من مئة قبس بفضل الله تعالى

أو فكرية أو اجتماعية أو سياسية وغير ذلك، فتبدأ عملية التفسير من تشخيص الداء والمشكلة التي يُراد معالجتها بالقرآن أو الجرعة العقائدية أو الأخلاقية أو الفكرية التي يراد اعطاؤها، أو النقص الذي يراد اكماله في ثقافة الأمة ونحو ذلك، ثم نهرع الى القرآن الكريم ونلجأ اليه فنستنطقه ونستثير علومه ومعارفه لنلتمس منه الحل والعلاج ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[الحديد: ١٣].

وقد تكون العملية بالعكس بأن ينقدح من الآية الكريمة نور يضيء طريقاً لصلاح الأمة وسعادتها فنقتبس من ذلك النور ما يزيل بعض الظلمات التي تتخبط فيها البشرية؛ فنشرح الآية أولاً ثم نطبقها على المطلوب أو نبيّن الدروس المستفادة منها، وقد نكرّس الحديث لتطبيقات الآية لوضوح معنى الآية في نفسها، فاحدى المميزات الرئيسية لهذا التفسير أنه تفسير (تطبيقي).

ولأن (القبس) –لغة– هو المتناول من الشعلة والنار بعود ونحوه وليس كل النار فإننا نعترف أن ما في هذا التفسير هو ما استطاعت عقولنا فهمه وادراكه بلطف الله تعالى من نور القرآن اللامتناهي ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان : ٢٧].

وعلى منهج القرآن من جعل التوحيد وما يتفرع عنه من العقائد محور الحياة كلها، فحينما يتعرض لأحكام شرعية أو يتناول أحداث معركة أو يعالج مشكلة اقتصادية أو اجتماعية فإنه يربطها بالعقيدة، والذي لا يفقه هذا المنهج القرآني يراها غريبة عن السياق.

وعلى هذا المنهج سرنا في الأحاديث والخطب فامتزجت فيها العقيدة

والأخلاق بالسياسة والاقتصاد والادارة والاجتماع والفكر والثقافة.

ومن يتابع هذه الأقباس لا يجدها على نمط واحد لأن ظروفها ودواعيها مختلفة ولم تُكتب كلها كتفسير وكان الكثير منها تقريراً لكلمات ارتجالية تقتضيها المناسبة أو طبيعة الحاضرين، وما ألقي منها في مناسبات –كالعيد أو ذكريات المعصومين عليهم السلام– لم نحذف منها ما يتعلق بالمناسبة لتكون هذه المعارف القرآنية مادة لإحياء المناسبات وتكون بنفس الوقت تطبيقاً للآية.

ولطول مخالطتي مع القرآن الكريم بفضل الله تعالى وكرمه فقد استفدت من طريقته في إصلاح الفرد والمجتمع وقد لخصّتها في القبس المخصص عن شكوى القرآن؛ ولذا اتصفت هذه المحاضرات القرآنية بشيء من تلك المميزات.

وكان للتفكير الاجتهادي وطول الممارسة في الاستنباط الفقهي المعتمد أصلاً على الكتاب والسنة أثر بالغ في استكشاف مكنونات الآيات الكريمة بالمقدار الذي تسعه أوعية عقولنا وقلوبنا المحدودة ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد : ١٧]، وربما فهمنا من الآية عدّة وجوه ومستويات غير ملتفت إليها ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة : ٤].

شهر رمضان المبارك / ١٤٣٧– حزيران / ٢٠١٦

أحيوا حب الوطن في قلوبكم وعقولكم (١)

دعا سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) الشعب العراقي عموماً والشباب خصوصاً الى تأكيد حب الوطن والانتماء اليه في قلوب وعقول الناس والوقوف في وجه الذين يريدون تذويب الروح الوطنية وتقسيم البلد وتفتيته وربما منح بعض اجزاءه هدايا لهذه الدولة او تلك ثمناً لخيانتهم لأرضهم وشعبهم.

وقال سماحته: يجب ان نكون واعين ويقظين لمحاولات استلاب حب الوطن منّا وابراز الانتماءات والولاءات الدينية والطائفية والعرقية والقومية والجغرافية والعشائرية ونحو ذلك لمسخ الهوية الوطنية واشغال الشعب بهذه الصراعات الهامشية وخلق حالة التفتت والانقسام والتشرذم ليسهل السيطرة على الشعب وسوقهم الى تحقيق المصالح الشخصية لهؤلاء الزعماء وامراء الحروب وتحقيق اهداف اسيادهم المعادية لمصلحة الشعب والبلد.

اننا متدينون لكننا لا نرى الانتماء الديني او المذهبي او القومي لاغياً للانتماء الوطني، لان الدين لا يقوم الا بوطن يضمه ويمدّه بما يحتاجه ويأوي اليه ويحميه، خذ مثلاً رسالة الاسلام الخالدة فانه لما لم يكن وطن في بدايتها كان المسلمون شرذمة قليلة مستضعفة معذّبة محرومة (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ)(الأنفال : ٢٦) ولما هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) الى يثرب

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع حشد كبير من شباب والطلبة الجامعيين يوم الأربعاء ٢٦/ ذ ح/١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٩/٢٨.

واصبح للإسلام وطن وسميت يثرب بمدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قامت للإسلام دولة وكيان وبسط جناحيه على الجزيرة كلها ثم امتد الى شرق الارض وغربها، فالانتماء للوطن ليس منافياً للانتماء للدين بل يعززّه ويرسخه، حتى وردت الاحاديث الشريفة في ذلك، روي عن امير المؤمنين (عليه السلام) قوله (عُمرت البلدان بحب الاوطان)[1]، وروي عنه (عليه السلام) (من كرم المرء حنينه الى الاوطان)[2] وقال في سفينة البحار: روي(حب الوطن من الايمان)[3].

لاحظ كيف يذوب من لا وطن له في غيره وتمسخ هويته بحيث نستدل على مسخ هويته وانتكاس فطرته وتجرده من القيم والمبادئ بتخليه عن حب الوطن وخدمة شعبه.

هذا الامر الفطري يعيش في وجدان الحيوان الذي لا عقل له فكيف بالإنسان ذي العقل والرشد، مثلاً بعض الاسماك التي تعيش في شمال الاطلسي تهاجر الاف الكيلومترات الى جنوبه فتتزوج وتضع ثم يموت الوالدان وتعود الاسماك المولودة الجديدة الى وطنها الاصلي بنفس الطريق الذي سلكه الوالدان رغم انها لا تعرف عنه شيئاً ولم ترَ والديها.

روى لي أحد تجار الحبوب انه يوجد حب اسمه (الهرطمان) يعطى غذاءاً للطيور يُزرع في العراق وسعر الكيلو منه الفا دينار، وقد وجد بعض التجار شكلاً اخر من نفس الحب في بعض البلدان المجاورة بسعر ألف دينار

(١) تحف العقول:٢٠٧ وبحار الأنوار:٤٥/٧٥

(٢) كنز الفوائد للكراجكي ص٣٤ وعنه بحار الأنوار:٢٦٤/٧١

(٣) أمل الآمل:١١/١، والأنوار النعمانية:١٧٠/٢

فاستورد كمية ومنّى نفسه بربح وفير، لكن المفاجئة ان اصحاب الطيور لما قدّموا هذا النوع المستورد للطيور لم تأكله واعرضت عنه ولم تقبل الا ذلك الحب البلدي.

اخذت من هذه الحكاية موعظة ودرسا في حب الوطن والانتماء اليه والوفاء له ولأهله، فليتعلم زعماء البلد خصوصا بعض (من ذوي الجنسية) الذين استبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير ولم يكونوا اوفياء لبلدهم وولي نعمتهم.

المرجع اليعقوبي: كلمة الدكتور العبادي أكثر من رائعة وتبعث على ثقة واطمئنان الداخل والخارج

وصف سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) كلمة السيد رئيس الوزراء الدكتور حيدر العبادي التي ألقاها أمس الخميس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بأنها اكثر من رائعة وتعبّر عن تشخيص دقيق لمشكلات البلاد وكيفية الخروج منها وتقدّم برنامجاً اصلاحياً للحكومة يبعث برسائل الاطمئنان والثقة الى الشعب العراقي في الداخل، والى دول العالم التي تنظر بعينين مفتوحتين الى سلوك الحكومة العراقية قبل ان تقدّم لها مساعداتها العسكرية والمالية والإنسانية، وازدادت الكلمة تأثيراً بتزامنها مع التحرير الباهر لقضاء الشرقاط في عملية نظيفة أكدت هيبة القوات المسلحة العراقية وجاهزيتها وقدرتها العالية لأداء مهامها مما يجعلها محل ثقة واحترام دول العالم.

ودعا سماحته الكتل السياسية كافة الى التعاون وتغليب المصالح العليا للبلد وللشعب حتى يخرج البلد من أزماته الخانقة فإن يد الله مع الجماعة.

الجمعة ٢١/ذو الحجة/١٤٣٧

٢٠١٦/٩/٢٣

تخصيص الليلة الثانية ويومها من عشرة محرم لذكر الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)

ندعو السادة خطباء المنبر الحسيني وأرباب العزاء وأصحاب المواكب الحسينية (دامت تأييداتهم) إلى تخصيص الليلة الثانية من العشرة الأولى من شهر محرم الحرام لذكر الإمام الحسن المجتبى السبط، وفاءً للشهيد المظلوم (عليه السلام)، ولارتباط حركته بنهضة أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) حيث مهّد لها وشيَّد أُسسها وعبّأ أجواء الثورة والرفض بفضحه لمكر الأمويين واستخفافهم بالدين والمسلمين وانتهاكهم للحرمات والمقدسات، وهّيأ أولاده النجباء للتضحية والفداء بين يدي عمّهم الامام الحسين (عليه السلام).

إن تخصيص مثل هذا اليوم أو أكثر للإمام الحسن السبط (عليه السلام) أسوة بالشهداء الآخرين من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) فيه رفع لبعض التقصير الموجود بحق الإمام الحسن السبط (عليه السلام)، ولإدامة ذكره المبارك حيث لا تفي ذكرى ولادته واستشهاده للإحاطة بجوانب سيرته المباركة وتوافقه التام مع حركة أخيه الإمام الحسين (عليه السلام).

إن شحذ الهمّة في الاستجابة بمقدار ما ييسّره الله تعالى لهذه الدعوة سيؤسس لسنّ هذه السيرة المباركة ولو بعد زمن وسيدخل السرور على قلب الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله) بذكر سبطيه وريحانتيه وسيدي شباب أهل الجنة. والله الموفق وهو المستعان.

محمد اليعقوبي ٢١/ذو الحجة/١٤٣٧ ٢٠١٦/٩/٢٣

يوم المنبر الحسيني

لما للمنبر الحسيني من أهمية ودور في إعلاء كلمة الله تعالى ونشر محاسن أهل البيت (عليهم السلام) وتوعية الأمة ووعظها وإرشادها فإنه يحسُنُ جعل يوم للمنبر الحسيني اسوة ببقية القضايا الحيوية التي جرت سيرة العقلاء وتوافق المجتمع البشري على جعل يوم عالمي لها لإجراء مراجعة شاملة وتقييم الفعاليات المرتبطة بتلك القضايا.

وأرى من المناسب أن يكون هذا اليوم هو الأول من صفر لأنه تاريخ ارتقاء أول خطيب حسيني حينما طلب الإمام زين العابدين (عليه السلام) أن يرتقي الأعواد[1] ليقول كلمات لله تعالى فيها رضى وللناس أجر وثواب في مجلس الطاغية يزيد عند دخول السبايا الى قصره في الشام يوم الأول من صفر وألقى

(١)هكذا سماها الامام السجاد (عليه السلام) حينما قال موجها خطابه ليزيد (يا يزيد ائْذَن لي حتى اصعد هذه الأعواد فتكلم بكلمات فيهن لله رضا ولهؤلاء الجالسين اجر وثواب) وربما كان وجه التسمية لتنزيه المنبر الذي هو لأئمة المسلمين عن يزيد وامثاله وقد روت العامة (اذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه او فارجموه).

(عليه السلام) خطبته التي أذهبت سكر ونشوة الطغاة وزلزلت عروشهم وأيقظت المجتمع المغفّل المستحمر.

فمن إحياء أمرهم (عليهم السلام) الاهتمام بهذا اليوم واحياؤه بالفعاليات المتنوعة لمناقشة قضايا مهمة مثل:-

١- رسالة المنبر الحسيني في مجالاتها المتنوعة وكيفية المحافظة عليها.

٢- دور المنبر الحسيني في توعية الأمة وتنوير عقولها ازاء القضايا العامة.

٣- مؤهلات الخطيب ومقومات نجاحه.

٤- وجود كيان يرعى خطباء المنبر وينمي قابلياتهم.

٥- خطاب المنبر الحسيني والتحديات المعاصرة.

٦- تاريخ المنبر الحسيني ومراحله.

٧- مدارس الخطابة المنبرية التي تركت بصمات مبدعة ومؤسسة.

٨- القصيدة الحسينية: مضمونها وتأثيرها ومكانتها.

٩- تأثير المنبر الحسيني في الجمهور ودور الجمهور في إنجاحه.

١٠- الخطابة النسائية بين الواقع والطموح.

نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

محمد اليعقوبي – النجف الأشرف

في الثاني عشر من محرم الحرام/ ١٤٣٨

٢٠١٦/١٠/١٤

هذا وقد حُظيت هذه الدعوة المباركة باهتمام واسع وعُقدت الندوات والمؤتمرات داخل العراق وخارجه، وأقيمت احداها في النجف الاشرف على مدى يومين بعنوان (مدارس الخطابة وأثرها في تطوير أداء المنبر الحسيني: مدرسة الشيخ محمد علي اليعقوبي إنموذجاً) حضرها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) يوم الخمس ٩ صفر ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١١/١٠ وستجمع المحاضرات والدراسات التي أُلقيت في جميع الفعاليات لتطبع في إصدار سنوي في هذه الذكرى ان شاء الله تعالى.

النصرة الحسينية لتوفير الكتب الدراسية

مرَّ أكثر من شهر على بداية العام الدراسي ولا زالت معاناة الآلاف من الطلبة لعدم تسلّمهم الكتب المقرّرة مما سبب ارباكاً في أوضاعهم الدراسية، ولا توجد حركة جديّة لعلاج هذه المشكلة على نحو شامل نتيجة السياسة العبثية

للجهات المسؤولة وعدم التصرف بحكمة ومسؤولية وفي بلدٍ أصيبت مؤسسات الرقابة والمحاسبة ومكافحة الفساد فيه بالشلل بسبب المحاباة والصفقات والمحاصصات.

ولا يسعنا أن نقف مكتوفين والحال هذه فأوعزنا الى المؤسسات الدينية والإنسانية والاجتماعية بأن تقوم بطبع واستنساخ الكتب الدراسية وشراء المتوفر منها وتوزيعها على الطلبة مجاناً، كما أدعو – ونحن نحيي الزيارة الأربعينية المباركة – المؤمنين الموالين الذين يبذلون الغالي والنفيس لإحياء الشعائر

الحسينية العظيمة أن يوفروا الأموال الزائدة التي تفيض عما تتطلبه خدمة الزوار بحيث يدخل بعض المصروف في باب الإسراف والتبذير، لينفقوا هذه الأموال في شراء وطبع الكتب الدراسية ويوزعوها مجاناً على الطلبة لتكون لهم صدقة جارية ونصرة راقية لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ويدخلون السرور على قلبه الشريف وهو في علياء مجده في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويزيلوا الهم والكرب عن قلبه الشريف وهو يرى أحباءه وفلذات أكباده من الأطفال والفتيان يجلسون على مقاعد الدراسة وقد داهمتهم الامتحانات وهم بلا كتب دراسية، بلّغنا الله تعالى وإياكم غاية رضاه.

محمد اليعقوبي – النجف الأشرف

١٠/ صفر/ ١٤٣٨

٢٠١٦/١١/١١

تعليق: لقيت هذه الدعوة استجابة واسعة وانطلق المتطوعون في جميع مدن العراق لطبع المناهج الدراسية وتوزيعها وإصلاح المقاعد الدراسية وترميم المدارس وتجهيزها بما يحتاجه الطلبة بدعم مالي واسع من سماحة المرجع وأُطلق على المبادرة (الحسين بسمة تلميذ) واستمرت على مدار العام الدراسي واستقبل سماحة المرجع الكثير من وفود الشكر والثناء على المبادرة ومنهم وزير التربية[1].

(١) خبر الزيارة منشور في هذا المجلد.

الجميع بانتظار بشرى تحرير الموصل (١)

تشير تصريحات المسؤولين ودلائل الواقع الميداني واكتمال الاستعدادات بإذن الله تعالى الى قرب انطلاق عملية تحرير الموصل أم الربيعين الضاربة في الأصالة والحضارة في اعماق التاريخ، المنجبة للمبدعين في العلوم والفنون المختلفة، من أغلال الأسر وانقاذها من خاطفيها الإرهابيين والتكفيرين وعملاء الأجانب، وسيكون هذا التحرير بإذن الله تعالى ونصره وتثبيته مسك ختام الانتصارات المؤزرة للقوات المسلحة المقتدرة الظافرة، التي نتوقع منها أسمى صور الشجاعة والإقدام والاخلاص والثبات والحكمة وضبط النفس والمهنية والوطنية والشعور بالمسؤولية ونظافة الوسيلة وسمو الغاية .

وندعو شعبنا الكريم الى رفع أيدي الضراعة والدعاء لله تبارك وتعالى أن ينزل نصره وتأييده وتسديده على القوات المشاركة والمساندة وأن يربط على قلوبهم ويثبت أقدامهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

إننا نتابع بقلق ما يثيره تجار السياسة وأمراء الحروب من الداخل والخارج من استفزاز واحتقان وتحريك العصبيات القومية والطائفية لإيقاع الفتنة بين أبناء ومكونات المحافظة الذين سادهم التآخي والتواصل، لذا ندعو

(١) أصدر سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) هذا البيان قبل انطلاق عملية تحرير الموصل باسبوعين تقريباً بعد تلقيه اتصالاً هاتفياً من السيد رئيس الوزراء شرح فيه مفصلاً الاستعداد للعمليات ومعوقاتها. وقد أعلن القائد العام للقوات المسلحة بدء عمليات تحرير الموصل من عدة محاور في الساعات الأولى من صباح الاثنين ١٥ محرم ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١٠/١٧.

المخلصين والمضحّين الى فضح هذه المحاولات وتحذير الأمة منهم، وقطع الطريق عليهم.

ونهيب بقادة الحشد الشعبي المبارك البطل أن يعملوا ضمن حدود توجيهات القائد العام للقوات المسلحة فيقفوا حيث يأمرهم بالوقوف ويتحركوا حين يأمرهم بالحركة ليحبطوا الفتنة في مهدها ويفشلوا مساعي خلق الخوف والقلق من عملية التحرير وتصويرها وكأنها عملية طائفية انتقامية.

ونؤكد على أن يحرص الجميع على تغليب المصلحة العليا للشعب والدولة على المصالح الشخصية والفئوية، فليس من المقبول تعقيد العملية وزيادة معوقاتها من أجل امجاد شخصية او دعاية انتخابية، ولا من النبل والشرف أن نعطِّل فك أسر أهلنا في الموصل حتى يتأكد هذا وذاك من نصيبه مما بعد التحرير[1]، فنينوى محافظة عراقية وأهلها عراقيون وسيبقون هكذا.

لقد أثبتت عمليتا تحرير القيارة والشرقاط النظيفتان أنه يمكن تقليل الخسائر والجهود الى ما يقرب من العدم إذا أديرت العملية بحكمة وتوقفت التصريحات المثيرة للقلق وردود الأفعال الاستفزازية، حتى أن الأهالي لشدة اطمئنانهم وثقتهم العالية بالقوات النظامية لم يغادروا المدينة وتعاونوا مع القوات المحررّة وسهّلوا إنجاز مهمتها.

إن الجميع ينتظر بشرى تحرير الموصل وعودتها الى أهلها والى أحضان العراق، وقد أذن الله تعالى لعباده المظلومين المقهورين بالقتال ووعدهم النصر ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ*

(١) اشارة الى ما كان يصرّح به بعض قادة الكرد.

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٣٩-٤٠].

محمد اليعقوبي - النجف الاشرف

في الثاني من شهر المحرم ١٤٣٨ الموافق ٤-١٠-٢٠١٦

عشرات النساء بين شهيدة وجريحة ب(نيران صديقة) في داقوق[١]

في سابقة خطيرة تثير فينا القلق والريبة الى جنب الحزن والألم استُهدف أمس مجلس عزاء للنساء بمناسبة ذكرى عاشوراء الحسين (عليه السلام) كان مقاماً في حسينية الايلخانلي في مدينة داقوق التابعة لمحافظة كركوك، والاحصائية الاولية تفيد سقوط (١٥) شهيدة و(٥٦) جريحة.

وقد أفاد بعض الشهود القريبين للحادث ان الحادث حصل بفعل

(١) وقع الحادث عصر الجمعة ١٩ محرم ١٤٣٨ الموافق ٢١ /٢٠١٦/١٠ وقد ساهم صدور البيان في تسلية ذوي الشهداء والمصابين ودفع الحكومة والبرلمان الى الاهتمام بالحدث فتحركت لجنة الامن والدفاع البرلمانية للتحقيق في أسباب الحادث وكيفيته وأعلنت بعد أسبوع ان الفعل قامت به طائرة عراقية كانت مع طائرتين أخريين في طلعة جوية وطالبت قيادة القوة الجوية بمعرفة الفاعل ودوافعه، وقررت الحكومة في اجتماعها تعويض عوائل الشهداء والجرحى، وأثرّ اتهامات وقوع الحادث بنيران صديقة نفى الناطق باسم التحالف الدولي لمكافحة الارهاب الذي تقوده أمريكا قيام طائراته بطلعات فوق محل الحادث ذلك اليوم.

صاروخ اطلق من طائرة، وهو ما أكّده مسؤول امني في المدينة وانه جرّاء (نيران صديقة) .

إننا اذ نتفهّم سقوط ضحايا بنيران صديقة اثناء العمليات العسكرية الكبيرة وفي ساحات القتال، لايمكننا استيعاب وقوع الحادث في مدينة آمنة ليست قريبة من أي ساحة عمليات عسكرية مما يدعونا الى مطالبة الجهات المختصة في البرلمان والحكومة بفتح تحقيق عاجل ومهني وشفاف لمعرفة اسباب الحادث ومن يقف وراءه واغراضه الدنيئة وهو يكدّر اجواء الانتصارات الباهرة التي تحقّقها قواتنا الظافرة في محافظة نينوى، ونطالب الاجهزة الامنية والعسكرية بتطهير المؤسسة من المتعاونين مع الاعداء (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾المنافقون/٤

واننا إذ نعزّي ذوي الشهيدات الكريمات بالمصاب الجلل ونواسي الجريحات الصابرات، نذكّرهم بما اعدّ الله تعالى من المقام المحمود لمن يصيبه العنتْ والاذى في سبيله عزّ وجلّ وقد كانوا يعظّمون شعائر الله تعالى ويواسون أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم أجمعين) بمصائب عاشوراء.

وندعو الحكومة الى تعويض ذوي الشهداء والمصابين مادياً ومعنوياً بما يخفّف عنهم هول المصاب (وما عند الله خير وأبقى).

طالبة القادة السياسيين بحفظ كرامة المنظومة العسكرية ومهنيتها

أثنى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على الانتصارات التي تحققها القوات المسلحة البطلة في عملية تحرير محافظة نينوى بقيادة عدد من الضباط الشجعان المهنيين الوطنيين مما أعاد للجيش العراقي مكانته التي عُرف بها وصدارته في قائمة جيوش العالم.

وان النكسة التي حلّت به عام ٢٠١٤ لا تليق به وما كانت لتقع لولا الفساد والخيانة وتصدي غير الكفوئين لقيادته من الذين لم يتشربوا بالعقيدة والمهنية العسكرية.

وذكّر سماحته بالقرارات الخاطئة وغير المدروسة - بل المتعمدة أحياناً من البعض - التي اتُخِذَت بعد التغيير عام ٢٠٠٣ وأدّت إلى تدمير المنظومة العسكرية والأمنية واهانتها مما فتح الباب واسعاً لتدمير الدولة كلها وأصبح البلد مرتعاً للإرهاب وساحة مستباحة لكل من هبّ ودَبّ بعد أن سقطَ السور الحصين وغاب المحامي، ثم أُكمِلت عملية التخريب بعدم مراعاة قواعد الخدمة العسكرية عند بناء المنظومة الجديدة حتى أصبحت المناصب القيادية تباع بالأموال وتُمنَح وفق المحاصصات المقيتة والصفقات المتبادلة.

لكن سماحته أكدّ خلال لقائه اليوم[1] بجمع غفير من القيادات العسكرية وكبار الضباط في وزارتي الدفاع والداخلية بمكتبه في النجف الأشرف، إن الانجازات الأخيرة وظهور نخبة من القادة الناجحين أثبتت

(١) الخميس ٨/ربيع الأول/١٤٣٨ المصادف ٨-١٢-٢٠١٦.

إمكانية الإصلاح وان الأمل موجود ،ويمكن تعزيزه بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، واعتماد اسلوب الثواب العقاب فيثاب المحسن في عمله ليكون حافزاً للجميع على تحقيق النجاحات، ويعاقب المسيء ليكون رادعاً لكل من تسوّل له نفسه الخيانة والتقصير والإهمال كالذي حدث عند سقوط الموصل ولم يؤخذ بنتائج التحقيقات التي حددت الأسباب والمسؤولين.

وحذّر سماحته القيادات السياسية من اتخاذ قرارات لا تراعي كرامة العسكريين ولا تحفظ لهم حقوقهم أو تحرم الدولة من خبراتهم التي صرفت مبالغ ضخمة لتحصيلها وتسريحهم من دون الاستفادة منهم، أو رفع شأن فصائل مسلحة مرتبطة بأحزاب السلطة على حساب إضعاف المؤسسة العسكرية إلى حد الإهانة، فهذا كله عبث وهدر بأموال الدولة ومسخ للهوية الوطنية ويؤدي الى فشل الدولة.

العلاقة التكاملية والمسؤولية التضامنية بين الشعب ومؤسسات الدولة ضمانة الأمن والأزدهار

استقبل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) عددا من السادة المدراء العامين في وزارة التربية وممثل مكتب معالي الوزير بمكتبه[1] في النجف الأشرف لتقديم الشكر لسماحته على المبادرة التي أطلقها الشهر الماضي لطبع واستنساخ الكتب المدرسية التي عجزت وزارة التربية عن

(١) الأحد ١١ ربيع١ ١٤٣٨ المصادف ١١-١٢-٢٠١٦.

توفيرها للطلبة وتوفيرها مجانا للطلبة .. واستمع سماحته إلى شرح مفصّل قدمه رئيس الوفد عن الخطوات التي قامت بها الوزارة للارتقاء بالمستوى العلمي والتربوي للطلبة.

وأكد سماحة المرجع اليعقوبي خلال اللقاء على ضرورة ان تكون العلاقة بين الشعب ومؤسسات الدولة تكاملية والمسؤولية التضامنية مبنية على الشفافية والثقة والمصداقية والشعور بالمسؤولية والإنصاف فإن هذه المؤسسات هي ملك الشعب وتعمل في خدمته وتوفير الحياة الكريمة له، لكنها قد تعجز عن أداء تمام وظائفها لقصور أو تقصير وحينئذ ينبغي للشعب الواعي ان يهبّ لملئ الفراغ ولا يقف مكتوف الأيدي منتظراً قيام الدولة بذلك لأنه هو الخاسر في النهاية.

وضرب سماحته لذلك مثلا ما يحصل سنوياً في زيارة الأربعين الى الإمام الحسين (عليه السلام) فان الحكومات تعجز عن توفير الطعام والمسكن لملايين من الزوار يقطعون آلاف الكيلومترات مشياً على الأقدام، فلذا كان ما يقوم به المؤمنون الموالون من إنشاء المواكب على طول الطريق وتقديم الطعام والشراب وتوفير المنام وسائر الخدمات الأخرى ضرورياً لإدامة هذه الشعيرة المقدسة.

والمثال الأخر مساندة الحشد الشعبي المبارك للقوات المسلحة في دحر الإرهاب وحفظ المقدسات ودوره في حماية مؤسسات الدولة والأموال العامة والأمن العام، وهكذا ينبغي إن يكون الشعب حاضراً في كل ساحات الاعمار والإصلاح والتنمية فاذا وجد عجزاً في الخدمات البلدية واعمار المصالح العامة

تطوع جمع للقيام بها، وهكذا، من باب التكامل بين الشعب والدولة في تحقيق الرقي والازدهار، على أن لا يعطي مبرراً لتقصير بعض المسؤولين في الحكومة او بعض حالات الفساد المالي والإداري.

وفي هذا السياق تأتي المبادرة بطبع الكتب المدرسية وتوزيعها مجاناً التي استجاب لها الغيارى الوطنيون من أبناء العراق، فتحولت الى تظاهرة وطنية واسعة توشحت باسم الإمام الحسين (عليه السلام) وأطلق عليها (الحسين بسمة تلميذ) لتزامنها مع الزيارة الأربعينية والتوجيه بصرف المبالغ الفائضة عن خدمة الزوار على طبع الكتب حيث تم توزيع عشرات آلاف الكتب في مختلف المحافظات وشملت جميع الوطن بلا تمييز بين القوميات أو الطوائف أو الأديان أو الانتماءات الأخرى، وتوجد مساعي لترميم وتكملة بناء العديد من المدارس وتصليح أثاثها او تجهيزها بلوازم الدراسة.

ووجه سماحته اللوم الى السياسيين الذين يملؤون شاشات التلفزيون بالتسقيط والاتهامات وتصفية الحسابات الشخصية والحزبية مما يخلق فجوة كبيرة بين الشعب والمسؤولين، بدل النقد البنّاء وإجراء التحقيقات المهنية الموضوعية في القضايا المشارة ليتميز المحُسن من المُسيء والخبيث من الطيب.

وأوصى سماحته مصادر القرار في الوزارة باستشارة أهل الخبرة والاختصاص فإن (من شاور الرجال شاركهم في عقولهم) وتمحيص الآراء قبل اتخاذ القرارات لارتباطها بمستقبل أبنائنا وإقامة منظومة معرفية وتربوية سليمة.

وفي نهاية اللقاء قدّم الوفد لسماحة المرجع درعاً تكريمياً باسم الوزارة.

المرجع اليعقوبي يثني على تواجد القيادات العسكرية العليا في قلب مواقع العدو(١)

بارك سماحة المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) للقوات المسلحة العراقية بكل تشكيلاتها الانتصارات التي حققتها في عمليات (قادمون يا نينوى) ولازالت بشائرها تتوالى خلال الأيام الأخيرة .

وأثنى على تواجد القيادات العسكرية العليا وسط المقاتلين في الخطوط الأمامية وفي قلب مواقع العدو.

وقال سماحته لدى استقباله الحاج أبا مهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي بمكتبه في النجف الأشرف : إن هذه الانتصارات ما كانت لتحصل لولا إخلاص المقاتلين وصدقهم في الأداء ووحدة التشكيلات العسكرية والتنسيق بينها ، فإن يد الله مع الجماعة.

واستمع سماحته إلى موجز قدمّه الضيف الكريم عن سير العمليات في القواطع كافة واطلع على خارطة دقيقة تبين مناطق انتشار التشكيلات ومحاصرة العدو وقطع خطوط إمداداته.

وشرح الحاج المهندس الإجراءات الأكاديمية والمهنية التي رتبتها رئاسة الهيئة لتأهيل آمري ومراتب قوات الحشد الشعبي للاستمرار في مواقعهم التي هم فيها الآن تقديراً لبطولاتهم ومرابطتهم أكثر من سنتين ونصف

(١) بتأريخ الأحد ١٦/ ربيع٢/ ١٤٣٨ المصادف ١٥- ١ -٢٠١٧

وانسجاماً مع متطلبات القوانين العسكرية بعد سنّ قانون الحشد الشعبي مؤخراً ليكون جيشاً رديفاً للجيش النظامي، حيث كان سماحة المرجع اليعقوبي أول من أطلق مشروع تأسيس الجيش العقائدي الرديف عند سقوط الموصل في حزيران / ٢٠١٤ لتلافي انهيار معنويات القوات المسلحة بسبب فشل وفساد القيادات الموجودة.

وناقش سماحته مع القيادي الزائر الخروقات الأمنية التي حصلت في محافظة النجف الأشرف مؤخراً والتحديات الأمنية التي تواجهها المحافظة بسبب موقعها الجغرافي.

هذا وقد رافق الحاج المهندس القيادي البارز في الحشد الشعبي فضيلة الشيخ سامي المسعودي نائب رئيس ديوان الوقف الشيعي.

يوم العفاف

وجّه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي بتخصيص يوم سنوي باسم (يوم العفاف) لما يحظى به هذا السلوك الإنساني والسماوي النبيل من أهمية في صلاح الأمة وازدهارها.

وقد اختار سماحته يوم ميلاد عقيلة أهل البيت (عليها السلام) زينب بنت أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) في الخامس من جمادى الأولى ليكون يوم العفاف الذي جسدتّه العقيلة زينب بأسمى صوره حتى وهي تمر بأقسى المعاناة والاضطهاد والقهر بعد مقتل أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) وفي

مجالس الطواغيت يزيد و ابن زياد.

و دعا سماحته في كلمة ألقاها[١] أمام حشد من الشباب الذين أنهوا دورة في تأهيل قادة المستقبل الى وضع برامج وفعاليات تعرّف بهذا المبدأ السامي و آثاره المباركة في حياة الفرد والمجتمع حتى ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (العفّة رأس كل خير) وقوله (أفضل العبادة العفاف)[٢].

ولفت سماحته الى أن العفاف لا يخص المرأة ولا يقتصر معناه على حجاب المرأة وسلوك كل من الجنسين تجاه الآخر، بل هو معنى عام يشمل كل أنماط السلوك كالعفة في اكتساب المال وعفّة اليد وعفّة اللسان والعين وغير ذلك. فلتبرز فعاليات المناسبة كل هذه المعاني وتنقّي هذا المبدأ من محاولات التمييع والتذويب والافراغ من المحتوى.

إتحاد المسلمين مظهر لشكر النعمة[٣]

تحدثنا في كلمة سابقة عن وصف النبي (صلى الله عليه وآله) في كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه نعمة مكفورة و ذكرنا عدة أشكال لكفران هذه النعمة و

(١) بتاريخ ١ ربيع الثاني ١٤٣٨ الموافق ٣١-١٢-٢٠١٦

(٢) ميزان الحكمة ٧٢/٦

(٣) خاطرة ذكرها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) خلال درسه في البحث الخارج يوم ١٧/ع١/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١٢/١٧

عدم شكرها و اليوم نضيف اليها شكلاً اخر، فمن النعم التي تحققت بالنبي (صلى الله عليه وآله) و رسالته المباركة إتحاد الامة وتآلفها ونبذ ما يفرّقها قال تعالى (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانا) (آل عمران:١٠٣) فقوله تعالى (أَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ) اي برسول الله (صلى الله عليه وآله) كما تفسرّه الروايات الشريفة فبه (صلى الله عليه وآله) ولدت أمة جديدة متماسكة قوية بعد أن كانوا أشتاتاً ممزقين تنخر فيهم العداوات و الحروب الطاحنة و العصبيات الجاهلية (إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء) .

فالعمل على جمع المسلمين ولمّ شملهم و إيجاد الألفة بينهم شكر لهذه النعمة الكريمة وامتثال للأمر الالهي المذكور في الآية السابقة، وكل عمل ينطلق من عصبيات جاهلية متحزبة فئوية أو شخصية يحاول صاحبه اجتثاث الاخر واستئصاله ويؤدي الى التفريق بين المسلمين وتمزيق وحدتهم ويجعلهم أحزابا وجماعات وتيارات وعصابات كفر بهذه النعمة المباركة، وكل نعمة تتحقق للإنسان او المجتمع ثم يفرّط فيها و يهملها يكون ذلك كفراً بتلك النعمة، وقد ورد مثل ذلك في تعلم الرماية عن النبي (صلى الله عليه وآله) (من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها)[1]

وهذه الفكرة تحتاج الى بيان مفصّل لأهميتها والتركيز عليها .

(١) الدر المنثور:١٩٢/٣ في تفسير قوله تعالى (وأعدوا لهم) (الانفال:٦٠)

يجب على الجميع أن يكونوا عشيرة كل مظلوم مستضعف لنصرته وردع الظالم

عبَّر سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) عن ألمه وقلقه مما يحصل من نزاعات مسلحة بين العشائر في عدة مناطق من العراق وتزهق فيه الأرواح وتتلف فيه الأموال وتتعطل الحياة مدة ويتضرر الأبرياء ويعيش الناس القلق والرعب وفقدان الأمن، وهذا كله من عمل شياطين الانس والجن الذين يدأبون على إيقاع مثل هذه الصراعات بين الاخوة بعد ان يحرِّك فيهم العصبيات والانانيات والعزة بالإثم، قال تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ) (المائدة:٩١).

وقال سماحته لدى[1] استقباله جمعاً كبيراً من زعماء قبيلة الخزرج في بغداد والنجف والدجيل وغيرها : ان الظلم تمادى في النفوس وساعد عليه انتماء الكثيرين الى احزاب سياسية متسلطة وفصائل مسلحة متنفذة فعجزت أجهزة الدولة عن محاسبة احد وملاحقته لان المنتسب الذي يؤدي واجبه يتعرض لأعنف التهديدات، وكلما ضعفت أجهزة الدولة الأمنية والقضائية والادارية عن أداء مهامها توفرت البيئة لبروز مثل هذه الانتهاكات الخطيرة لحقوق الانسان في حياة حرة كريمة آمنة.

وأضاف سماحته ان من مظاهر الظلم استضعاف الأشخاص الذين ليس لهم عشيرة تحميهم لأنهم من مدن أخرى او ينتمون الى طائفة او قومية أخرى

(١) تاريخ اللقاء يوم السبت ١٣/ج١/١٤٣٨ المصادف ٢٠١٧/٢/١١

فيبتزّونهم ويفرضون عليهم ديّات ضخمة اذا وقع حادث ما، فيجب على الجميع ان يكونوا عشيرة كل مظلوم مستضعف حتى يدفعوا عنه الظلم ويردوا الظالم لأننا جميعا بشر تجمعنا الإنسانية وننتمي لوطن واحد نتساوى فيه بالحقوق والواجبات، ولنتأسى في ذلك برسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما عرض على أهل مكة ان يؤسسوا حلف الفضول في الجاهلية قبل الإسلام لإنصاف المظلوم ورد الظالم.

وقال سماحته: إن أملنا كبير بحكمة وشجاعة الشيوخ الاصيلين في احياء القيّم الإنسانية النبيلة.

تعديل آلية توزيع المقاعد على الفائزين في الانتخابات[1]

لسماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) عدة اطروحات حول تعديل قانون الانتخابات وتشخيص الخلل الموجود في القانون المعمول به وأثره على العملية السياسية، وقد نشرت في عدة بيانات في فترات متفاوتة خلال السنين الماضية للمطالبة بتعديل القانون ليضمن تمثيلاً حقيقياً للمواطنين ويجعل الفائزين مسؤولين امام الجماهير التي انتخبتهم وليس أمام رؤساء الكتل.

وحول آلية توزيع المقاعد المخصصة لكل محافظة على الفائزين فقد تلخصت أطروحة سماحته بأن يبقى الترشيح ضمن قوائم واعتبار المحافظة الواحدة دائرة واحدة ثم ترتيب أصوات المرشحين في كل قائمه تنازلياً وتمنح المقاعد للأعلى أصواتا في مجموع المرشحين بغّض النظر عن القوائم وبذلك

(١)(١) صدر البيان يوم الثلاثاء بتاريخ ١٨/ربيع الثاني/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/١/١٧.

نحّجم هيمنة و تسلط رؤساء الكيانات السياسية ولا يستطيع الرمز أو رئيس الكتلة الكبيرة ان يصعد من حصل على أصوات قليلة بأصوات القائمة و يبقيه تابعا له، بل يصعد من انتخبته الجماهير .

اما إبقاء نظام القوائم والدائرة الواحدة لكل محافظة وعدم العمل بنظام الانتخاب الفردي المباشر من المواطنين و تعّدد الدوائر الانتخابية في كل محافظة بحسب عدد المقاعد المخصصة لها فهو لدفع الإشكال الذي يرد على نظام الانتخاب الفردي لأنه يؤدي الى فوضى واسعة في عدد المرشحين لأننا سنجد في كل حي من احياء المدينة عشرات المرشحين حيث يأمل الكل بالفوز وفق النظام الفردي وهذا يربك عمل المفوضية والمواطنين الناخبين، ويمكن أن نصير لاحقا الى الترشيح الفردي و إلغاء القوائم و العمل على تقسيم المحافظة الواحدة الى عدة دوائر انتخابية بعدد المقاعد المخصصة لها. عندما يرتقي الوعي السياسي لدى المجتمع انتخاباً وترشيحاً.

نسأل الله تعالى ان يصلح حال عراقنا الحبيب ويوفق أهله لما فيه الخير والسعادة.

تحرير الانسان أهم وأصعب من تحرير الأرض
إعادة اعمار المكتبة المركزية في الموصل

وجّه[١] سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) المؤسسات الثقافية والمراكز العلمية والبحثية التابعة له برفد مكتبة الموصل المركزية ومكتبة جامعة الموصل بكل ما تيسّر من الكتب والمساهمة في إعمارها وإصلاح الأضرار فيها، واعتبار ذلك أهم مظهر للاحتفال بالنصر وتحرير مدينة الموصل من العصابات الإجرامية حيث أعلن اليوم عن اكتمال تطهير الجانب الشرقي من المدينة بفضل الله تعالى.

ونبّه سماحته إلى أن التخريب العقائدي والفكري والاجتماعي والأخلاقي الذي أحدثه الإرهابيون في المدن التي احتلوها أعقد وأخطر من التدمير المادي والاحتلال العسكري، وان تحرير الإنسان أصعب من تحرير الأرض، ويحتاج الى مدة طويلة لتنقية المنظومة الثقافية والفكرية وإصلاح البيئة الأخلاقية والعقائدية خصوصاً عند الشباب والأطفال، فتوفير كتب الاعتدال والمبادئ الإنسانية النبيلة والعقائد الإلهية جزء مهم من عملية تحرير الإنسان.

وحث سماحته جميع المؤسسات العلمية ودور النشر على المشاركة في هذه العملية المباركة. ودعا سماحته الحكومتين المركزية والمحلية إلى أن تولي هذا الجانب الأهمية التي يستحقها، والله ولي التوفيق.

---

(١) بتاريخ ٢٥/ ربيع٢ / ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/١/٢٤.

تعليق: لقيت الدعوة استجابة وإشادة شعبية واسعة كما تبنّاها لاحقاً سياسيون وأكاديميون وأصبح عنوان تحرير الإنسان متداولاً.

المرجع اليعقوبي : دعوة إلى عدم إقامة المناسبات الدينية والاجتماعية في الأماكن العامة

ندعو المواطنين كافة إلى حصر إقامة المناسبات الدينية والاجتماعية كحفلات الأعراس ومآتم العزاء في القاعات المخصصة لهذه الأغراض والحسينيات والامتناع عن إقامتها في سرادقات تنصب في الأماكن العامة لحماية أرواح الناس من جرائم الإرهابيين الذين يسعون لاستهداف الأبرياء العزّل انتقاماً لخسائرهم المتلاحقة في ساحات القتال، ولإثبات وجودهم مستفيدين من بعض الخلايا الكامنة التي باعت شرف إنسانيتها ودينها بثمن بخس.

ونحن نتوقع أنه كلما توالت انتصارات قواتنا المسلحة والحشد الشعبي وشدّدوا الخناق على الجرذان المختبئة فإنهم سيقومون بمثل هذه الجرائم المتكررة.

وندعو قواتنا الأمنية إلى أن يكونوا في تمام الحيطة والحذر والاستعداد فإن العدو متربص ومنتظر للثغرة فلا مجال للتراخي ولم يحن وقت الاحتفال بالنصر.

كما نؤكد على التوجيهات المتكررة بمنع إطلاق العيارات النارية بمناسبة أو بدون مناسبة لما تسبّبه من خسائر في الأرواح والأموال وإدخال

الرعب على الناس الآمنين وتوفير البيئة لارتكاب الجرائم.

ونذكّر أيضاً بأن تقتصر مجالس قراءة الفاتحة على يومين بدل ثلاثة مهما أمكن ذلك.

نسأل الله أن يسدد أقوالنا وأفعالنا بالصواب والحكمة وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.

محمد اليعقوبي

١٥/جمادى الثانية/١٤٣٨

٢٠١٧/٣/١٤

المرجع اليعقوبي: يشيد بشجاعة القوات المسلحة والحشد الشعبي في الجانبين العسكري والإنساني

أشاد المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) ببسالة ومهنية الجيش العراقي وصنوف القوات الامنية وقطعات الحشد الشعبي في تصديها لقوى الارهاب والتكفير والتحجر.

وقال سماحته لدى استقباله[1] لوزيري الدفاع والداخلية السيد عرفان الحيالي والسيد قاسم الاعرجي والوفد المرافق لهما بمكتبه في النجف الاشرف :

(لقد فرض الجيش العراقي بمختلف صنوفه احترامه على دول العالم

(١) الأربعاء ٦ / شعبان / ١٤٣٨ هـ الموافق ٣ / ٥ / ٢٠١٧.

من خلال مستوى المهنية العسكرية العالي الذي قدمه وتناقلته وسائل الاعلام وكذلك من خلال مواقفه الانسانية النبيلة التي تميز بها .. فلطالما ضحى عناصر القوات المسلحة بأرواحهم من اجل الحفاظ على سلامة المدنيين والنازحين وهي خصلة تميز بها، ويندر وجودها في جيوش العالم)

ودعا سماحته الى استثمار هذه المكانة الدولية التي حظي بها العراق وحاجة العالم الى الخبرة العراقية في مكافحة الإرهاب خصوصاً بعد التخلص نهائياً من داعش لتقوية وضعه الإقليمي والدولي واجراء الإصلاحات الداخلية والخارجية على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والعلمية وغيرها.

وابدى سماحته ارتياحه لعودة الحياة الطبيعية والاستقرار في الكثير من المناطق المحررة مؤكداً على ضرورة توطيد العلاقة مع ابناءها وتقديم الخدمات اللازمة ورفع المعاناة عنهم.

كما قال سماحته: لقد آن الاوان ان يتحدث الجميع من الداخل والخارج بمروءةٍ وانصاف ويتخلوا عن لغة الاتهام والتسقيط والطائفية والتبعية، فقد اثبت العراقيون وطنيتهم ووحدتهم وانتمائهم بقرابين الضحايا ونزف المصابين والقوافل المتصلة من الدعم الغذائي واللوجستي.

وطالب سماحة المرجع القيادات العسكرية باتخاذ التدابير اللازمة لتحسين وضع القطعات العسكرية في الصحراء الغربية وسد الثغرات التي يتسلل منها الأعداء وحماية المنتسبين اثناء التحاقهم بوحداتهم العسكرية أو رجوعهم منها فقد آلمنا استشهاد جملة من المنتسبين نتيجة تقصير بعض القيادات الميدانية التي يجب ان تحاسب وتعاقب.

وفي نهاية اللقاء كرر سماحته دعوته للإسراع بتكريم الضباط والمراتب وذوي الشهداء من الذين قدموا اداءً متميزاً ومواقفاً بطولية حُفرت في سجل مفاخر بطولات ابناء بلدنا العزيز.

هذا وحضر اللقاء القيادي في الحشد الشعبي فضيلة الشيخ سامي المسعودي والنائب السيد هاشم الموسوي وعدد من القادة العسكريين.

حول دعاوى الانتساب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

لا يثبت الانتساب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الا بإخبار الثقات المتصل جيلاً بعد جيل الى زمان المعصومين (عليهم السلام) اما الوسائل الأخرى المتداولة بكثرة اليوم لأثبات النسب كشهادة البعض أو تجميع بعض المعلومات من الكتب فانها لا تفيد الاطمئنان ولا يمكن الاعتماد عليها، ولا يجوز لمن لم تحصل له القناعة بالنسب ان يشهّر بالآخرين وينتقص منهم قال تعالى (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) (الحجرات: ١١) وان ايذاء المؤمنين من المحرمات الكبيرة.

كما لا يجوز لمن يقتنع بالنسب ان يجبر غيره على قناعته أو أن يهدّد من لا يذعن لأمرهم بالطرد والاقصاء من العشيرة، فان صلة الرحم لا تنتفي بمثل هذه القرارات.

وليحافظ الجميع على صلة الرحم الجامعة بينهم بغضّ النظر عن هذه الاختلافات فان الرحم تشتكي الى الله تعالى ممن يقطعها، نسأل الله تعالى ان

يوفق الجميع لما يحب ويرضى، ويثبّتهم على الحق والهدى والصواب.

محمد اليعقوبي

١٣ شعبان ١٤٣٨

٢٠١٧/٥/١٠

المرجع اليعقوبي في لقائه مع وزير التربية والتعليم (١)

يدعو أهالي الموصل والمدن المحررة الى اليقظة لمؤامرات التقسيم .. ويحث على الحوار الشفاف والعادل لحل المشاكل العالقة، ويضع معالم النهوض بواقع التربية والتعليم.

تلقى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) شكر اهالي محافظة نينوى للمرجعية الدينية في النجف الاشرف وللمجاهدين المضحين الذين بذلوا الغالي والنفيس لتحرير مدينة الموصل وبقية المدن من أسر ووحشية مجاميع الإرهاب والشر والضلال، وقد قدّم هذا الشكر باسمهم ابن مدينة الموصل معالي وزير التربية والتعليم الدكتور (محمد اقبال الصيدلي) اثناء زيارته لعدد من مراجع الدين في النجف الأشرف.

كما اعرب معالي الوزير عن ثنائه وشكره لمبادرة سماحة المرجع اليعقوبي التي أطلق عليها (الحسين بسمة تلميذ) في العام الدراسي المنقضي التي شملت توزيع المناهج الدراسية مجاناً وحملة اصلاح وترميم وتجهيز النواقص الموجودة في المدارس.

---

(١)يوم الاثنين ٢٢ / شوال / ١٤٣٨ الموافق ١٧ / ٧ / ٢٠١٧.

وأكد سماحة المرجع في اللقاء على ضرورة الاعتناء بتربية الطلبة على الاخلاق الفاضلة والقيم الانسانية العليا والمبادئ الوطنية الى جنب التعليم، لأن أذهان الطلبة مفتوحة اليوم على عدة منافذ لتلقي الافكار والمفاهيم وتعلم السلوك كمواقع التواصل الاجتماعي والفضائيات التي تمارس دوراً خطيراً في تشويش الأفكار وقلب موازين القيم حتى لم تعد للمدرسة ذلك التأثير الذي كانت عليه قبل عقود، فيجب بذل المساعي الكبيرة لإعادة دور المدرسة والأسرة كذلك في توجيه الابناء نحو الاستقامة والصلاح، مع التأكيد على الدور المهم لأولياء الأمور في القيام بهذه المسؤولية والتعاون مع إدارات المدارس وتسهيل مهمتهم.

كما أكد سماحته على الحاجة لسن مزيد من القوانين التي تحمي الاساتذة وتمكّنهم من أداء وظائفهم على أحسن وجه، بعيداً عن التهديد والقلق، وأن يعي المجتمع الدور العظيم الذي يؤديه المعلمون مما يوجب ابداء تمام المساعدة لهم.

وتطرق سماحته الى دور بعض السياسيين في إحداث الفتن التي عصفت بالمجتمع ومزّقته وخرّبت البلد ودمرت مؤسساته، ولو كانوا مخلصين وأوفياء لشعبهم وبلدهم لاستطاعوا ان يوظفوا القدرات البشرية والمالية الهائلة التي يمتلكها العراق للأعمار والازدهار والرفاه، وكان يمكن اللجوء الى الحوار الشفاف والعادل لحل كل المشاكل العالقة واقتسام الحقوق والواجبات

وطلب سماحته من اهالي الموصل والمدن المحررة ان يكونوا يقظين لمؤامرات التقسيم والقضم التي يسعى لتنفيذها المعتاشون على الازمات الذين ينهشون جسد العراق المثقل بالطعنات.

استفتاءات اجتماعية مختارة

١ـ لعبة (clash of clans)

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دامت بركاته)

اتشرت في الآونة الاخيرة لعبة على أجهزة الهواتف الذكية والحاسوب باسم (Clash of Clans)، وقد اخذت الوقت الكبير من الشباب للعبها ويقوم البعض ببيعها بمبالغ نقدية للآخرين، وتتلخص هذه اللعبة بكونها استراتيجية لبناء جيوش وقرى محصنة والهجوم على اخرى من اجل تحصيل النقاط، وكلما ارتفعت نقاط القرية ارتفع سعرها، كما يقوم اللاعب بتقمص الشخصيات الإجرامية المفترضة داخل هذه الألعاب، وكما يعلم سماحتكم ان الدراسات الحديثة اثبتت أن بعض الألعاب الإلكترونية تعزِّز الميول العدوانية لدى الأطفال والمراهقين، بالإضافة الى الادمان على الألعاب الإلكترونية لمدة ساعات في المنزل وفي صالات الالعاب والمقاهي، وقد أثرت بشكل مباشر على نشاطات وسلوكيات الاطفال والمراهقين، وهل سماحتكم يجوز اللعب بها والدخول الى صالات الالعاب. افتونا مأجورين.

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حققنا في أمر هذه اللعبة وكيفيتها وشخوصها الداخلين فيها فوجدنا فيها عدة أمور توجب الامتناع عن ممارستها، ولنا كلمات كثيرة منشورة منذ سقوط الصنم عام ٢٠٠٣ لبيان مخاطر هذه الالعاب على العقول وعلى البنية الاجتماعية

والاخلاقية والدينية والاقتصادية وكفى بهذا مانعاً.

فننصح أولياء الأمور بتوعية صبيانهم أزاء هذه المخاطر ومراقبة تصرفاتهم بشكل عام وعدم جلب هذه الألعاب لهم كما ندعو السلطات المحلية والمركزية الى سن القوانين واتخاذ الاجراءات الرادعة لأصحاب المقاهي وصالات الالعاب وأن لا يكون همهم جني المال ولو على حساب مستقبل اولادنا وبلدنا والله المستعان.

محمد اليعقوبي ٨/ربيع ١٤٣٧/٢

٢ـ ظواهر اجتماعية منحرفة

رصدت في المجتمع ظواهر مخالفة لتعاليم الشارع المقدس وأهل الاخلاق الإنسانية الفاضلة، وبعض التصرفات لم تصل الى حد الظاهرة الاجتماعية العامة ولا تعدو التصرفات الفردية إلا ان اهمالها والتغافل عنها يؤدي الى كسر الطوق الذي فرضه الله تعالى لتطويق المحرمات ومعالجتها ومكافحتها، ويزيل من النفس خوف ارتكاب المعصية فيطمع الذي في قلبه مرض في فعلها، وهكذا تنتشر وتتسع لتتحول الى حالة عامة يصعب معالجتها.

لذا فالمطلوب من الغيارى من أبناء المجتمع خصوصاً اتباع المرجعية الرشيدة الرسالية، ليس فقط تجنب هذه الأمور، بل العمل على تنقية المجتمع منها بالحكمة والموعظة الحسنة التزاماً بالفريضة العظيمة: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي وصفها الامام (عليه السلام) اسمى الفرائض واشرفها، وندعوهم الى ان يشدَّ بعضهم ازر بعض ويقّويه تطبيقاً لقوله تعالى (وَتَعَاوَنُواْ

عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة/٢) وندعوهم ايضاً الى أن يتعاضدوا لتشخيص مثل هذه الظواهر وإيصال هذه الاستفتاءات وتوعية المجتمع ونصحه وارشاده والثناء على من يأخذ بهذه النصائح ويغّير الواقع (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (آل عمران/١٠٤).

١- تعلّق بعض صالونات تجميل السيدات او بعض المحلات التجارية صوراً او رسوماً لنساء بمظهر منافي للشريعة فيجب نصح هؤلاء بإزالتها او جعلها بنحو لا يخدش الحياء العام.

٢- بعض حفلا ت الاعراس للرجال والنساء تتخللها افعال محرمة كالغناء والرقص الماجن على أنغام الموسيقى او لبس النساء لملابس خليعة بحجة ان المجلس خاص بالنساء فتتسبب بحصول الاثارة والفتنة او تروي النساء الحاضرات لرجالهن مفاتن تلك النسوة المتبرجات وهو ما نهى عنه المعصومون (عليهم السلام).

٣- بعض مقاهي الكوفي شوب يتداول فيها الشواذ أموراً محرمة ومنكرة كتبادل الأفلام والمجلات الإباحية او العلاقات الجنسية الشاذة او تعاطي المخدرات ونحو ذلك.

٤- يُغالي بعض أولياء الأمور بمهر المرأة عند خطبتها ويضعون شروطاً يعجز عنها الخاطب وهم يعترفون انه شاب صالح ومهذب وقادر على اسعاد زوجته وحفظ كرامتها لكنهم ينساقون وراء هذه الأعراف والتقاليد البالية التي لا قيمة لها وهذا السلوك من العوائق الكبيرة في طريق إقامة هذه السنة الإلهية المباركة

ومخالفة صريحة لوصايا المعصومين (عليهم السلام) حيث ورد عنهم (إذا جاءكم من ترضون عقله ودينه فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

٥- لا زال بعض السادة العلويين (زاد الله في شرفهم) يشترط في خاطب ابنته العلوية ان يكون علوياً أيضاً، وقد نشرنا بياناً مفصلاً للرد على هذه العادة الظالمة التي تحرم العلويات من التمتع بحقهن في حياة زوجية كريمة من دون اشتراط كون الزوج علوياً.

محمد اليعقوبي

٧ رمضان ١٤٣٧

٣ـ التعليقات البذيئة على مواقع التواصل الاجتماعي

كثرت على مواقع التواصل الاجتماعي كلمات السب والتجريح والاهانة التي تصدر من اتباع المرجعيات اعتقاداً بان فيها نصرة لمرجعيتهم ودفاعاً عنها أو لأي أسباب أخرى ولكننا بصدد ما يوصف بنصرة المرجعية فهل ترضون بهذه التصرفات؟

بسمه تعالى:

لا ترضى المرجعية الدينية قطعاً بهذه الاشكال من الردود على من يسيئ اليها التزاماً بما ورد في كتاب الله تعالى (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام: ١٠٨) وعملاً بأدب بأمير المؤمنين الذي نهى أصحابه عن سبِّ اهل الشام مع انهم باغون يحل قتلهم وقتالهم وقال

(عليه السلام) (اكره ان تكونوا سبابّين شتامين).

واننا نأسف ان تتحول وسائل التواصل الاجتماعي الى (وسائل تقاطع) وتهديم الأواصر الدينية والاجتماعية فهذا كله كفران بالنعمة وعصيان لمن تجب طاعته، اما شكر النعمة فيكون باتخاذ هذه الوسائل منابر للدعوة الى الله تبارك وتعالى ونشر الاخلاق الفاضلة وتعاليم اهل البيت (عليهم السلام) وارشاد الناس لما فيه الخير والصلاح ورد الشبهات التي تستهدف القران والإسلام وقادته العظام وتمزّق شمل الامة.

ان النصرة الحقيقة للمرجعية وإقناع الناس بها تكون بإيصال رؤاها وافكارها وتوجهاتها الرشيدة الى الناس (فان الناس لو سمعوا محاسن كلامنا لاتبعونا) وان يكون كل من اتباعه مرآة عاكسة لأخلاق المرجع وحبّه للناس ورحمته بهم وشفقته عليهم وخدمتهم ومداراتهم والاهتمام بهم والتواضع لهم والسعي لقضاء حوائجهم واكرامهم وإدخال السرور عليهم وعدم الاحتجاب عنهم وامثال ذلك من الاخلاق الفاضلة.

ولا يرضى المرجع لاتباعه بأن يهبطوا الى مستوى الاخرين وانما يردّون على افتراءاتهم وكذبهم بالأدلة الدامغة والحقائق الموثقة بعيداً عن الشتم والسب.

إن نهي الائمة (عليهم السلام) عن أسلوب السب والشتم يرجع –في بعض وجوهه– الى انهم (عليهم السلام) يعلمون ان هذا السلوك نابع من تعصب واطاعة لهوى النفس الامارة بالسوء الميّالة الى التشفي من الخصوم وان أُلبس ثوب النصرة للمرجعية حتى خفي على صاحبه، وهو في الحقيقة يضّر بسمعة المرجعية

ويعرقل مشروعها الإنساني.

ولأهتمامي الشديد برفض هذا المنهج وضرورة إصلاحه تراني اعيد واكرّر التذكير بموقفي منه بأنواع الأساليب من البيان.

محمد اليعقوبي

٢٩/شوال/١٤٣٧

٢٠١٦/٨/٣

٤ـالعدالة الاجتماعية والانصاف لدى المرجعية الدينية

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) السلام عليكم..

ذكر السيد الشهيد محمد صادق الصدر في أحدى خطبه من الجمعة متحدثاً عن مواصفات أو ما يجب أن يكون عليه المرجع أنه على المرجع أن يتجه للعدالة الاجتماعية و أن ينصف الناس من نفسه أي أن لا يكون أنانياً وقد شدد على أن الانانية هي مشكلة الحوزة الأصيلة فيها...وسؤالي هو :كيف يكون المرجع متجهاً للعدالة الاجتماعية؟ وكيف ينصف الناس من نفسه؟

سماحة المرجع لا نجد من يفهم فكره (قدس سره) غيرك ولن ينفعنا طرق باب سواك.

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تناولت هذه المعاني كثيراً في خطاباتي وملخص الفكرة ان المطلوب اهتمام المرجع الديني بقضاء حوائج الناس وردّ مظالمهم واسترجاع حقوقهم

وصون كرامتهم وتحقيق السعادة والخير لهم في الدنيا والآخرة وعليه أن يقدّم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية حتى تذوب الثانية في الأولى وأن يكرّس نفسه وجهده وعلمه وفكره لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر الإسلام وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) والدفاع عن العقائد الحقّة وإنقاذ الناس من الضلال والانحراف، وقد أشرت الى وظائف المرجع الديني وصفاته النفسية في مقدمة الرسالة العملية (سبل السلام).

أما الانانية المرفوضة فهي أن يكون مهتماً بعناوينه الشخصية وتقديس ذاته وكيل المديح والألقاب الرنانة له فالمهم عنده حفظ شأنيته كما يعبرّون ولو كان على حساب هداية الامة وصلاحها كالسكوت عن الانحراف في المجتمع أو تشخيص السيئين من المتصدين أو غض النظر عن تطبيق بعض الأحكام الشرعية والفرائض المعطّلة كل ذلك مجاملة أو لتحقيق مصالح شخصية أو تقاعساً عن تحمل ضريبة القيام بهذه المسؤوليات ونحو ذلك، وقد جعلت الأحاديث الشريفة من أشق الاعمال على الناس إنصافهم من نفسك.

وقد أشار السيد الشهيد الصدر (قدس سره) في إحدى رسائله المنشورة بخطه الشريف في مقدمة كتاب (قناديل العارفين) الى هذه المعاني والحقائق: قال (قدس سره) (أنت تعلم إنني كنت ولا زلت اعتبرك أفضل طلابي وأطيبهم قلبا وأكثرهم إنصافا للحق بحيث لو دار الأمر في يوم من الأيام المستقبلية بين عدة مرشحين للمرجعية ما عَدوتك لكي تبقى المرجعية في أيدي منصفين وقاضين لحوائج الآخرين لا بأيدي أناس قساة وطالبين للدنيا).

قصائد مختارة

نصائح لطلبة العلوم الدينية(١)

ليس التمايزُ بالأنساب والرتبِ ... بل بالذي نلت من علمٍ ومن أدبِ

بلالُ عَبْدٌ ولكن كان ذا قدرٍ ... وكان حراً بلا قدرٍ أبو لهبِ

وليس يرفعُ شأنًا في الورى لقبٌ ... بهلول أرفعهم شأنًا بلا لقبِ

وإن علماً بلا تقوىً ولا ورعٍ ... مثلُ السراج الذي في المنزل الخَربِ

ومن يرَ الناس أدنى منهُ منزلةً ... يعِش وضيعاً كموتورٍ بلا نسبِ

ومن يجادل بلا رأيٍ ولاسندٍ ... كمن يقارعُ حدَّ السيف بالخشبِ

والعيب تفتي بلا رشدٍ ومعرفةٍ ... وليس بالعيب تُستفتى ولم تُجبِ

الا وإن رجال الدين بعضهمُ ... لا يستقيمُ له حالٌ بلا عُجُبِ

ما هم سوى جُببٍ تمشي مُنخَّرةً ... إن تختبرهم فجرّدهم عن الجُببِ

أولاءِ اكثرُ من يُخشى له ضررٌ ... على العقيدةِ من حمالة الحطبِ

وحاجبُ العلم عمداً عند جاهلهِ ... أشدُّ ظلماً غداً من كانز الذهبِ

ومن يضعْ علمه في غير موضعهِ ... كزارعٍ شوكةً في المنبتِ الخصبِ

ومن يُري الناس ديناً لا يدينُ بهِ ... شبيه حالهِ مولودٌ بغير أبِ

ومن يهبْ ناكر المعروف مكرمةً ... يكن كمن بات لم يُكرم ولم يهبِ

ولا تثق بحليمٍ قبل ان تكُ قد ... جرّبته وهو في حالٍ من الغضبِ

---

(١) قصيدة القاها فضيلة الشيخ حسنين قفطان في الحفل الذي اقامته جامعة الصدر الدينية بمناسبة ذكرى تأسيسها يوم الاحد ٢٤/ج١٤٣٧/٢ المصادف ٢٠١٦/٤/٣

واخفض جناحك للإخوان تحظ بهم ... فهم جناحاك في سلمٍ وفي عطَبِ
ولا تُصَعِّر لهم خداً ولا مرحاً ... في الارض تمشي ولا تعبس لمقترب
ونب أخاك على ما لم تُطقه فقد ... ضَل الذي لم يُطِقْ أمراً ولم يُنبِ
واختر لنفسك ما استيقنت صالحه ... وخلِّ ما قيل من رأيٍ ومن خطبِ
ولا تلم مفسداً واسألهُ عن سبب الـ ... ـإفساد منه فلا ذنبٌ بلا سببِ
ومن يلِجْ أربعين العمر وهو على الـ ... ـذنب القديم فلم يُفلح ولم يتُبِ
ولا يثبّطكَ من أرشدتهم فعصوا ... فأنت لست نبياً أو وصي نبي
وشِبْ على الصبر واجهد أن تشيبَ بهِ ... فليس عذرٌ لمن يصبر ولم يشب
وانظر لخاتمة الاشياء.. رب فتىً ... في الدهر يلهو ويلقى خيرَ منقلبِ
وزِنْ صنيعك بالقرآن رب صنيـ ... ـعٍ مُتقَنٍ كان حذو اللهو واللعبِ
واحذر بأن تعرضن شيئاً بلا طلبٍ ... فقيمةُ الشيء رهنُ العرض والطلبِ
ولا تكن ذا خطابٍ واحدٍ لوضوح ... الفرق بين عموم الناس والنُخَبِ
ولا تقدس سوى من كان ذا أثرٍ ... في الدين كي لا يُساوى الرأسُ بالذَنَبِ
ولا تُخيفنْكَ أسماءٌ بها كتبٌ ... ضجّت وشِيدت لها دنياً من النُصُبِ
خذ البعوضة في القرآن قد ذُكرت ... وذاك قرآننا من أعظمِ الكتبِ

عروس الهدى (١)

تاريخ تأسيس جامعة الصدر الدينية عام ١٤١٧هـ

على منهجٍ قامت مُسَدّدةَ الفكرِ ... وعوّذها الرحمنُ بالفجرِ والعصرِ
طَهورٌ أضاء المرجعانِ طريقها ... فها هي من طُهرٍ تسيرُ الى طهرِ
هي الحرمُ الصدريُّ في كل ليلةٍ ... يعيشُ بها طلابُها ليلةَ القدرِ
عروسُ الهدى قد جاء يخطبها التقى ... ولم تكُ غيرَ العلم تختارُ من مهرِ
ستبقى الى عصر الظهورِ منيرةً ... وفي رحمها أنصارهُ صاحب الأمرِ
فمُذ أُسّست لا زال (أرخت) دَأْبُهَا ... تَسِيرُ بِرَكْبِ اللهِ جَامِعَةُ الصَّدْرِ

(١) قصيدة القاها فضيلة الشيخ حسنين قفطان في الحفل الذي اقامته جامعة الصدر الدينية بمناسبة ذكرى تأسيسها يوم الاحد ٢٤/ج١٤٣٧/٢ المصادف ٢٠١٦/٤/٣

حشد الله (١)

نثـرتَ عـدوَّ اللهِ فـي سـوحها نثـرا ... فكنـت لهـذا العصـر آيتـه الكبـرى
دَهمـتَ قـلاع الجبـت فـي عقـر داره ... فصـيرتَها لمـا عصـفت بهـا قبـرا
لويـتَ أكـفّ المـوت حتـى تركتـه ... كسـيراً يسـيل الـدمع مـن مقلـة عبـرى
ورامـت جنـود المـوت تحمـي عرينـه ... فآليـتَ أن تهمـي علـى رأسـها جمـرا
وما كنـت ترجـو أن تعـيش بـذي الـدنا ... ولكن طلبت الخلد فـي عـالم الأخـرى
فمـا كـان غيـرُ الصـبر جسـراً فرمتَـه ... وروَّضـتَ نفسـاً أن تكـون لـه جسـرا
(تمـر بـك الابطـال كلمـى هزيمـة) ... وانـت تصـلي الشـفع تُردفُـه الـوَترا
فيـا أيهـا الكـرار فـي كـل صـولة ... تقحـمْ قـلاع الهـول كـي تُفـرح الزهـرا
فكـل الـذي يحيـا يـذوق منيـة ... ولكـنَّ أسـمى النـاس مـن ذاقهـا حـرّا
فمـا نفـع أن تبغـي سـماءً وسـيعة ... إذا لـم تكـن تسـمو بسـاحاتها صـقراً
ثـري مـن اصـطاد الكنـوز بسـعيه ... ولكـنّ مـن بـالنفس جـاد هـو الأثـرى
(فتىً مات بين الطعن والضرب ميتة) ... تجـاوز فيهـا فـرط همتـه النصـرا
إذا المرء لم يركب على صهوة الـردى ... فلـيس لـه حـق بـان ينشـد الظفـرا
فمـا انصـاع مجـد للغفـاة علـى الأسـى ... ولا ذلّ خصـم للـذي يقتفـي العـذرا
ومـا تركـع الاهـوال إلا لمغـرمٍ ... إذا نفسـهُ كلـت يصـيح بهـا صـبرا

(١) قصيدة القاها الاديب عباس العجيلي (فرزدق الصدر) للإشادة ببطولات المتطوعين من الحشد الشعبي لحماية المقدسات والقضاء على الإرهاب وذلك في محضر سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم ٩ جمادى الاخرة ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٣/١٩.

وما تشمَخ الأوطان إلا بمدنَف ... أبى أن يرى غير الجهاد له وكرا
وحقك هذا الحشد حشدُ محمد ... فمن صال قد ألفى بصولته بدرا
فيا ليل ان العشق ولّه خافقي ... ولابد للولهان أن يدرك الفجرا
(سيذكرني قومي إذا جدّ جِدهم) ... بأني بجوف الليل استنزل البدرا
فما حيلةُ المهيوب إن ديس بيتُه ... سوى ان يحيل الخير في نفسه شرّا
وشتان بين اليحتسي الزهد والتقى ... وبين الذي قد عاش محتسياً خمرا
سمونا بساحات الصمود واننا ... لنا أنفس من عشق تربتها سكرى
سنرغم رأس الشر أن ينحني لنا ... ولم نخش زيداً في القراع ولا عمرا
مناقبنا بدر إذا عسعس الدجى ... وما فتئت تلك النجوم لنا أُسرى
نصاحب عضباً ما يزال مدللاً ... إذا فارق اليمنى حبونا له اليسرى
فيا من على جهل دنوت حدودنا ... تمهل قليلاً فالحدود بنا ادرى
نزاحم جيش المجد سعياً الى الذرى ... ونأخذ ما استعصى على غيرنا قهرا
سكبنا بجرف الصخر أرواحنا فدىً ... فاصبح صخر الجرف من فعلنا نصرا
وكان العراقيون أنّى تدافعت ... جيوش الظما طلّو ببيدائها قطرا
أباةٌ كماةٌ أن تجحفل هائج ... عبرنا وذاك المدُّ نجعلهُ جزرا
وكنّا إذا راغ الجبان من اللظى ... ضحكنا إباءً أن نصيب له ظهرا
نَقِدُّ أكفَّ الريح إنْ مُسَّ ثوبنا ... ولكننا في الحشد من زهونا نعرى
إذا لم نكن بالسيف نزجر خصمنا ... فأسيافنا في الخطب تزجرنا زجرا
سرجنا ظهور الخطب في كل مهمٍ ... وطرّاً قضمنا ما تركنا بها شبرا
فكاد غبار الحرب ان صال ضيغم ... يتيهُ على ذي الأرض من زهوه كبرا
وكاد الوغى يشقى لزحف خيولنا ... وكاد الردى يجثو لأصغرنا ذعرا

إذا مـــا شـــكت هونـــا سُـــعَيفةُ نخلـــة نفرنـــا خِفافـــاً مـــن مرابضـــنا طـــرّا
ورُحنـــا نكِـــدّ الخيـــل حتـــى إذا امـــتلا بفرســـاننا بَـــرٌّ ســـرجنا لهـــا البحـــرا

ويكفيك فخراً أن تكون محسَّداً(١)

عَجبتُ لمن في الخلقِ حازَ تفرُّدا ... بدا النّاسُ والدهرُ الكؤودُ لهُ عِدا
فللهِ صَبرُ الصَالحينَ على الذي ... يَرَوهُ من الجُهّالِ إن رَكبهُم حَدا
ولَيسَ لِمن عادى الكِرامَ ذريعة ... لَيجزيهُم مُرَّ العُقوُق بِلا هُدى
فيوم التّغابُن أينَ يأوي جُناتُهُم ... وهل لهُم من شافِعٍ بعدُ يُجتدى
ولَيسَ يُضيرُ الوردَ شوكةُ غُصنهِ ... ولَيسَ يُضيرُ البحرَ صَخرٌ تَبَلَّدا
فَحَلِق بأجواء العُلُومِ ورَوضِه ... وبالفضل فاستأنس تكونُ مُسَدِّدا
ولَيسَ يُضيرُ اللَّيثَ وهو مَليكُهُم ... عِوآء ثُعالٍ إن بحقدِهِ أزبَدا
فَنَهِنه عن النَفس الكريمة وُجُدها ... وَيَكفيك فَخراً أن تكونَ مُحَسَّدا

(١) ابيات انشدها فضيلة الشيخ أبو الحسن اليساري الطائي في مجلس سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) يوم ٢٨/شوال/١٤٣٧ المصادف ٢٠١٦/٨/٢ وهو ممن عرف عن كثب النشاط العلمي والفضائل الأخلاقية والنشاط الاجتماعي والحركي لسماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) منذ زمان السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره).

تأريخ ميلاد سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد موسى اليعقوبي (دام ظله) (١)

علامـــةٌ كالشـــمس أنـــى يُوصـــفُ؟ ... وجـــهُ السَّـــماحةِ، بالحصـــافةِ يُعـــرَفُ
هُـــوَ لائِـــقٌ بالاجتهـــادِ ومرجـــعٌ ... مـــن نبعـــهِ كـــم مـــن ظمـــيّ يرشُـــفُ!
رمزُ النَّدى، صـوتُ الهُـدى بَلَـغَ المـدى ... بكتـــابِ رَبِّ الكـــونِ دَومـــاَ يهتِـــفُ
مُتيمنـــــاً باســـــمِ النبـــــي مُحمَّـــــدٍ ... هـو خيـرُ مـن فـي الخـافقين وأشـرفُ
وولاءُ أهـــل البيـــت ســـرُ بهائـــهِ ... مـن علمِهِـم فـي كـل حُكـمٍ يغـرفُ
فـــي خدمـــة الإســـلام يعمـــلُ جاهـــداً ... والعُمـرُ فـي نشـر الفضـيلة يصـرفُ
الحُـــبُّ والإخـــلاصُ بعـــضُ خصـــالهِ ... ما شئتَ حـدِّث كـم يحـنُّ ويعطـفُ!
تهـــواهُ أفئـــدةٌ، تعشـــقُ وصـــلهُ ... وتُعـــــيرُهُ أســـــماعها، تتَشَقَّـــــفُ
وهـــو الـــرؤوفُ بمـــن يلـــوذُ بحجـــرهِ ... لله رأفتـــــهُ مـــــن الأبِ أرأفُ
نجـــلُ اليعاقِـــبِ توجتـــهُ عمامـــةٌ ... وعبـــاءةٌ بالمكرُمـــاتِ تُرفـــرفُ
أعظِـــم بـــهِ، مـــن يـــومِ مولدهِ،بـــهِ ... النجـفُ الشـريفةُ أرَّخَـت: تَتَشَـرَّفُ

(١) أبيات نظمها الأديب الدكتور عباس فتوني العاملي من لبنان بمناسبة ذكرى ميلاد سماحة المرجع التي تطابق ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٤٣٧ هـ.

الإمام الحسين والعراق[١]

لـــواءُ يعقـــوبَ فـــي الآفـــاقِ خَفّـــاقُ ... لا يَعتَريـــه مـــدى الآبـــادِ إخفـــاقُ
لـهُ علـى الأرض منـهُ أنجـمٌ زَهَـرت ... علـى الأنـامِ كمـا للشـمس إشـراقُ
محمـدٌ[٢] شـيخُهُم فـي كـلِّ مَكرمـةٍ ... فِكـــرٌ وفِقـــهٌ وآدابٌ وأخـــلاقُ
وبعـدهُ نجلُـهُ موسـى إذا إنقَطَعَـت ... أسـبابُ عِـزِّ الـورى للوصـل سَـبّاقُ
ومـا عسـى نُخبَـةُ الأطيـابِ أن يَلِـدوا ... إلاّ الأطايـبَ مـن بالفضـل دَفّـاقُ
وإنمـــا الـــبطُّ عـــوامٌ بفِطرتِـــهِ ... كوالديـــهِ وأنَّ الخيـــرَ أعـــراقُ
جَـرَتْ خِصـالُهُمُ مـن بعـدهم فَسَـقَت ... أبنـــاءهُم بعَـــدَهُم والنـــاسُ أذواقُ
أمـــا رأيـــتَ عليـــاً فـــي بشاشـــتِهِ ... كأنَّـــهُ لـــذوي الأدواءِ تريـــاقُ
مَضـى فَخلَّـفَ نـارَ البـين واريـةً ... لهـا بأكبـادِ أهـل العلـمِ إحـراقُ
عِشـنا نُكابِـدُها حينـاً علـى مَضـضٍ ... كمـا يكابِـدُ نـار الهجـر مُشـتاقُ
لكنَّنـــا نتأســـى بَعـــدَهُ بـــأخٍ ... حَـازَ الفضـائِلَ فَـرداً وهـي أجـواقُ
محمـــدٌ دُرَّةٌ فـــي تـــاجِ حَوزَتِنـــا ... فمـا علـى العلـمِ و الحـوزاتِ إشـفاقُ
لكِـنَّ بـي قَلقـاً يـذوي الفـؤاد لَـهُ ... مـا هَزّنـي مِثلُـهُ بـالأمس إقـلاقُ
أرى العـراقّ شـظايا بعـدَ وَحدتِـهِ ... فهـل الـى وَحـدةٍ ترنـوهُ آمـاقُ

---

(١)- قصيدة للأديب الكربلائي الحاج حسن الكعبي تفضّل بإنشادها يوم ٢٠ /ع١٤٣٨/١ الموافق ٢٠١٦/١٢/٢٠ وعرضت من قناة النعيم الفضائية

(٢) اعلام أسرة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) وهم جد أبيه الخطيب والاديب الشيخ يعقوب، وجده الشيخ محمد علي شيخ الخطباء و أبوه الشيخ موسى صاحب مجلة الايمان النجفية وأخوه الشيخ علي (رحمهم الله جميعاً)

وهـــل تُرانـــا يأسِـــنا مـــن نجائبِـــهِ ... يَلِـدنَ مـن هـوَ كُفـؤٌ فيـهِ إيثـاقُ
مـــا بـــالُ ساسَـــتِنا طاشَـــت عُقـــولُهُمُ ... أغـــرَّهمُ لَمَـــعُ الإبريـــزِ فإنســـاقُوا
إن طـالَ فـرعُهُمُ فـي دوحـةٍ شَـمَخَت ... بهـم علينـا فـنحنُ الجـذرُ والسـاقُ
نحـنُ الـذينَ روينَـا الأرضَ مـن دَمِنـا ... ولـم نَـزَل إذ يَبسـنا و هـيَ إيـراقُ
بـالإمس كـانوا حَثـالاتٍ هُنـا و هُنـا ... مُستضـــعفينَ ويـــا للهِ مـــا لاقـــوا
كُنّـــا نَعُـــدُّهُمُ الأمـــلاكَ قـــد نَزَلَـــت ... مـــن الســـماءِ علينـــا فهـــي أوداقُ
واليـــومَ ســـاَورَنا الأحبـــاطُ ثانيـــةً ... وقَـال بعـضُ الـذي آخـاهُ إمـلاقُ
مـا هكـذا الظّـنُ يـا أبنـاء جِلـدَتِنا ... وألـفُ يـا أسـفا فـالعيشُ نَـزّاقُ
عـارٌ علـيكم فـأنتم لَعَنـةٌ وَقَعَـت ... علـى العـراقِ وهـذا الحَيـفُ مِصداقُ
جَعلـتُمُ النـاسَ يَسـتَهوُونَ ظـالِمَهُم ... ويَعطِفـون عليـهِ وهـو مِزهـاقُ
أمثـلُ صـدامَ مـن تُرجـى الحُقـوقُ بـهِ ... وهـل لـهُ فـي مجـالِ الحـقِ إحقـاقُ
لكنَّهـا صـرخَةٌ المغـدورِ فـي غَـدِهِ ... حتـى تُـوَهَّمَ أنَّ الأمـسَ إينـاقُ
يـا بـائعي وطنـي فـي سـوق سـاَدَتِهم ... بخسٍ فـلا رَبِحَـت فـي البيعِ أسـواقُ
هَـلاّ رَحلـتُم فمـا أبقيـتُمُ ذِمَمـاً ... فَجلُّكـم يـا بنـي السُـراقِ سُـراقُ
لـو أنَّ فـي يَـدِيَ التغييـرَ بـل بِيـدي ... أنـا العـراقُ الـذي تحويـهِ أحـداقُ
أحـداقُ دِجلـةَ مسـكوبُ الفـراتِ بِـهِ ... مِزاجـهُ زمـزمُ النهَـرين رَقـراقُ
أنـا أبـو الشـهداء الغُـرِّ تعرفنـي ... فـي كُـلِّ صَـقعٍ مِـنَ الأصـقاعِ عُشـاقُ
أنـا الحُسـينُ وإن رُضَّـت أضـالِعُهُ ... وحُـزَّ منـهُ ومِـن أهليـهِ أعنـاقُ
لكنَّـهُ جَـذوةُ الأحـرارِ قُـدوتهُم ... وهـم علـى إثـرِهِ والكـلُّ تَـوّاقُ
وإنمـا طَلَـبُ الإصـلاحِ غَايَتُـهُ ... وكُـلُّ حُـرٍّ الـى الإصـلاحِ ذَوّاقُ
فلتَحـذَروا صَـولتي او تُصلحوا وَطَنـي ... فطالمـا عـاثَ بالأوطـانِ فُسـاقُ

مَـــن للأرامِـــل والأيتـــامِ يَكفَلُهـــا ... فـــالعَيشُ عِنـــدَهُمُ ذُلٌ وإرهـــاقُ
والثـاكلاتِ اللَـواتي ذُبـنَ مـن جَـزَعٍ ... ولَـيسَ فـي شَـجَرِ الأعمـارِ أوراقُ
تَلتـاعُ بالكَبِـدِ الحَـرّى علـى وَلَـدٍ ... كالبَـدرِ عاجَلَـهُ خَسّـفٌ وإمحـاقُ
جـادَت بِـهِ وهـو روحٌ فـي جوانِحِهـا ... ولـيسَ كـالجودِ بـالأرواحِ إنفـاقُ
غَـذَّت بَنيهـا بِحُـبِّ اللهِ فـأِنطلقوا ... تَحـدُوا بِهِـمِ لفـداءِ الأرضِ أشـواقُ
فالحشـدُ أبنائُهـا إن أومَـأت زَأَرُوا ... فلِلنَعـامِ بِسـاحِ الحَـربِ أذراقُ
سَـما العـراقُ بهـا مِـن بَعـدِ نكسَـتِهِ ... فالأُسـدُ حَـولَ حمِـى النَهـرين أطـواَقُ
هـي المَـلاذُ ولولاهـا لمـا بَقِيَـت ... لَكـم بِبَغـدادَ والخَضـراءِ أرزاقُ
فالتُنصِـفوها وهـذا لـيسَ دَيَـدنكُم ... أو فإشـكروها فَـبَعضُ الشُـكرِ إرفـاقُ
لَعَلَّهـا أَلهَمتنـي اليـومَ قافِيـةً ... فيهـا لِمـن يَطلُـبِ التعليـلَ إطـراقُ
إليـك والِـدَ إبـراهيمَ مَعـذِرَةً ... إن شَـطَّ قـولي وإلاّ فَهـو أنسـاقُ
فإنمـا أنـا فـي حَلبـاتِكُم قَـزَمٌ ... فـي الشِـعرِ لكِـنَّ مَـن غَـذّاهُ عِمـلاقُ

الفهرس

خطاب المرحلة (٤٧٧) الشهداءُ أجلُّ من التأبين: بمناسبة استشهاد الشيخ نمر النمر ٥
خطاب المرحلة (٤٧٨) الاصلاح الجاد يتطلب اراده وشجاعة وكفاءة..... ٨
خطاب المرحلة (٤٧٩) (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)..... ١١
خطاب المرحلة (٤٨٠) ولقد كرمنا بني آدم ، الكرامة المطلقة للإنسان ١٦
خطاب المرحلة (٤٨١) (ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) ٢٥
خطاب المرحلة (٤٨٢) مباركة الدعم اللوجستي للمجاهدين ٣٢
خطاب المرحلة (٤٨٣) (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ) ٣٦
خطاب المرحلة (٤٨٤) (وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) ٤٠
خطاب المرحلة (٤٨٥) المواجهة الاستباقية للغزو الثقافي..... ٤٦
خطاب المرحلة (٤٨٦) (قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي) ٥١
خطاب المرحلة (٤٨٧) (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)..... ٥٧
خطاب المرحلة (٤٨٨) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)..... ٦٦
خطاب المرحلة (٤٨٩) (فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) من لا يقّدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي أكثر منه في معصيته ٧٣
خطاب المرحلة (٤٩٠) (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) قابليـــة الشعوب على الاستعباد ٨٢

خطاب المرحلة (٤٩١) (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) تنمية الشعور بالمسؤولية ٩٢
خطاب المرحلة (٤٩٢) (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) صفات المسؤول ١٠١
خطاب المرحلة (٤٩٣) (لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) ١١٨
خطاب المرحلة (٤٩٤) (إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً) الخارجون عن طاعة قادة الإسلام (الفرقة الواقفة) انموذجاً ١٢٧
خطاب المرحلة (٤٩٥) (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) الامام الرضا رائد حوار الحضارات ١٣٣
خطاب المرحلة (٤٩٦) استشعروا حضور المعصوّم عند زيارته بل مطلقاً ١٤١
خطاب المرحلة (٤٩٧) (أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) حيَّ على خير العمل والدعوة الى ولاية أهل البيت عليهم السلام ١٤٤
خطاب المرحلة (٤٩٨) (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) ١٥٢
خطاب المرحلة (٤٩٩) (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) ١٦١
خطاب المرحلة (٥٠٠) (وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ) ١٦٨
خطاب المرحلة (٥٠١) الاذن للمؤمنين في الخليج بتوزيع حقوقهم الشرعية ١٧٢
خطاب المرحلة (٥٠٢) (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) النبي (صلى الله عليه وآله) مكفور النعمة..... ١٧٦
خطاب المرحلة (٥٠٣) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)..... ١٨٤
درس نبوي في المصالحة المجتمعية ١٨٤
خطاب المرحلة (٥٠٤) الزيارات المليونية تحديث بنعمة الولاية ١٨٨

خطاب المرحلة (٥٠٥) (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) ١٩٠
اعداد القوة في السيرة النبوية المباركة: ١٩٥
خطاب المرحلة (٥٠٦) الممارسات التعبوية مظهر لقوة الأمة وحيويتها..... ١٩٩
خطاب المرحلة (٥٠٧) تصحيح الأفكار وسيلة إصلاح الأفعال..... ٢٠٣
تصحيح فكرتنا عن معنى الدين و المرجعية الدينية: ٢٠٥
خطاب المرحلة (٥٠٨) (لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) معاني القرآن لا تنتهي..... ٢٠٨
خطاب المرحلة (٥٠٩) (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً) العفّة رأس كل خير ٢١٧
خطاب المرحلة (٥١٠) المسلمون تعرّفوا على أمريكا قبل كولومبس بعدة قرون ٢٢٥
خطاب المرحلة (٥١١) (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ) الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين ٢٣٠
خطاب المرحلة (٥١٢) (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) ٢٤٠
خطاب المرحلة (٥١٣) مسؤوليتنا عن رعاية عوائل الشهداء وايتامهم ٢٤٨
خطاب المرحلة (٥١٤) من مظاهر الكرم الالهي دعاء (اللهم لقنّي حجتي يوم القاك) ٢٥٣
خطاب المرحلة (٥١٥) ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويّها بلا تردد ٢٥٨

خطاب المرحلة (٥١٦) (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) إنبعاث الحياة المعنوية..... ٢٦٢
خطاب المرحلة (٥١٧) أهمية حفظ النظام الاجتماعي العام ودور الفقيه فيه ٢٦٩
خطاب المرحلة (٥١٨) حوار عن الدولة المدنية والعلاقة مع العلمانيين وإشكالياتهم والتجديد في قراءة النصوص الشرعية..... ٢٧٣
خطاب المرحلة (٥١٩) (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)..... ٢٨٣
خطاب المرحلة (٥٢٠) (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) ٢٩٧
لا تعتنق عقيدة او فكرة ولا تقل او تفعل فعلاً الا عن علم ويقين ٢٩٧
خطاب المرحلة (٥٢١) التعايش السلمي وحفظ حقوق الأقليات في الإسلام ٣٠٣
خطاب المرحلة (٥٢٢) (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ) (النساء:١٧) بادر الى التوبة فأنها تصعب بالتأخير التورط بأموال الناس نموذجاً..... ٣٠٧
خطاب المرحلة (٥٢٣) وصية الامام الحسن السبط (عليه السلام) عند وفاته..... ٣١٤
خطاب المرحلة (٥٢٤) بمناسبة تحرير الموصل ٣٢٠
خطاب المرحلة (٥٢٥) المشروع الإسلامي بين الماضي والحاضر، حركة السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس) نموذجاً..... ٣٢٤
خطاب المرحلة (٥٢٦) هل نستطيع تعجيل ظهور الامام المهدي (عليه السلام)؟... ٣٣٤
روايات تنموية ٣٣٧
(١) الغضب لله تعالى شرط صدق الايمان ٣٣٩

(٢) السيدة الزهراء (عليها السلام) تحث على نشر الاحكام الشرعية والعلوم الدينية ٣٤٢
(٣) ان الله تعالى يحب مخلوقاته ويشفق عليهم ويغضب لهم..... ٣٤٥
(٤) كافئوا المحسنين على اعمالهم. ٣٤٧
(٥) درس نبوي: تذكّر دائماً شعار (ثم ماذا؟ انه الموت) ٣٥٠
(٦) لا تيأسوا من التوبة والإصلاح ٣٥٢
(٧) درس نبوي في علو الهمة وطلب المعالي. ٣٥٥
(٨) (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (الطلاق:٢-٣) الاعمال الصالحة سبب لقضاء الحوائج ورفع البلاء. ٣٥٨
(٩) أنظر في الموضوع من جميع الجهات حتى تكتمل الصورة ثم تتخذ القرار ٣٦٢
(١٠) ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وسورة التوحيد عمل خفيف لكنه ثقيل في الميزان..... ٣٦٥
مختارات من صحيفة الصادقين (أخبار، تعليقات، استفتاءات، قصائد) (الأعداد: ١٥٨- ١٧٥) ٣٦٩
المرجع اليعقوبي يستقبل ممثل سماحة السيد الخامنئي في العراق ٣٧١
لابد من إنهاء الكارثة في اليمن ٣٧٢
رؤية المرجعية الرشيدة للإصلاح ٣٧٣
احياء الزيارة الفاطمية في النجف الاشرف ٣٧٤
المرجع اليعقوبي : الحلول الآنية والاستراتيجية لمشاكل البلاد..... ٣٧٥

إنتفاضة البصرة عام ١٩٩٩ ..... ٣٧٧
مشاعر توحّد الإنسانية ٣٨٠
المرجع اليعقوبي يستنكر حالة الاسترخاء والتسويف التي تعيشها الكتل السياسية ٣٨١
المرجع اليعقوبي: يدعو الجميع الى التصرف بحكمة والاصطفاف خلف قواتنا المسلحة التي تحقق الانتصارات ٣٨٢
تفسير (من نور القرآن)..... ٣٨٤
أحيوا حب الوطن في قلوبكم وعقولكم ٣٨٨
المرجع اليعقوبي: كلمة الدكتور العبادي أكثر من رائعة وتبعث على ثقة واطمئنان الداخل والخارج ٣٩٠
تخصيص الليلة الثانية ويومها من عشرة محرم لذكر الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)..... ٣٩١
يوم المنبر الحسيني ٣٩٢
النصرة الحسينية لتوفير الكتب الدراسية..... ٣٩٤
الجميع بانتظار بشرى تحرير الموصل ٣٩٦
عشرات النساء بين شهيدة وجريحة ب(نيران صديقة) في داقوق ٣٩٨
مطالبة القادة السياسيين بحفظ كرامة المنظومة العسكرية ومهنيتها ٤٠٠
العلاقة التكاملية والمسؤولية التضامنية بين الشعب ومؤسسات الدولة ضمانة الأمن والأزدهار..... ٤٠١

المرجع اليعقوبي يثني على تواجد القيادات العسكرية العليا في قلب مواقع العدو ٤٠٤
يوم العفاف ٤٠٥
إتحاد المسلمين مظهر لشكر النعمة ٤٠٦
يجب على الجميع أن يكونوا عشيرة كل مظلوم مستضعف لنصرته وردع الظالم ٤٠٨
تعديل آلية توزيع المقاعد على الفائزين في الانتخابات ٤٠٩
تحرير الانسان أهم وأصعب من تحرير الأرض ٤١١
المرجع اليعقوبي : دعوة إلى عدم إقامة المناسبات الدينية والاجتماعية في الأماكن العامة ٤١٢
المرجع اليعقوبي: يشيد بشجاعة القوات المسلحة والحشد الشعبي في الجانبين العسكري والإنساني ٤١٣
حول دعاوى الانتساب الى رسول الله (ﷺ) ٤١٥
المرجع اليعقوبي في لقائه مع وزير التربية والتعليم ٤١٦
استفتاءات اجتماعية مختارة ٤١٩
١- لعبة (clash of clans) ٤١٩
٢- ظواهر اجتماعية منحرفة ٤٢٠
٣-التعليقات البذيئة على مواقع التواصل الاجتماعي ٤٢٢
٤-العدالة الاجتماعية والانصاف لدى المرجعية الدينية ٤٢٤
قصائد مختارة ٤٢٦

نصائح لطلبة العلوم الدينية ٤٢٦
عروس الهدى ٤٢٨
حشد الله ٤٢٩
ويكفيك فخراً أن تكون محسَّداً ٤٣٢
تأريخ ميلاد سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) ٤٣٣
الإمام الحسين والعراق ٤٣٤
الفهرس ٤٣٧